أشراط الساعة

في الكتب السماوية السابقة

في ضوء الكتاب والسنة

الأستاذ الدكتور

عمر سليمان الأشقر

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

http://kotob.has.it

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، أحاط بكل شيء علماً، وقهر كل مخلوق عِزَّةً وحكماً، سبحانه، أنزل الكتاب، وأجرى السحاب، وهزم الأحزاب، وأصلي على عبده ورسوله محمد ﷺ، الذي علّمه الله كتابه، وخصّه من علم الغيوب بما لم يطلع عليه كثيراً من خلقه، فعلَّم أمته ما أوحاه الله إليه، وعرّفهم بما لا تعرفه كثير من الأمم من قبلهم، وأصلي وأسلم على صحبه الأخيار، وآله الأبرار، وعلى من اهتدى بهداهم، وسلك سبيلهم إلى يوم الدين، وبعد:

فقد كنت كتبت كتاباً عن قصص الغابرين في التوراة والإنجيل في ضوء الكتاب والسنّة، وحتى تكتمل الصورة توجهت في هذا الكتاب إلى كتابة قصص الآتين في التوراة والإنجيل في ضوء الكتاب والسنّة.

وقصص الغابرين وقصص الآتين في التوراة والزبور والإنجيل جناحان لأمر واحد، هو علوم الغيب في التوراة والإنجيل والزبور، وعلوم الغيب الآتية مبثوثة في هذه الكتب، وهي مما أوحاه الله إلى رسوله موسى وعيسى عليهما السلام ونبيه داود، وبعض هذا الغيب له علاقة كبيرة بنا، فهو يتحدث عن رسولنا ﷺ وصفاته وأخلاقه ومكان بعثته، وموضع مهاجره، وعلامات نبوته، وحروبه وانتصاراته، وأمّته، وصفات أصحابه، وغير ذلك مما حفلت به التوراة والإنجيل والزبور.

http://kotob.has.it

وحدثتنا التوراة والإنجيل والزبور عن أشراط الساعة التي تقع في آخر الزمان، وأكثر هذه الأشراط ليست بالوضوح الذي في الكتاب والسنّة، فإنها وإن أوحي بها إلى الأمتين من قبلنا اليهود والنصارى، فهم ليسوا بحاجة إليها كحاجتنا إليها، فهي لن تقع في عصرهم كما تقع في عصرنا، ولأن الرسول الخاتم المبعوث رحمةً للعالمين سيخبر جميع البشر بهذه الأشراط إخباراً غاية في الوضوح والبيان، ويعطى من المعرفة ما لم يكن يعرفه الأنبياء من بني إسرائيل، ولذا فإن بعض أنبياء بني إسرائيل عندما حُدِّثوا بتلك الأشراط اشتكوا أنهم لم يستطيعوا استيعاب ما أوحي إليهم به.

إن بعض أشراط الساعة في التوراة فيها شيء من الإجمال وشيء من الغموض، قيل لحبقوق في رؤياه في المسيح الدجال: «لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد، وفي النهاية تتكلم، ولا تكذب» [سفر حبقوق، الإصحاح الثاني: ٣]، وقيل لدانيال في رؤياه في المسيح الدجال: «اذهب يا دانيال، لأنَّ الكلمات مخفية ومختومة إلى وقت النهاية» [سفر دانيال، الإصحاح الثاني عشر: ٩]. وقيل لدانيال أيضاً: «أما أنت يا دانيال، فأخف الكلام، واختم السفر إلى وقت النهاية، كثير يتصفحونه، والمعرفة تزداد» [سفر دانيال، الإصحاح الثاني عشر: ٤].

وقيل لدانيال أيضاً: «وجئت لأفهمه ما يصيب شعبك في الأيام الأخيرة، لأن الرؤيا إلى أيام بعد» [سفر دانيال، الإصحاح العاشر: ١٤].

إنَّ بعض أشراط الساعة في التوراة والإنجيل غير واضحة وغير معلومة، ولكن الذين لديهم علم واطلاع على ما أوحاه إلى عبده ورسوله محمد ﷺ من هذه الأشراط فقهوا تمام الفقه ما عنته التوراة من هذه الأشراط.

لقد أفاض رسولنا ﷺ في الحديث عن أشراط الساعة، روى أبو زيد عمر بن أخطب قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت صلاة الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل

http://kotob.has.it

فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا» [مسلم: ٢٨٩٢].

لقد حدَّث رسولنا ﷺ أصحابه يوماً كاملاً من الفجر إلى غروب الشمس عن الغيوب السابقة والغيوب الآتية، وهذه الأشراط التي ورد بها القرآن وحدّث بها الرسول ﷺ من الكثرة بحيث ألفت فيها مؤلفات في مجلدات، وقد ألقى ذلك كله أضواء على أخبار الغيب في التوراة.

وأصبحنا نحن علماء الإسلام أعلم بأشراط الساعة المخبر عنها في التوراة والإنجيل من علماء اليهود والنصارى، لأنه جاء في قرآننا وعن رسولنا ما يوضح هذه الأشراط، وهذا العلم لا يعرفه علماؤهم ورهبانهم، وإن علموه على وجه الإجمال فلا يعرفون تفاصيله.

فمن ذلك أن التوراة تحدثت عن جَمْعِ الله بني إسرائيل الذين سيدخلون في الإسلام بعد نزول عيسى إلى الأرض المقدسة في فلسطين، فظن أحبار اليهود أن تلك الواقعة هي ما يجري في هذه الأيام من احتلالهم للديار المقدسة، ويظنون أن الله يُبارك ما يقومون به من ظلم وقتل وتدمير وتخريب، وهذا من سوء فقههم للتوراة، فالواقعة التي تحدثت عنها التوراة طويلاً ستكون بعد نزول عيسى عليه السلام، وبعد دخول اليهود في الإسلام، وتحكيمهم القرآن، وإيمانهم برسولنا ﷺ، أما هذه الواقعة التي تجري في أيامنا، فإن اليهود معتدون ظالمون مفسدون فيها، وسيعاقبهم الله تبارك وتعالى على ظلمهم وإفسادهم، وسيدمر ظلمهم على يد الصالحين من هذه الأمة.

لقد ذكرت التوراة أخباراً غيبية آتية، وقعت قبل مجيء رسول الإسلام محمد ﷺ، وهذه لم أعرض لها، وعددت ابتداء أشراط الساعة ببعثة رسولنا ﷺ، فبعثة رسولنا ﷺ من العلامات الصغرى، وقد ذكر حديث عبدالله بن سلام أن بعثة رسولنا ﷺ من أشراط الساعة، وكل ما أخبر به القرآن أو الرسول ﷺ فهو من أشراط الساعة، ففي الحديث عن عوف بن مالك، قال: أتيت النبي في غزوة تبوك،

http://kotob.has.it

وهو في قبة من أدم، فقال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتان يأخذ فيكم كقُعَاص الغنم، ثم استفاضة المال، حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظلُّ ساخطاً، ثمَّ فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً» [البخاري: ٣١٧٦].

فهذه الستة التي ذكرها الرسول ﷺ هي من أشراط الساعة وأول واحد منها موته ﷺ.

وقد اقتصرت في إيراد أشراط الساعة على ما ذكر في التوراة والإنجيل والزبور، ولم أتعد ذلك إلى غيره مما عند أهل الكتاب، ولا شكّ أن عندهم علم وراء ذلك، فإنني أجد في أسئلة اليهود في المدينة لرسولنا ﷺ أخباراً لم أجدها في التوراة.

لقد وجدت التوراة تحدثت عن كثير من أشراط الساعة، كبعثة رسولنا ﷺ، وصفاته ومبعثه ومهاجره، وأمته، ووجدتها تحدث عن يأجوج ومأجوج، وتحدثت التوراة والإنجيل عن خروج الدجال، ونزول المسيح، وقتله الدجال، وتحدثت التوراة عن وقائع أخرى من أشراط الساعة.

إن بعض الذين أوردوا أشراط الساعة من التوراة أقاموا عليها بناءً، وحددوا مما أخذوه منها مدة انتهاء دولة اليهود، وموعد خروج الدجال، وموعد نزول المسيح، وقد فعل أقوام من قبلهم مثل فعلهم، وجاءت الأوقات التي حددوها، ولم يقع ما قدروا وقوعه فيها، إن الغيب من أمر الله، وما لم يأتنا نصٌّ صحيح من الكتاب والسنّة فلا يجوز اعتماد شيء في ذلك.

إننا لا نستطيع أن نجزم بشيء مما جاءت به التوراة والإنجيل إلا إذا صدقه الوحي المعصوم المذكور في الكتاب والسنّة، ولذلك كانت هذه الدراسة التي قدمتها في هذا الكتاب محكومة بما عندنا في القرآن وصحيح السنّة، ومن فوائد هذه الدراسة

http://kotob.has.it

أننا نصبح بها علماء بما عند اليهود من أمور الغيب، ونستطيع أن نعرف الصحيح والباطل منه.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفِّقت في هذه الدراسة، وما كان فيه من خطأ فهو مني والله بريء منه، ورسوله بريء منه، والرجوع إلى الحق أولى من التمادي بالباطل.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عمر سليمان عبدالله الأشقر

عمان - الأردن

١٧ ذي القعدة ١٤٣٠هـ

٥ تشرين الثاني ٢٠٠٩م

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المبحث الأول

نبينا محمد ﷺ مكتوب عند اليهود والنصارى في التوراة والزبور والإنجيل

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

تقديم

١- النصوص القرآنية والحديثية الدالة على أن رسولنا ﷺ مكتوب في التوراة والإنجيل:

تدلنا نصوص القرآن ونصوص الأحاديث الصحيحة على أن رسولنا ﷺ باسمه وصفاته وعلاماته وأمته مكتوب في التوراة والإنجيل والزبور، قال الله تعالى للسبعين من بني إسرائيل الذين اختارهم موسى لميقات الله، ومعهم موسى وهارون: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:١٥٧].

ومن الذين بشروا برسولنا باسمه عيسى ابن مريم عليه السلام، فإنه قال: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

وذكر بعض أهل العلم فيما مضى أنه اطلع على نسخة من الزبور ونسخة من التوراة فيها التبشير باسم رسولنا ﷺ صريحاً فيه، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ولكن التحريف المستمر لهذا الكتاب أتى على هذه النصوص، فمن ذلك ما ورد في سفر إشعيا [الجواب الصحيح: ٣/ ٣٢٦]: «إني جعلت أمرك محمداً، يا محمد يا

http://kotob.has.it

قدوس الربّ، اسمك موجود من الأبد» وقوله: إن اسم محمد موجود من الأبد موافق لقول الرسول ﷺ: «كنت نبياً وإن آدم لمنجدل في طينته» [محمد رسول الإسلام: ص١٨].

وفي التوراة العبرانية في الإصحاح الثالث من سفر حبقوق [الجواب الصحيح: ٣/ ٣١٣]: «وامتلأت الأرض من تحميد أحمد، ملك بيمينه رقاب الأمم».

وفي النسخة المطبوعة في لندن قديماً سنة ١٨٤٨، والأخرى المطبوعة في بيروت سنة ١٨٨٤، والنسخ القديمة تجد في سفر حبقوق النص في غاية الصراحة والوضوح [محمد نبي الإسلام: ص١٨]: «لقد أضاءَت السماء من بهاء محمد، امتلأت الأرض من حمده،.. زجرك في الأنهار، واحتدام صوتك في البحار، يا محمد أدن، لقد رأتك الجبال فارتاعت».

٢- تواتر الأخبار عن أهل الكتاب ببعثة رسولنا ﷺ :

كلّ الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى أوحى إليهم من أخبار الغيب الماضي، كما أوحى إليهم من أخبار الغيب الآتي بمقدار ما أذن الله به، ومن ذلك أنَّ كل الأنبياء والمرسلين حدثوا أممهم عن المسيح الدجال [البخاري: ٣٠٥٧].

ومن أخبار الغيب التي أطال الله في تحديث اليهود والنصارى عنها خبر بعثة رسولنا ﷺ، فقد ذكر الله لهم اسمه وصفاته وخاتم النبوة على كتفه، ومكان بعثته ومهاجره، والأذان الذي سينادى به في الديار الإسلامية للصلاة، وذكر بعض ما يكون منه ﷺ، كخروج الحمى والوباء من المدينة التي هاجر إليها، ورؤياه عياناً ما سيبلغ ملك أمته، والإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وفتح أمته بيت المقدس، ووصف صحابة رسوله والمقاتلين من أمته، ونحو ذلك.

وما أنزله الله في التوراة والإنجيل عرَّف اليهود والنصارى به معرفة ليس فوقها معرفة، حتى أصبحوا يعرفون رسولنا ﷺ معرفة أبنائهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ

http://kotob.has.it

ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة:١٤٦].

وكان اليهود يبشرون ببعثة رسولنا ﷺ قبل بعثته، ويزعمون أنهم سيتبعونه بعد بعثته، ويؤمنون بما جاء به، وسيقاتلون العرب وينتصرون عليهم، فلما جاء محمد ﷺ من العرب كفروا به، وبما أنزل عليه ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة:٨٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه، وأنه رسول الله، وأنه موجود عندهم، وكان هذا من أعظم ما دعا الأنصار إلى الإيمان به لما دعاهم إلى الإسلام، حتى آمن الأنصار به وبايعوه، من غير رهبة ولا رغبة».

ولهذا قيل: إن المدينة فتحت بالقرآن، لم تفتح بالسيف كما فتح غيرها.

وتواتر عن النصارى إخبارهم بوجوده في كتبهم، مثل أخبار هرقل. ملك الروم، والمقوقس ملك مصر، صاحب الإسكندرية، والنجاشي ملك الحبشة، والذين جاؤوه بمكة، وقد ذكر الله ذلك في القرآن في قوله عن اليهود: ﴿... وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ...﴾ [البقرة:٨٩] وقال عن النصارى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة:٨٣]. وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ ...﴾ [القصص:٥٢-٥٣].

وقال ابن إسحاق: «حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله

http://kotob.has.it

ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور، وداود بن سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله، وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد - ﷺ - ونحن أهل شرك، وتخبرونا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته. فقال سَلاَّم بن مِشْكَم، أخو بني النضير: ما جاءنا شيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم».

فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩].

وقال أبو العالية وغيره: «كانوا - يعني اليهود - إذا استنصروا بمحمد على مشركي العرب يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا، حتى نعذب المشركين ونقلتهم. فلما بعث الله محمداً ﷺ ورأوا أنه من غيرهم، كفروا به حسداً للعرب وهم يعلمون: أنه رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآيات ﴿...فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ...﴾ [البقرة:٨٩]».

[قال محققه: الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره: جامع البيان ٢/ ٣٣٤ (١٥٢٦) تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر، نقله ابن كثير في تفسير: تفسير القرآن العظيم ١/ ١٧٨].

وروى ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، ثم الظَّفَرِي، عن رجال من قومه قالوا: «ومما دعانا إلى الإسلام - مع رحمة الله وهداه - أنا كنا نسمع من رجال يهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل الكتاب، عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: قد تقارب زمان نبي يبعث الآن، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنّا كثيراً ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله ﷺ رسولاً من عند الله، أجبنا حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت هؤلاء الآيات التي في البقرة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ

http://kotob.has.it

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [البقرة:٨٩]».

وروى أبو زرعة، بإسناد صحيح، عن أسامة بن زيد، عن أبيه زيد بن حارثة، قال: «خرج رسول الله ﷺ وهو مُرْدِفِيَّ، ثم أقبل رسول الله ﷺ في يوم حار من أيام مكة، حتى إذا كنا بأعلى الوادي، لقيه زيد بن عمرو بن نفيل، فقال له رسول الله ﷺ: يا ابن عمرو. ما لي أرى قومك قد شَنَفُوك؟.

قال: أما والله، إن ذلك لغير ثائرة كانت مني فيهم، لكن أراهم على ضلال.

فخرجت أبتغي هذا الدين، فأتيت إلى أحبار يثرب، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبغي، فخرجت حتى آتي أحبار خيبر، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي، فقال لي حبر من أحبار الشام: إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحداً يعبد الله به إلاَّ شيخ بالجزيرة. فخرجت، فقدمت عليه، فأخبرته بالذي خرجت له، فقال: إن كل من رأيت في ضلالة، فمن أنت؟ قلت: أنا من أهل بيت الله، ومن أهل الشوك والقَرَظ.

فقال: إنه قد خرج في بلدك نبي، أو خارج قد خرج نجمه، فارجع فصدقه واتبعه وآمن به، فرجعت فلم أحس شيئاً بعد، قال: فأناخ رسول الله ﷺ بعيره، فقدمنا إليه السفرة. قال زيد: ما آكل شيئاً ذبح لغير الله فتفرقا، فجاء رسول الله ﷺ فطاف بالبيت. قال زيد: وأنا معه، وكان صنمان من نحاس يقال لهما: إساف ونائلة مستقبل الكعبة، يتمسح بهما الناس إذا طافوا، فقال رسول الله ﷺ : لا تمسهما ولا تمَسَّح بهما.

قال زيد: فقلت في نفسي، وقد طفنا، لأمسنهما حتى أنظر ما يقول، فمسستهما فقال رسول الله ﷺ : ألم تُنْهَهْ؟ فلا والذي أكرمه، ما مسستهما حتى أنزل الله عليه الكتاب».

http://kotob.has.it

ومات زيد بن عمرو بن نفيل قبل الإسلام. فقال رسول الله ﷺ : «إنه يبعث أمة وحده».

وروى البخاري حديث خروج زيد بن عمرو قريباً من هذا اللفظ، وهذا الحديث رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - : «أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل «بَلْدَح» قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فَقَدَّمْت إلى النبي ﷺ سُفْرة، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلاَّ ما ذكر اسم الله عليه. وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم...» الحديث.

وأخرج البخاري، قال موسى بن عقبة: حدثني سالم بن عبدالله - ولا أعلمه إلا تحدث به عن ابن عمر - أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالماً من اليهود، فسأله عن دينهم فقال: إني لعلِّي أن أدين دينكم فأخبرني، فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، قال زيد: «ما أفرُّ إلاَّ من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً، وأنَّى أستطيعه؟فهل تدلني على غيره؟

قال: ما أعلمه إلاَّ أن يكون حنيفاً، قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله، فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى. فذكر مثله فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، قال: ما أفر إلاَّ من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبدا، وأنَّى أستطيع؟ فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج، فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم» [أخرجهما البخاري: ٣٨٢٦-٣٨٢٧].

وقال ابن إسحاق: حدثنا صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، عن محمود بن لبيد، عن سلمة بن سلامة بن وقش، قال: «كان بين أبياتنا يهودي، فخرج

http://kotob.has.it

على نادي قومه بني عبد الأشهل ذات غداة، فذكر البعث والقيامة، والجنة والنار، والحساب والميزان، فقال ذلك لأصحاب وثن، لا يرون أن بعثاً كائن بعد موت، وذلك قبل مبعث رسول الله ﷺ فقالوا: ويحك يا فلان - أو ويلك - وهذا كائن؟ أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون من أعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به، لوددت أن حظِّي من تلك النار، أن توقدوا أعظم تنور في داركم، فتحمونه، ثم تقذفوني فيه، ثم تطَيِّنون عليَّ، وإني أنجو من تلك النار غداً. فقيل: يا فلان، فما علامة ذلك؟ قال: نبي يبعث من ناحية هذه البلاد، وأشار إلى مكة واليمن بيده، قالوا: فمتى تراه؟ فرمى بطرفه فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي، وأنا أحْدَث القوم، فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه. فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله، وإنه لحيٌّ بين أظهرهم، فآمنا به وصدقناه، وكفر به بغياً وحسداً. فقلنا له: يا فلان، ألست الذي قلت ما قلت، وأخبرتنا؟ قال: ليس به» [عزاه محقق الكتاب إلى السيرة لابن هشام: (١/ ٢٢٥) وقال: هذا الأثر رجال إسناده ثقات].

وعن أنس بن مالك ﷺ: أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة. فقال رسول الله ﷺ: «يا يهودي، أَنْشُدُك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد في التوراة صفتي ومخرجي؟» قال: لا. قال الفتى: بلى والله يا رسول الله، إنا نجد في التوراة نعتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّك رسول الله. فقال النبي ﷺ: «أقيموا هذا من عند رأسه، وَلُوا أخاكم». [رواه البيهقي بإسناد صحيح] [عزاه محقق الكتاب إلى دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٢٧٢)].

وقال ابن إسحاق: «حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن شيخ من بني قريظة، قال: هل تدري عمَّ كان إسلام أسيد وثعلبة ابني سعية، وأسد بن عبيد، نفر من هَدْل، لم يكونوا من بني قريظة وبني النضير، كانوا فوق ذلك؟ فقلت: لا، قال: فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له: ابن الهيَّبان، فأقام عندنا، والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس خيراً منه، فقدم علينا قبل مبعث النبي ﷺ بسنين،

http://kotob.has.it

وكنا إذا أقحطنا وقلّ علينا المطر نقول: يا ابن الهيّبان، اخرج فاستسق لنا، فيقول: لا والله حتى تقدموا أمام مَخرَجكم صدقة! فنقول: كم؟ فيقول: صاعاً من تمر أو مُدَّيْن من شعير فنخرجها، ثم يخرج إلى ظاهر حَرَّتنا ونحن معه، فنستقي، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى يمر السحاب، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة.

فحضرته الوفاة، واجتمعوا إليه، فقال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قالوا: أنت أعلم. قال: فإنه إنما أخرجني أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلاد مهاجره، فاتبعوه، ولا تُسْبَقُنَّ إليه إذا خرج، يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وبسبي الذراري والنساء ممن يخالفه، ولا يمنعنَّكم ذلك منه، ثم مات.

فلما كان الليلة التي فتحت فيها قريظة، قال أولئك الثلاثة الفتية، وكانوا شباناً أحداثاً: يا معشر يهود، والله إنه الذي ذكر لكم ابن الهيبان. فقالوا: ما هو به. قالوا: بلى والله إنه لصفته، ثم نزلوا، فأسلموا، وخلوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم. قال ابن إسحاق: فلما فتح الحصن رد ذلك عليهم». [عزاه محقق الكتاب إلى السيرة لابن هشام (١/ ٢٢٦) وقال: إسناد هذا الأثر فيه مجهول، وقد أخرجه البيهقي عن طريق ابن إسحاق من روايتين].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبي سفيان بن حرب، لما حدثه عن هرقل وذكر فيه: أن هرقل لما سأله عن صفات رسول الله ﷺ قال: «إن يكن ما تقول حقاً، أنه نبي، قد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أخْلُص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه».

وزاد البخاري في حديثه، وقال ابن الناطور، وكان هرقل حَزّاء ينظر في النجوم، فنظر. فقال: «إن ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟» قال: تختتن اليهود، فلا يهمنك شأنهم، وابعث إلى من في مملكتك من اليهود فيقتلوهم. ثم وجد إنساناً من العرب فقال: «انظروا، أمختتن هو؟» فنظروا، فإذا هو مختتن. وسأله عن العرب فقال: يختتون. وقال فيه: وكان برومية صاحب له، كان هرقل نظيره في

http://kotob.has.it

العلم، فأرسل إليه وصار إلى حمص، فلم يَرِمْ من حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأيه على خروج النبي ﷺ وأنه نبي [البخاري: ٧ ومسلم: ١٧٧٣].

وكذلك النجاشي ملك الحبشة، لما هاجر الصحابة إليه، لما آذاهم المشركون، وخافوا أن يفتنوهم عن دينهم، وقرؤوا عليه القرآن، قال: فأخذ عوداً بين أصبعيه، فقال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته، فقال: وإن نخرتم، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي، يعني أنتم آمنون، وقال هذا، لأن قريشاً أرسلوا هدايا إليه وطلبوا منه أن يرد هؤلاء المسلمين وقالوا: «هؤلاء فارقوا ديننا، وخالفوا دينك» [عزاه محقق الكتاب إلى أحمد في مسنده (١/ ٢٠١، ٢٠٢) وقال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع].

وفي الصحيح، حديث ورقة بن نوفل الذي ترويه عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي، قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة من النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد - إلى أن قالت -: فأتت به خديجة ورقة بن نوفل، وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب من الإنجيل - ما شاء الله أن يكتب -، فقالت: اسمع من ابن أخيك، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، ليتني كنت جَذَعاً أنصرك إذ يخرجك قومك، قال: أوَ مُخْرِجيّ هم؟ قال: لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلاَّ عُودِيَ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً» ثم لم ينشب ورقة أن توفي [البخاري: ٣، ومسلم: ١٦٠-١٦١] [راجع الجواب الصحيح: ٥/ ١٦٠-١٧٨].

٣- البشارات المصرحة باسم نبينا ﷺ في التوراة والإنجيل:

بشرت الكتب السماوية بنبينا محمد ﷺ مصرحة باسمه محمد واسمه أحمد، وبقيت هذه البشارات المصرحة باسمه إلى أن جاء الإسلام، واطلع عليها كثير من

http://kotob.has.it

علماء المسلمين ونقلوا نصها في كتبهم، ثم حرّفها اليهود والنصارى من تلك الكتب، وغيروها وبدلوها.

ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فقد ذكر في كتابه «الجواب الصحيح» أنه رأى من نسخ الزبور ما فيه التصريح بنبوة محمد ﷺ، ورأى نسخة أخرى فلم يرَ فيها ذلك.

وذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى في (الجواب الصحيح) أنه رأى في سفر دانيال نصّاً سرد فيه قصة رسول الله ﷺ بما أملاه عليه الملك حتى وصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا، ونقل ابن تيمية أول هذا النص بقوله: «قال دانيال النبي أيضاً: فلا يزالون ملعونين (بني إسرائيل) عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بني إسماعيل الذي بَشّرت به هاجر، وأرسلت إليها ملاكي، وبشرها، وأوحي إلى ذلك النبي، وأعلمه الأسماء، وأزينه بالتقوى، وأجعل البر شعاره، والتقوى ضميره، ... أسري به إليّ، وأرقيه من سماء إلى سماء، حتى يعلو، فأدنيه، وأسلم عليه، وأوحي إليه، ثم أرده إلى عبادي بالسرور والغبطة...».

ثم قال شيخ الإسلام: «هذه البشارة الآن عند اليهود والنصارى، يقرؤونها ويقولون: لم يظهر صاحبها بعد».

وبعد أن ذكر الشيخ فاضل السامرائي ما سبق ذكر أن الرازي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم أوردوا في كتبهم أن إشعيا صرّح باسم رسولنا ﷺ قائلاً: «إنا سمعنا في أطراف الجبال صوت محمد» ونقلوا عن إشعياء أيضاً قوله: «إني جعلت اسمك محمداً، يا محمد، يا قدوس الرب، اسمك موجود من الأبد».

وقول إشعيا أيضاً: «قال إبراهيم خليل الله الذي قَوَّيته ودعوته من أقاصي الأرض لا يخاف، ولا يرهب... وأنت تبتهج وترتاح، ويكون محمداً».

وذكر أمثلة أخرى مما ذكروا أنهم اطلعوا عليه من البشارات المصرِّحة باسم رسولنا ﷺ [نبوة محمد من الشك إلى اليقين: ص٢٤٦].

http://kotob.has.it

المطلب الأول

البشارات بنبينا محمد ﷺ في التوراة

٤- يد إسماعيل على كل واحد:

تذكر التوراة أن هاجر بعد أن حبلت بإسماعيل هربت من وجه مولاتها سارة، «١٠وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ». ١١وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ. ١٢وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ» [سفر التكوين، الإصحاح السادس عشر: ١٠-١٢].

وذكر ابن تيمية أن نص النسخة التي اطلع عليها: «ويكون يده فوق الجميع، ويد الكل به» [الجواب الصحيح: ٥/ ٢٢٣].

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بعد ذكره لهذه البشارة: «قال المستخرجون لهذه البشارة: معلوم أن يد بني إسماعيل قبل مبعث محمد ﷺ لم تكن فوق أيدي بني إسحاق، بل كان في بني إسحاق النبوة والكتاب، وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب، فلم يكن لبني إسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بُعث موسى، وكانوا مع موسى أعز أهل الأرض، لم يكن لأحد عليهم يد، ثم مع (يوشع) بعده إلى زمن داود.

ومَلَك سليمان الذي لم يؤت أحد مثله، وسُلط عليهم بعد ذلك (بخت نصر)، فلم يكن لبني إسماعيل عليهم يد، ثم بعث المسيح، وخُرِّب بيت المقدس الخراب الثاني، حيث أفسدوا في الأرض مرتين، ومن حينئذ زال ملكهم وقَطَّعهم الله في الأرض أمماً، وكانوا تحت حكم الروم والفرس لم يكن للعرب عليهم حكم أكثر من غيرهم، فلم يكن لولد إسماعيل سلطان على أحد من الأمم، لا أهل الكتاب ولا الأميين، فلم يكن يد ولد إسماعيل فوق الجميع، حتى بعث الله محمداً ﷺ الذي دعا به إبراهيم وإسماعيل حيث قالا: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ [البقرة:١٢٩].

http://kotob.has.it

فلما بعث، صار يد ولد إسماعيل فوق الجميع، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطاهم، وقهروا فارس والروم وغيرهم من الأمم، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين. فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة «وتكون يده فوق الجميع، ويد الكل به» وهذا أمر مستمرٌّ إلى آخر الدهر.

فإن قيل: هذه بشارة بملكه وظهوره، قيل: الملك ملكان، ملك ليس فيه دعوى نبوة، وهذا لم يكن لبني إسماعيل على الجميع، وملك صدر عن دعوى نبوة. فإن كان مدعي النبوة كاذباً: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام:٩٣]. وهذا من شر الناس وأكذبهم وأظلمهم وأفجرهم، وملكه شر من ملك الظالم لم يَدَّعِ نبوة كـ (بختنصر) و(سنجاريب)» [الجواب الصحيح: ٢٢٤].

٥- تكثير الله بني إسماعيل بمحمد ﷺ :

وجاء في [سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر: ٢٠] «٢٠وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً».

وإسماعيل نبيٌّ، وهو ابن نبي الله إبراهيم عليه السلام، وهو جدُّ رسولنا ﷺ، وقد كثر الله إسماعيل وأثمره بنبينا محمد ﷺ، وكان عدد أولاد إسماعيل اثني عشر ولداً، وجعله الله بمحمد ﷺ أمة كبيرة.

ونقل الدكتور فاضل السامرائي عن ابن القيم في كتابه (هداية الحيارى) أن ترجمة النص في بعض نسخ التوراة القديمة: «وأما في إسماعيل فقد قبلت دعاءَك قد باركت فيه، وأثمره وأكثره بماد ماد».

وقد ذكر أن طائفة ذكروا أن «مادماد» محمد ﷺ، ويدلُّ على هذا أن ألفاظ العبرانية قريبة من ألفاظ العربية، فهي أقرب اللغات إلى العربية، فإنهم يقولون لإسماعيل: شماعيل، ولموسى موشى، وقال: فإذا أخذت لفظ (مؤد مؤد) وجدتها

http://kotob.has.it

أقرب شيء إلى لفظ (محمد) وإذا أردت تحقيق ذلك فطابق بين ألفاظ العبرانية والعربية.

وذكر ابن القيم أن بعض العلماء اليهود الذين أسلموا قالوا له إن (مؤد مؤد) هو محمد بكسر الميم والهمزة، وبعضهم بفتح الميم ويدنيها من الضمة. وقال: ولا يشك العلماء منهم بأنه محمد.

وذكر الدكتور السامرائي أن ابن القيم مصيب في أن معنى (بماد ماد) بمحمد، أي «وأثمره وأكثره بمحمد» فإن الباء تمنع أن يقال: عظّمه بجدا جداً، وإنما يقال: عظمه بمحمد، و(ماد ماد) [نبوة محمد: ص٢٥٠].

٦- بشارة جامعة في سفر دانيال برسولنا وأمته:

في بعض الأحيان تكون البشارات جامعة تذكر صفات الرسول ﷺ ووحي الله إليه، وأخبار أمته، وما ينزل إليه عليهم من نصره، وإمداده بالملائكة، وشيئاً مما يعطيه الله لرسوله كالعروج به إلى السماء ونحو ذلك، فمن ذلك ما ورد في بشائر دانيال.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنه رأى في سفر دانيال أنه قال [الجواب الصحيح: ٣/ ٣٣١، ٤/ ٣] يهدد اليهود ويصف لهم أمة محمد ﷺ : «إنّ الله يظهرهم عليكم، وباعث فيهم نبياً، ومنزل عليهم كتاباً، ومملكهم رقابكم، يقهرونكم ويذلونكم بالحق، ويخرج رجال قيدار في جماعات الشعوب، معهم الملائكة على خيل بيض، فيحيطون بكم، وتكون عاقبتكم النار، نعوذ بالله من النار».

وقيدار ابن إسماعيل، وقد انتشروا في الأرض واستولوا على الشام والجزيرة ومصر والعراق، وقد تواترت الآثار أن الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض كما نزلت يوم بدر والأحزاب، وقال دانيال مصرحاً باسم محمد ﷺ : «ستنزع في قسيّك إغراقاً، وترتوي السهام بأمرك يا محمد».

http://kotob.has.it

وقال دانيال أيضاً: «سألت الله وتضرعت إليه أن يبيّن لي ما يكون من بني إسرائيل، وهل يتوب عليهم، ويردّ إليهم ملكهم، ويبعث فيهم الأنبياء، أو يجعل ذلك في غيرهم؟ فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه، فقال: السلام عليك يا دانيال، إن الله يقول: إنّ بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا عليّ، وعبدوا من دوني آلهة أخرى، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب، فصلّت عليهم بخت نصّر، فقتل رجالهم، وسبى ذراريهم، وهدم مساجدهم، وحرق كتبهم، وكذلك فعل من بعده بهم، وأنا غير راض عنهم، ولا مقيلهم عثرات، فلا يزالون في سخطي حتى أبعث مسيحي ابن العذراء البتول، وأختم ذلك عليهم باللعن والسخط، فلا يزالون ملعونين، عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبيّ بني إسماعيل الذي بشرت به هاجر، وأرسلت إليها ملاكي وبشرها، وأوحي إلى ذلك النبي، وأعلمه الأسماء، وأزينه بالتقوى، وأجعل البرَّ شعاره، والتقوى ضميره، والصدق قوله، والوفاء طبيعته، والقصد سيرته، والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب، وناسخ لبعض ما فيها، أسري به إليَّ، وأرقيه من سماء إلى سماء، حتى يعلو، فأدنيه، وأسلّم عليه، وأوحي إليه، ثم أردّه إلى عبادي بالسرور والغبطة، حافظاً لما استودع، صادقاً فيما أخبر، يدعو إلى توحيدي باللين من القول والموعظة الحسنة، لا فظٌّ ولا غليظ، ولا صخّاب بالأسواق، رؤوف بمن والاه، رحيم بمن عاداه، فيدعو قومه إلى توحيدي وعبادتي، ويخبرهم بما رأى من آياتي، فيكذبونه، ويؤذونه».

يقول ابن تيمية: «ثم سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ بما أملاه عليه الملك حتى وصل آخر أمته بالنفخة، وانقضاء الدنيا».

ثم قال: «وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصارى يقرؤونها، ويقولون: لم يظهر صاحبها بعد». وقد حذفها محرفو التوراة، فلا وجود لها في سفر دانيال [الرسل والرسالات للمؤلف: ١٧٤].

http://kotob.has.it

٧- إشعيا يتحدث عن صفات نبينا محمد ﷺ :

تحدث (إشعياء) عن صفات نبينا محمد ﷺ ، فقال: «هُوَ ذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ» [سفر إشعيا، الإصحاح الثاني والأربعون: ١-٤].

وهذا الذي يقوله إشعيا كأنه حديث قدسي تكلم الله به، فالله يقول مشيراً إلى الرسول ﷺ : «هو ذا عبدي الذي أعضده»، أي: أعينه وأنصره، وقد أخبر القرآن، عن رسوله محمد بأنه عبده كقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١] وقال: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١] وقال: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم:١٠].

وقال في هذه النبوءة متحدثاً عن محمد ﷺ : «مختاري الذي سرت به نفسي» فالله تبارك وتعالى - اصطفى رسولنا ﷺ على الرسل والأنبياء، ويظهر فضله في يوم القيامة عندما يمتنع أولو العزم من الرسل عن الشفاعة، ويقوم بها رسولنا، وقد أخبر الله أنه سرت به نفسه، ووضع عليه روحه جبريل عليه السلام ، مؤيداً وحافظاً وناصراً، وأخبر أنه يخرج الحقَّ للأمم، وقد بلغت رسالته إلى العالمين.

ثم ذكر من صفاته ﷺ أنه «لا يصيح، ولا يرفع، ولا يسمع في الشارع صوته» وذكر أنه «قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ، إلى الأمان يخرج الحق» وذكر قوته في العمل بالحق، فقال: «لا يكلُّ، ولا ينكسر، حتى يضع الحق في الأرض» وذكر أن «الجزائر تنتظر شريعته».

ولعل هذا الذي ذكره إشعياء هو مقصود عبدالله بن عمرو فيما رواه عن التوراة، فقد لقيه عطاء بن يسار، فسأله عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال:

http://kotob.has.it

«أجَل، والله إنَّه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفتِهِ في القرآن: يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكل، ليس بفظٍّ، ولا غليظ، ولا سخّابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا اللهُ، ويُفتحُ بها أعينٌ عميٌ، وآذانٌ صُمٌّ، وقلوبٌ غُلْفٌ». تابَعَه عبدالعزيز بن أبي سلمة عن هِلال عن عطاء عن ابن سلام. غُلفٌ: كل شيء في غِلافٍ، سيفٌ أغلف، وقوسٌ غلفاء، ورجل أغلف [البخاري: ٢١٢٥]. والسخَّاب: الذي يرفع صوته بالخصام، والحرز: الموضع الحصين، وهو استعارة، والملة العوجاء: ملة العرب القائمة على عبادة الأصنام، والقلوب الغلف، التي لها غلاف يمنعها من الفقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولفظ التوراة والإنجيل والزبور: قد يراد به الكتب المعينة، ويراد به الجنس، فيُعَبَّر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «خُفف على داود القرآن، فكان ما بين أن تُسرج دابته إلى أن يركبه يقرأ القرآن» والمراد به قرآنه: وهو الزبور، ليس المراد به القرآن الذي لم ينزل إلا على محمد.

وكذلك ما جاء في صفة أمة محمد: «أناجيلهم في صدورهم»، فسمَّى الكتب التي يقرؤونها - وهي القرآن - أناجيل.

وكذلك في التوراة: «إني سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم أنزل عليه توراة مثل توراة موسى»، فسمى الكتاب الثاني توراة.

فقوله: «أخْبِرْني بصفة رسول الله ﷺ في التوراة» قد يراد بها نفس الكتب المتقدمة كلها، وكلها تسمى توراة، ويكون هذا في بعضها.

وقد يراد به التوراة المعينة، وعلى هذا فيكون هذا في نسخة لم ينسخ منها هذه النسخ» [الجواب الصحيح: ٥/ ١٥٦].

http://kotob.has.it

٨- **تكون الرياسة على كتف نبينا محمد ﷺ:**

يقول إشعيا متحدثاً عن الأمة العربية التي كانت تعيش في الجاهلية في الظلمات، فأرسل الله إليها الوحي فاستنارت بنوره: «٢اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ» [إشعيا، الإصحاح التاسع: ٢]. وقال في [الإصحاح نفسه: ٦-٧] «٦لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ. ٧لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ».

والشعب السالك في الظلمة هو الأمة العربية في جاهليتها، فقد كانت تعيش في ظلمات شديدة بعضها فوق بعض، ظلمات الشرك والكفر، والنور الذي رأته هو نور الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، وتضمنه القرآن الكريم.

لقد أشرق على الجالسين في أرض الموت - وهي صحراء الجزيرة العربية - النور الإلهي الرباني، فأصبحوا علماء فقهاء صالحين.

والولد الذي يولد هو نبينا محمد ﷺ، ومراده بالرياسة التي على كتفه خاتم النبوة على كتفه، ففي صحيح البخاري ومسلم عن السائب بن يزيد قال: «ذهبت بي خالتي إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إنَّ ابن أختي وجع، فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، مثل زر الحجلة» [البخاري: ١٩٠، ومسلم: ٢٣٤٥].

وقوله: «يدعى اسمه عجيباً» أي: ليس له نظير، لا عند بني إسرائيل، ولا عند العرب، وقوله: «مشيراً إلهاً قديراً» هذا من تحريف بعض الطبعات النصرانية، وذكر السامرائي: أن هذا النص في طبعة لندن سنة ١٨٢٢ «مشاوراً لله» أي: لا يقول من نفسه، ولا يصدر عن هوى، وكونه «أباً أبدياً» أي: لا تنقض طاعته، ولا تنسخ

http://kotob.has.it

شريعته، وهو رئيس السلام، يقر السلام ويدعمه، وينشره، وتحية الإسلام السلام، ولم يكره أحداً في الدين ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقوله: «لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد» أي: تكون القدس جزءاً من مملكته، وهو يقيمها، ويعضدها بالإنصاف والعدل، وقد أصبحت القدس وفلسطين جزءاً من ديار الإسلام، وحكمت بالشريعة الإسلامية، وستكون كذلك إلى الأبد، وقد احتلها النصارى زمناً، فأخرجهم المسلمون منها، واليوم يحتلها اليهود، وعما قريب يخرجون بعد أن نسوء وجوههم [راجع: نبوة محمد: ٢٦٥].

٩- تلألأ الرب من جبال فاران:

أخبرتنا التوراة أن موسى ﷺ بارك بني إسرائيل قبل موته، فقال: «١ جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءِ، وَأَشْرَقَ لَهُ مِنْ سَعِير، وَتَلألأَ مِنْ جِبَالِ فَارَان» [التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون: ١].

وجاء في سفر حبقوق: «٣اَللهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ. سِلاَهْ. جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ» [سفر حبقوق، الإصحاح الثالث: ٣].

وسيناء التي جاء الرب منها هي التي خاطب الله عليها موسى، وسعير التي أشرق عليها قرية تقع شمال مدينة الخليل، بالقرب من مدينة حلحول، وبجوارها جبل سعير، وفاران التي تلألأ من جبالها هي مكة، وقد نزل على رسولنا الوحي في أحد جبالها وهو جبل حراء أعلى جبال مكة، وفي التوراة أن موضع سكنى إسماعيل كان في برية فاران.

قال أبو محمد بن قتيبة فيما نقله عنه ابن تيمية: «مجيء الرب من طور سيناء إنزاله التوراة على موسى من طور سيناء، كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا، وإشراقه من سعير إنزاله الإنجيل على المسيح، وكذلك استعلانه من جبال فاران،

http://kotob.has.it

إنزاله القرآن على محمد ﷺ ، وجبال فاران هي جبال مكـة، وفي التـوراة أن إبـراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران.

وقلنا: دِلّونا على الموضع الذي استعلن منه واسمه فاران، والنبي الـذي أنـزل عليه كتاباً بعد المسيح، وهل تعلمون ديناً ظهـر ظهـور الإسـلام، وفـشا في مـشارق الأرض ومغاربها فشوَّه؟

وجبل فاران هو جبل حراء الذي لا يوجد في مكة جبل أعلى منـه، ومنـه كـان نزول أول الوحي على النبي ﷺ ، والبرية التي بين مكة وطـور سـيناء تـسمى بريـة فاران، ولا يمكن أحداً أن يدعي أنـه نـزل بعـد المـسيح شيء مـن عنـد الله في تلـك الأرض، ولا بعث نبي غير محمد ﷺ ، فعلم أنه لـيس المـراد باسـتعلانه مـن جبـال فاران إلا إرسال محمد ﷺ .

وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر، ونزول الإنجيل مثـل إشراق الـشمس، وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء، ولهـذا قـال: واسـتعلن مـن جبال فاران، فإن النبي ﷺ ظهر بـه نـور الله وهـداه في مـشارق الأرض ومغاربهـا، أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين، كما يظهر نور الـشمس إذا اسـتعلنت في مـشارق الأرض ومغاربها، ولهذا سماه الله سراجاً منـيراً، وسـمى الـشمس سراجـاً وهّاجـاً» [الجواب الصحيح: ٥/ ١٩٩-٢٠٧ باختصار].

ولأجـل وضـوح القـرآن واسـتعلانه قـال حبقـوق: «سـلاه جلالـه غطـى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه».

وهذه الأماكن الثلاث أقسم الله بهـا في القـرآن في قولـه تعـالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ [التين:١-٣] أقسم الله بالأمكنـة الـشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهـر فيهـا نـوره وهـداه، وأنـزل فيهـا كتبـه الثلاثـة: التـوراة، والإنجيل، والقرآن.

http://kotob.has.it

وقد رد ابن القيم رحمه الله تعالى على دعوى اليهود أن فاران هي أرض الشام، وليست أرض الحجاز، وذكر أن هذا من بهتهم وتحريفهم، وذكر أنّ عندهم في التوراة أن إسماعيل لما فارق أباه سكن في «برية فاران»، جاء في التوراة «وأقام إسماعيل في برية فاران» [هداية الحيارى: ص٣٢٠].

قال ياقوت: «فاران: كلمة عبرانية معربة، وهي من أسماء مكة ذكرها في التوراة، قيل: هي اسم لجبال مكة» [معجم البلدان: ٤/ ٢٢٥].

١٠- الأمة الغبية التي يغيظ الله بني إسرائيل بها:

جاء في (سفر التثنية): «٢١هُمْ أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلهًا. أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا. بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ» [سفر التثنية، الإصحاح الثاني والثلاثون: ٢١].

وفي طبعة أخرى هكذا: «هم أغاروني بغير إله، وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة، وأنا أيضاً أغيرهم بغير شعب، وبشعب جاهل أغضبهم».

والمراد بالشعب الجاهل العرب، كان يسمى عصر ما قبل الإسلام الجاهلية قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢].

ونحو هذا النص ما جاء في (إشعياء): «١أَصْغَيْتُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا. وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي. قُلْتُ: هأَنَذَا، هأَنَذَا. لأُمَّةٍ لَمْ تُسَمَّ بِاسْمِي. ٢بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ» [سفر إشعياء، الإصحاح الخامس والستون: ١-٢].

وفي طبعة أخرى هكذا: «طلبني الذين لم يسألوني قبل ووجدني الذين لم يطلبوني قلت: ها أنذا إلى الأمة الذين لم يدعوا باسمي. بسطت يدي طول النهار إلى شعب غير مؤمن الذي يسلك بطريق غير صالح وراء أفكارهم...».

http://kotob.has.it

«فالمراد بالذين لم يسألوني ولم يطلبوني العرب، لأنهم كانوا غير واقعين على ذات الله وصفاته وشرائعه فما كانوا سائلين عن الله وطالبين له كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]» [نبوة محمد: ٢٧٦].

وقد أغاظ الله بني إسرائيل بمحمد ﷺ وبأمته، وامتلأت قلوبهم حسداً عليه بعد بعثته، فحاربوه، وقاتلوه، فنصره الله عليهم، وأخرجهم من جزيرة العرب، وكلُّ هذا زادهم غيظاً وألماً وحسرة.

١١- ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد:

خاطب إشعياء مكة المدينة العاقر التي لم تلد قبل محمد ﷺ نبياً قائلاً لها:

« ١ تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمْخَضْ، لأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ، قَالَ الرَّبُّ. ٢ أَوْسِعِي مَكَانَ خَيْمَتِكِ، وَلْتُبْسَطْ شُقَقُ مَسَاكِنِكِ. لاَ تُمْسِكِي. أَطِيلِي أَطْنَابَكِ وَشَدِّدِي أَوْتَادَكِ، ٣ لأَنَّكِ تَمْتَدِّينَ إِلَى الْيَمِينِ وَإِلَى الْيَسَارِ، وَيَرِثُ نَسْلُكِ أُمَمًا، وَيُعْمِرُ مُدُنًا خَرِبَةً. ٤ لاَ تَخَافِي لأَنَّكِ لاَ تَخْزَيْنَ، وَلاَ تَخْجَلِي لأَنَّكِ لاَ تَسْتَحِينَ. فَإِنَّكِ تَنْسَيْنَ خِزْيَ صِبَاكِ، وَعَارُ تَرَمُّلِكِ لاَ تَذْكُرِينَهُ بَعْدُ. ٥ لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ، وَوَلِيُّكِ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، إِلهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى. ٦ لأَنَّهُ كَامْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ وَمَحْزُونَةِ الرُّوحِ دَعَاكِ الرَّبُّ، وَكَزَوْجَةِ الصِّبَا إِذَا رُذِلَتْ، قَالَ إِلهُكِ. ٧ لُحَيْظَةً تَرَكْتُكِ، وَبِمَرَاحِمَ عَظِيمَةٍ سَأَجْمَعُكِ. ٨ بِفَيَضَانِ الْغَضَبِ حَجَبْتُ وَجْهِي عَنْكِ لَحْظَةً، وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِيٍّ أَرْحَمُكِ، قَالَ وَلِيُّكِ الرَّبُّ. ٩ لأَنَّهُ كَمِيَاهِ نُوحٍ هذِهِ لِي. كَمَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ تَعْبُرَ بَعْدُ مِيَاهُ نُوحٍ عَلَى الأَرْضِ، هكَذَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ أَغْضَبَ عَلَيْكِ وَلاَ أَزْجُرَكِ. ١٠ فَإِنَّ الْجِبَالَ تَزُولُ، وَالآكَامَ تَتَزَعْزَعُ، أَمَّا إِحْسَانِي فَلاَ يَزُولُ عَنْكِ، وَعَهْدُ سَلاَمِي لاَ يَتَزَعْزَعُ، قَالَ رَاحِمُكِ الرَّبُّ. ١١ أَيَّتُهَا الذَّلِيلَةُ الْمُضْطَرِبَةُ غَيْرُ الْمُتَعَزِّيَةِ، هأَنَذَا أَبْنِي بِالأُثْمُدِ حِجَارَتَكِ،

http://kotob.has.it

وَبِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ أُؤَسِّسُكِ، ١٢ وَأَجْعَلُ شُرَفَكِ يَاقُوتًا، وَأَبْوَابَكِ حِجَارَةً بَهْرَمَانِيَّةً، وَكُلَّ تُخُومِكِ حِجَارَةً كَرِيمَةً. ١٣ وَكُلَّ بَنِيكِ تَلاَمِيذَ الرَّبِّ، وَسَلاَمَ بَنِيكِ كَثِيرًا. ١٤ بِالْبِرِّ تُثَبَّتِينَ بَعِيدَةً عَنِ الظُّلْمِ فَلاَ تَخَافِينَ، وَعَنِ الارْتِعَابِ فَلاَ يَدْنُو مِنْكِ. ١٥ هَا إِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ اجْتِمَاعًا لَيْسَ مِنْ عِنْدِي. مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْكِ فَإِلَيْكِ يَسْقُطُ. ١٦ هأَنَذَا قَدْ خَلَقْتُ الْحَدَّادَ الَّذِي يَنْفُخُ الْفَحْمَ فِي النَّارِ وَيُخْرِجُ آلَةً لِعَمَلِهِ، وَأَنَا خَلَقْتُ الْمُهْلِكَ لِيَخْرِبَ. ١٧ كُلُّ آلَةٍ صُوِّرَتْ ضِدَّكِ لاَ تَنْجَحُ، وَكُلُّ لِسَانٍ يَقُومُ عَلَيْكِ فِي الْقَضَاءِ تَحْكُمِينَ عَلَيْهِ. هذَا هُوَ مِيرَاثُ عَبِيدِ الرَّبِّ وَبِرُّهُمْ مِنْ عِنْدِي، يَقُولُ الرَّبُّ» [سفر إشعيا، الإصحاح الرابع والخمسون: ١-١٧].

والعاقر التي يخاطبها إشعياء طالباً منها أن تترنم هي مكة، لأنها لم تلد نبياً قبل رسولنا محمد ﷺ، أما القدس فقد ولدت كثيراً من الأنبياء، فلا يجوز أن يكون الخطاب لها.

وعنى ببني المستوحشة بني إسماعيل، فهم أكثر من أولاد إسحاق الذين أمهم سارة، وقوله: أوسعي مكان خيمتك، يريد به بيان العز والمجد الذي نزل بمكة، فبعد الإسلام عمرت مكة، وكثرت عماراتها، واتسعت، وورث أبناؤها الأمم الخالية، وعمرو المدن الخربة، وقد أصبح ابنها وهو رسول الله ﷺ رب الجنود، وأصبح إله أمة الإسلام هو رب العالمين، بعد أن كان بنو إسرائيل يزعمون أنه ربهم وحدهم.

وقد أخبر بأن عزَّ هذه البلدة قائم دائم إلى يوم الدين، ولذلك فإن الدول العظام تزول وتتزعزع، والأمة الإسلامية باقية إلى يوم القيامة، ومن يرى مكة اليوم، ويرى البناء العظيم للمسجد الحرام، ويرى ما عليه مكة من الأبنية الشامخة يجدها كما تحدث عنها إشعياء، فمكة اليوم تحفة رائعة، برزت أكثر مما كانت عليه في العصور كلها، وكأنما إشعياء واقف اليوم يخاطبها بقوله: «ها أنذا أبني بالأثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أؤسسك، وأجعل شرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل تخومك حجارة للرب، وكلام بنيك تلاميذ الرب، ...» إلخ.

http://kotob.has.it

وقوله: «وكل بنيك تلاميذ الرب» هذا إخبار بما يكون عليه المسلمون من علم، فهم يرثون عن رسولهم ﷺ العلم الإلهي الرباني، ومن نظر في العدد الضخم من العلماء الذين علموا القرآن والسنّة رأى صدق ما خبر به إشعياء.

وفي بقية البشارة إشارة إلى حفظ الله مكة، فلا يتسلط عليها ظالم، ولا ينجح مخرب في تدميرها، فعليها ملائكة تحفظها من الدجال والطاعون.

١٢- قومي استنيري لأنه قد جاء نورك:

هذه نبوءة أخرى يتحدث فيها إشعياء إلى مكة التي يبعث فيها رسول الله ﷺ، وفي هذه النبوءة معاني جديدة غير ما تضمنته النبوءة السابقة، يقول فيها:

«١ قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ. ٢ لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى. ٣ فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ. ٤ اِرْفَعِي عَيْنَيْكِ حَوَالَيْكِ وَانْظُرِي. قَدِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ. جَاءُوا إِلَيْكِ. يَأْتِي بَنُوكِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُحْمَلُ بَنَاتُكِ عَلَى الأَيْدِي. ٥ حِينَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتُنِيرِينَ وَيَخْفُقُ قَلْبُكِ وَيَتَّسِعُ، لأَنَّهُ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ ثَرْوَةُ الْبَحْرِ، وَيَأْتِي إِلَيْكِ غِنَى الأُمَمِ. ٦ تُغَطِّيكِ كَثْرَةُ الْجِمَالِ، بُكْرَانُ مِدْيَانَ وَعِيفَةَ كُلُّهَا تَأْتِي مِنْ شَبَا. تَحْمِلُ ذَهَبًا وَلُبَانًا، وَتُبَشِّرُ بِتَسَابِيحِ الرَّبِّ. ٧ كُلُّ غَنَمِ قِيدَارَ تَجْتَمِعُ إِلَيْكِ. كِبَاشُ نَبَايُوتَ تَخْدِمُكِ. تَصْعَدُ مَقْبُولَةً عَلَى مَذْبَحِي، وَأُزَيِّنُ بَيْتَ جَمَالِي. ٨ مَنْ هؤُلاَءِ الطَّائِرُونَ كَسَحَابٍ وَكَالْحَمَامِ إِلَى بُيُوتِهَا؟ ٩ إِنَّ الْجَزَائِرَ تَنْتَظِرُنِي، وَسُفُنَ تَرْشِيشَ فِي الأَوَّلِ، لِتَأْتِيَ بِبَنِيكِ مِنْ بَعِيدٍ وَفِضَّتُهُمْ وَذَهَبُهُمْ مَعَهُمْ، لاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكِ وَقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَجَّدَكِ. ١٠ وَبَنُو الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكِ، وَمُلُوكُهُمْ يَخْدِمُونَكِ. لأَنِّي بِغَضَبِي ضَرَبْتُكِ، وَبِرِضْوَانِي رَحِمْتُكِ. ١١ وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِمًا. نَهَارًا وَلَيْلاً لاَ تُغْلَقُ. لِيُؤْتَى إِلَيْكِ بِغِنَى الأُمَمِ، وَتُقَادَ مُلُوكُهُمْ. ١٢ لأَنَّ الأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْدِمُكِ تَبِيدُ، وَخَرَابًا تُخْرَبُ الأُمَمُ. ١٣ مَجْدُ لُبْنَانَ إِلَيْكِ يَأْتِي. السَّرْوُ وَالسِّنْدِيَانُ وَالشَّرْبِينُ مَعًا لِزِينَةِ مَكَانِ مَقْدِسِي، وَأُمَجِّدُ مَوْضِعَ رِجْلَيَّ. ١٤ وَبَنُو الَّذِينَ

http://kotob.has.it

قَهَرُوكِ يَسِيرُونَ إِلَيْكِ خَاضِعِينَ، وَكُلُّ الَّذِينَ أَهَانُوكِ يَسْجُدُونَ لَدَى بَاطِنِ قَدَمَيْكِ، وَيَدْعُونَكِ: مَدِينَةَ الرَّبِّ، صِهْيَوْنَ قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ. ١٥ عِوَضًا عَنْ كَوْنِكِ مَهْجُورَةً وَمُبْغَضَةً بِلاَ عَابِرٍ بِكِ، أَجْعَلُكِ فَخْرًا أَبَدِيًّا فَرَحَ دَوْرٍ فَدَوْرٍ. ١٦ وَتَرْضَعِينَ لَبَنَ الأُمَمِ، وَتَرْضَعِينَ ثُدِيَّ مُلُوكٍ، وَتَعْرِفِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُخَلِّصُكِ وَوَلِيُّكِ عَزِيزُ يَعْقُوبَ. ١٧ عِوَضًا عَنِ النُّحَاسِ آتِي بِالذَّهَبِ، وَعِوَضًا عَنِ الْحَدِيدِ آتِي بِالْفِضَّةِ، وَعِوَضًا عَنِ الْخَشَبِ بِالنُّحَاسِ، وَعِوَضًا عَنِ الْحِجَارَةِ بِالْحَدِيدِ، وَأَجْعَلُ وُكَلاَءَكِ سَلاَمًا وَوُلاَتَكِ بِرًّا. ١٨ لاَ يُسْمَعُ بَعْدُ ظُلْمٌ فِي أَرْضِكِ، وَلاَ خَرَابٌ أَوْ سَحْقٌ فِي تُخُومِكِ، بَلْ تُسَمِّينَ أَسْوَارَكِ: خَلاَصًا وَأَبْوَابَكِ: تَسْبِيحًا. ١٩ لاَ تَكُونُ لَكِ بَعْدُ الشَّمْسُ نُورًا فِي النَّهَارِ، وَلاَ الْقَمَرُ يُنِيرُ لَكِ مُضِيئًا، بَلِ الرَّبُّ يَكُونُ لَكِ نُورًا أَبَدِيًّا وَإِلهُكِ زِينَتَكِ. ٢٠ لاَ تَغِيبُ بَعْدُ شَمْسُكِ، وَقَمَرُكِ لاَ يَنْقُصُ، لأَنَّ الرَّبَّ يَكُونُ لَكِ نُورًا أَبَدِيًّا، وَتُكْمَلُ أَيَّامُ نَوْحِكِ. ٢١ وَشَعْبُكِ كُلُّهُمْ أَبْرَارٌ. إِلَى الأَبَدِ يَرِثُونَ الأَرْضَ، غُصْنُ غَرْسِي عَمَلُ يَدَيَّ لأَتَمَجَّدَ. ٢٢ اَلصَّغِيرُ يَصِيرُ أَلْفًا وَالْحَقِيرُ أُمَّةً قَوِيَّةً. أَنَا الرَّبُّ فِي وَقْتِهِ أُسْرِعُ بِهِ» [سفر إشعياء، الإصحاح الستون: ١-٢٢].

يخاطب إشعياء البلد الأمين الذي بعث منه رسول رب العالمين مكة، ويقول لها: «قومي استنيري، لأنه قد جاء نورك» أي بإنزال الله وحيه على عبده ورسوله محمد ﷺ جاءَها نورها، ومجد الربّ أشرق عليها، وقبل ذلك كانت مكة والجزيرة العربية يلفها ظلام دامس، وكانت مئات الأصنام منصوبة حول الكعبة، وفي أنحاء مكة، وقد سمى الله الفترة السابقة للوحي الإلهي: الجاهلية.

وقد أضاء الله بالإسلام مكة، والجزيرة العربية، وسارت في نور الإسلام الأمم، من العرب والفرس والروم والأحباش والترك وغيرهم، ودخل العظماء والزعماء والملوك في دين الإسلام.

ويتحدث إشعياء عن وفود الحجيج الذين يجتمعون إلى مكة من مختلف فجاج الأرض، وتأتي إلى مكة ثروة الأمم، يؤتى إليها بالجمال والأغنام والأبقار

http://kotob.has.it

لتنحر في الحج تقرباً إلى الله، ويؤتى إليها بمختلف البضائع ليتاجر به، وتقام هناك الأسواق.

إنه مشهد الحجيج يأمون مكة، وانظر إلى هذا الوصف الرائع الذي يصفه إشعياء للذين يؤمون البيت العتيق من كل مكان بقوله: «من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام على بيوتها».

إشعياء يتحدث إلى مكة التي يبني أسوارها ومسجدها ومناسكها بنو الغريب، ومَن مِن الملوك لا يطمع في خدمة هذه المدينة، إنها المدينة التي يبقى مسجدها مفتوحاً بالليل والنهار، ولا تغلق أبوابه، والأعداء الذين حاربوا مكة في الماضي، يصبحون يسجدون إليها بعد أن دخلوا الإسلام.

وبقية النص واضح فيما وصف به إشعياء مكة ومجدها.

١٣- أنتم شهودي وعبدي الذي اخترته:

يقول إشعياء متحدثاً عن محمد ﷺ وأمته:

«٨ أَخرِجِ الشَّعْبَ الأَعْمَى وَلَهُ عُيُونٌ، وَالأَصَمَّ وَلَهُ آذَانٌ. ٩ اِجْتَمِعُوا يَا كُلَّ الأُمَمِ مَعًا وَلْتَلْتَئِمِ الْقَبَائِلُ. مَنْ مِنْهُمْ يُخْبِرُ بِهذَا وَيُعْلِمُنَا بِالأَوَّلِيَّاتِ؟ لِيُقَدِّمُوا شُهُودَهُمْ وَيَتَبَرَّرُوا. أَوْ لِيَسْمَعُوا فَيَقُولُوا: صِدْقٌ. ١٠ أَنْتُمْ شُهُودِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَعَبْدِي الَّذِي اخْتَرْتُهُ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا بِي وَتَفْهَمُوا أَنِّي أَنَا هُوَ. قَبْلِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ. ١١ أَنَا أَنَا الرَّبُّ، وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ. ١٢ أَنَا أَخْبَرْتُ وَخَلَّصْتُ وَأَعْلَمْتُ وَلَيْسَ بَيْنَكُمْ غَرِيبٌ. وَأَنْتُمْ شُهُودِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَنَا اللهُ. ١٣ أَيْضًا مِنَ الْيَوْمِ أَنَا هُوَ، وَلاَ مُنْقِذَ مِنْ يَدِي. أَفْعَلُ، وَمَنْ يَرُدُّ؟» [سفر إشعياء، الإصحاح الثالث والأربعون: ٨-١٢].

ويتحدث إشعياء في هذا النص عن أمة محمد ﷺ الذين وصفهم بـ «الشعب الأعمى وله عيون، والأصم وله آذان». وهؤلاء هم العرب في جاهليتهم، الذين

http://kotob.has.it

كانوا يعبدون الأوثان، ويسجدون للأصنام، وقد أرسل الله إليهم عبده ورسوله محمداً ﷺ ففتح الله به عيوناً عمياً، وآذاناً صماً.

وقد أمر الله في هذا النص الأمم كلها أن تجتمع على الإسلام، وأن تلتئم القبائل على هذا الدين، لأن رسولنا ﷺ حمل هذا الدين للناس كلهم، وكل من دخل في الإسلام فهو صالح لحمله، وقد حمل هذا الدين علماء من الفرس والروم والترك والبربر والأكراد وغيرهم، وهذا معنى قوله: «من منهم يخبر بهذا ويعلمنا بالأولويات» وهؤلاء هم العلماء والدعاة من مختلف الشعوب والأجناس الذين فقهوا هذا الدين، وأصبحوا علماء يعلمون الناس، ويعرفونهم بالأولويات.

والله يقول لهذه الأمة، أمة الإسلام: «ليقدموا شهودهم، ليتبرَّروا... أنتم شهودي يقول الرب» فالأمة الإسلامية تشهد على غيرها بالبلاغ في الدنيا، وتشهد للأنبياء السابقين الذين حدثنا الله عنهم أنهم بلغوا أقوامهم ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

وقوله: «وعبدي الذي اخترته» هو محمد ﷺ الذي اختاره الله على العالمين، فهو أفضل الأنبياء والمرسلين.

وقد أرسل الله عبده ورسوله محمداً ﷺ لكي يعرف بالله، ويدعو إلى الإيمان به، ويعلموا أنه وحده الإله المعبود الحق، وغيره من الآلهة باطل.

١٤- لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال:

أشارت بعض نصوص التوراة إلى مكان هجرة الرسول ﷺ، ففي [سفر إشعياء الإصحاح الثاني والأربعون: ١١-١٢] «١١لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا. ١٢لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ».

وقيدار أحد أبناء إسماعيل كما جاء في سفر التكوين، الإصحاح الخامس والعشرون: ١٣.

http://kotob.has.it

والأمة الإسلامية هي التي ترتفع أصوات المؤذّنين فيها في كل يوم خمس مرات يكبرون الله، ويشهدون له بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة، وينادون إلى الصلاة والفلاح، ويكبرون الله في أعيادهم في مساجدهم وطرقاتهم وفي بيوتهم، ويكبرون الله، ويلبون له في حجِّهم وعمراتهم، وفي أسفارهم سواءً أكانوا راكبين أو ماشين، يكبرون الله، ويسبحونه، ويحمدونه، ويعظمونه، وتتحدث هذه البشارة عن قوة الدولة الإسلامية، فهناك الجيوش المنحدرة عبر البحار، والجيوش البرية التي غزت القريب والبعيد، وهذه البشارة تتحدث إلى مكة والمدينة، فمكة مساكن أبناء قيدار، وقيدار ابن إسماعيل، وسالع هو سلع أحد جبال المدينة المنورة التي هاجر رسولنا ﷺ إليها.

وبهذه البشارات المسطورة في التوراة كان اليهود في الجاهلية قبل الإسلام يعلمون المكان الذي يبعث فيه نبينا، والمكان الذي يهاجر إليه.

١٥- وقف وقاس الأرض، نظر فرجفت الأمم:

جاء في سفر حبقوق: «٣ اَللهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ. سِلاَهْ. جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ. ٤ وَكَانَ لَمَعَانٌ كَالنُّورِ. لَهُ مِنْ يَدِهِ شُعَاعٌ، وَهُنَاكَ اسْتِتَارُ قُدْرَتِهِ. ٥ قُدَّامَهُ ذَهَبَ الْوَبَأُ، وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْحُمَّى. ٦ وَقَفَ وَقَاسَ الأَرْضَ. نَظَرَ فَرَجَفَ الأُمَمُ وَدُكَّتِ الْجِبَالُ الدَّهْرِيَّةُ وَخَسَفَتْ آكَامُ الْقِدَمِ. مَسَالِكُ الأَزَلِ لَهُ» [سفر حبقوق، الإصحاح الثالث: ٣-٦].

المراد بـ «تيمان» جهة الجنوب، وهي مكة، والمراد بالقدوس الذي جاء من جبل فاران نبينا محمد ﷺ، وجبل فاران جبل حراء في مكة، وفي غار حراء كان أول نزول الوحي على نبينا محمد ﷺ، جلاله غطى السموات، أي: عظمته، وامتلأت الأرض من تسبيح المسلمين.

يقول النص: «وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع، وهناك استنار قدرته» ثم يقول: «وقف وقاس الأرض نظر، فرجفت الأمم...» والذي يبدو لي أن هذا النص

http://kotob.has.it

يتحدث عن حادثة بعينها، وهي ما وقع منه ﷺ في غزوة الخندق، عندما أعجزت صخرة الصحابة أثناء حفر الخندق، فجاء الرسول ﷺ فضربها ضربة عظيمة أسقطت ثلثها وخرج منها نور فكبر الرسول ﷺ فكبر أصحابه، ثم الثانية فالثالثة، وقد أخبر الرسول ﷺ أنه رأى بالنور الأول قصور الشام، وبالنور الثاني قصور فارس، وبالنور الثالث أبواب صنعاء.

روى النسائي وأحمد بإسناد حسن من حديث البراء بن عازب قال: لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا ذلك إلى النبي ﷺ ، فجاء فأخذ المعول فقال: «باسم الله» ، فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة»، ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الثاني، فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض»، ثم ضرب الثالثة، وقال: «باسم الله»، فقطع بقية الحجر، فقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة».

وفي رواية الطبراني: «فضرب الصخرة وبرق منها برقة فكبّر وكبّر المسلمون»، وفيه «إن البرقة الأولى أضاءت لها قصور الشام، فأخبرني جبريل أن أمته ظاهرة عليهم...».

تأمل النص الذي أوردنا مرة أخرى «لمعان كالنور له من يده، وشعاع وهناك استنار قدرته.. وقف وقاس الأرض نظر..».

وتأمل في الأحاديث التي أوردناها أليست هذه الواقعة تأويل لتلك البشارة؟

١٦- قدامه ذهب الوبا وعند رجليه خرجت الحمى:

جاء في البشارة السابقة في [سفر حبقوق، الإصحاح الثالث: ٥]: «٥ قُدَّامَهُ ذَهَبَ الْوَبَأُ، وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْحُمَّى»، وهذه - الله - بشارة صريحة لا تحتمل

http://kotob.has.it

تأويلاً، فالمدينة قبل مجيء الرسول ﷺ كانت موبوءة بالحمى، وفي الحديث عن ابن عباس أن الرسول ﷺ وأصحابه عندما قدموا مكة للعمرة - وهي العمرة المعروفة بعمرة القضاء - قال المشركون: «إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمّى يثرب» [رواه البخاري].

وقد أصابت هذه الحمى صحابة الرسول ﷺ أول قدومهم المدينة، فدعا رسول الله ﷺ ربه كي يذهب الحمى.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وُعك أبو بكر وبلال. قالت: فدخلت عليهما، فقلت: يا أبت كيف تَجِدُكَ؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كلُّ امرئ مُصبَّح في أهلهِ ... والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أُقلع عنه الحمّى يرفع رأسه ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة ... بوادٍ وحولي إذخِرٌ وجليل
وهل أردنْ يوماً مياه مجِنَّة ... وهل يبدونْ لي شامة وطفيل

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «اللهمَّ حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدّ، وصَحِّحها، وبارك لنا في صاعها ومدِّها، وانقل حمّاها فاجعلها بالجحفة» رواه البخاري، وزاد البخاري في آخر كتاب الحج: «ثم يقول بلال: اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء».

إذن كانت يثرب موبوءة بالحمى، لا يكاد يدخلها أحد إلا أصابته.

وقد استجاب الله لنبيه ﷺ فنقل عنها الحمى، وصححها، ومنع عن المدينة الطاعون، ففي الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده عن أبي عسيب مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام بالحمّى والطاعون، فأمسكت

http://kotob.has.it

الحمى بالمدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام». وإمساكه الحمى بالمدينة لعله كان في بداية الأمر، ثم أمر بإرسالها إلى الجحفة، أو أن المراد بإمساكها بالمدينة المنطقة التي فيها المدينة، ذلك أن الجحفة تقع قرب المدينة. وعلى كل فالبشارة واضحة وقعت كما أخبرت التوراة [الرسل والرسالات، للمؤلف: ص١٦٨].

١٧- هاتوا ماءً لملاقاة العطشان:

قال إشعياء متحدثاً عن وحي من جهة بلاد العرب: «١٣ وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ: فِي الْوَعْرِ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ تَبِيتِينَ، يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ. ١٤ هَاتُوا مَاءً لِمُلاَقَاةِ الْعَطْشَانِ، يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ. وَافُوا الْهَارِبَ بِخُبْزِهِ. ١٥ فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ، وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ، وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ. ١٦ فَإِنَّهُ هكَذَا قَالَ لِيَ السَّيِّدُ: «فِي مُدَّةِ سَنَةٍ كَسَنَةِ الأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ، ١٧ وَبَقِيَّةُ عَدَدِ قِسِيِّ أَبْطَالِ بَنِي قِيدَارَ تَقِلُّ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ» [سفر إشعياء، الإصحاح الحادي والعشرون: ١٣-١٧].

هذه البشارة من النبي إشعياء تطلب من سكان تيماء، وهي قرية قريبة من المدينة المنورة أن يقدموا الماء والخبز للهارب الذي يمرُّ بهم، وهذا الهارب هرب من سيوف أعدائه، ومن شدّة الحرب، فقريش كانت قد عزمت على قتل الرسول ﷺ، فلما خرج جعلوا لمن يأتي به حيّاً أو ميتاً مائة ناقة، ومائة أخرى لمن يأتي بصاحبه أبي بكر.

وأخبرت البشارة أن ملك رسولنا ﷺ سيقوى ويشتد في سنة كسنة الأجير، وسيفنى الرسول ﷺ وأصحابه مجد قيدار، وسيقلّ سلاح بني قيدار، وقيدار أحد أبناء إسماعيل، وقريش من ذريته، وقد وقع هذا الإفناء في معركة بدر، فقد قتل المسلمون سبعين من أهل مكة كثير منهم من الزعماء والرؤساء، وقلّت أسلحة قريش كثيراً بعد المعركة وكانت معركة بدر في السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة، ووصل الرسول ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول، أي كان بين الهجرة وغزة بدر قريباً من سنة وثلاثة أشهر، ويبدو أن سنة الأجير كانت كذلك.

http://kotob.has.it

١٨- أقيم لهم نبياً من وسط إخوتك مثلك:

ذكر سفر التثنية أن الله قال لموسى عليه السلام أنه يقيم له الرب إلهه نبياً من وسط إخوته مثله، يجب على بني إسرائيل طاعته والسماع له، وذكر أنه يجعل كلامه في فمه، ونص ما جاء في هذا السفر:

«١٥ يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ» [سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر: ١٥]

ثم قال: «١٨ أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. ١٩ وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ. ٢٠ وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاماً لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ» [سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر: ١٨-٢٠].

أخبر هذا النص المسطور في أحد أسفار موسى أن الله قال لموسى عليه السلام: إنه سيقيم لبني إسرائيل نبياً من وسط إخوتهم، يجب عليهم الاستماع إليه وطاعته، ولم يبعث في إخوة بني إسرائيل نبي غير محمد ﷺ، والعرب أبناء إسماعيل هم إخوة بني إسرائيل، ورسولنا ﷺ من وسط أولاد إسماعيل، فقد كان في الذروة من قريش نسباً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران:١٦٤] وهذا النبي الذي ذكره هذا النص في التوراة لا يمكن أن ينطبق على واحد من أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى، لأن النص أخبر أنه يكون نبياً مثل موسى، وقد أخبرت التوراة أنه: «لم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الربُّ وجهاً لوجه» [سفر التثنية، الإصحاح الرابع والثلاثون: ١٠] وقد كان رسولنا ﷺ كما أخبر هذا النصُّ، فقد أنزل الله عليه القرآن وحياً يتلى، وجعل الله كلامه في فمه.

http://kotob.has.it

وقد جعل الله طاعة هذا الرسول ﷺ واجبة على بني إسرائيل، لأن رسولنا مرسل إلى الناس جميعاً، وفيهم اليهود والنصارى، وقد أثنى الله - تبارك وتعالى - على الذين اتبعوا رسولنا، ففي القرآن أن الله قال لبني إسرائيل في عهد موسى بعد أن أخذت الرجفةُ السبعين الذين اختارهم لميقاته، قال: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٦-١٥٧].

وقد ذكر هذا النص صفة نبينا ﷺ ، فهو صاحب شريعة مثله مثل موسى، وجعل الله كلامه في فمه، فقد جاءه الوحي بكلام الله يحمله جبريل عليه السلام فألقاه عليه، فحفظه، وبلغه أصحابه، وكان رسولنا ﷺ يكلم صحابته بما يوصيه الله، والذي يرفض ما يأمره به رسولنا ﷺ يعاقبه الله، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسم الله كلاماً لم يوصه الله به، فإن ذلك النبي يموت، ومصداق ذلك في كلام الله ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة:٤٣-٤٦].

وذكر السامرائي أن أحبار بني إسرائيل حملوا هذه البشارة على يوشع بن نون، وهذا غير صحيح، لأن يوشع من بني إسرائيل، لا من إخوانهم، وهو متَّبع لشريعة موسى، وليس بصاحب شريعة مثل موسى، ولم يكن كلام الله في فم يوشع، والنص يقول: إن كلام الله في فم ذلك النبي.

وقد جاء في التوراة أنه لا يوجد في بني إسرائيل نبي مثل موسى، لا يوشع ولا غيره.

وقد ردّ ابن القيم رحمه الله تعالى على النصارى الذين حملوا هذه البشارة على المسيح، لأن المسيح من بني إسرائيل، والبشارة ستقع بنبي من إخوة بني إسرائيل، لا من بني إسرائيل، وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل.

http://kotob.has.it

وقوله في البشارة «مثلك» يردُّ على من حمل البشارة على نبي من بني إسرائيل، فالنبي الذي سيقيمه الله صاحب شريعة عامة مثل موسى، وهذا يبطل قول كل من حمله على نبي من أنبياء بني إسرائيل، مثل هارون ويوشع.

وادعى بعض اليهود أن البشارة على حذف الاستفهام، أي أأقيم، ومن تأمل النص ظهر له كذب قولهم [هداية الحيارى: ٣١٦].

١٩- الحجر الذي قطع بغير يدين فضرب قدمي التمثال فانسحق:

التعريف بدانيال:

ذكر نبي الله دانيال نبينا محمداً ﷺ وأمته كثيراً، وكان دانيال أحد أنبياء بني إسرائيل، وكان أحد الذين سباهم نبوخذ نصر بعد أن قضى على دولتهم، وهدم مدينتهم، وقد عمل دانيال في قصر الملك بعد وصوله إلى بابل، وتوفي دانيال في فارس، واحتفظ الفرس بجسده عندما توفي، وبقي محفوظاً في دار حتى احتل المسلمون مدينة «تستر» التي كان موجوداً فيها، والإسناد الذي يدلُّ على عثور المسلمين على جثة دانيال إسناد صحيح كما يقول العلاّمة ابن كثير، قال ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية: قال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن أبي خلدة بن دينار، حدثنا أبو العالية، قال: «لما افتتحنا (تستر)، وجدنا في مال بيت الهرمزان سريراً، عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعباً فنسخه بالعربية؛ فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذاً، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيركم، وأموركم، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان بالليل دفناه، وسوينا القبور كلها، لنعميه على الناس فلا ينبشونه.

قلت: فما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون، قلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال رجل يقال له دانيال، قلت: منذ كم

http://kotob.has.it

وجدتموه قد مات؟ قال: منذ ثلثمائة سنة، قلت: ما تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع».

وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية، ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثلثمائة سنة فليس بنبي، بل هو رجل صالح، لأن عيسى ابن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في البخاري، والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة، وقيل: ستمائة، وقيل: ستمائة وعشرون سنة، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة، وهو قريب من وقت دانيال، إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في الأمر نفسه، فإنه قد يكون رجلاً آخر إما من الأنبياء أو الصالحين، ولكن قربت الظنون أنه دانيال، لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس، فأقام عنده مسجوناً كما تقدم.

تفسير دانيال لرؤيا الملك:

رأى بختنصر رؤيا أزعجته، وطلب من الذي يفسر له الرؤيا أن يخبره بها قبل أن يفسرها، ولم يستطع أحد سوى دانيال أن يفسرها، لأن الله أوحى له بالرؤيا وتفسيرها، قال دانيال في الرؤيا التي رآها الملك:

«٣١ أَنْتَ أَيُّهَا المَلِكُ كُنْتَ تَنْظُرُ وَإِذَا بِتِمْثَالٍ عَظِيمٍ. هذَا التِّمْثَالُ الْعَظِيمُ الْبَهِيُّ جِدًّا وَقَفَ قُبَالَتَكَ، وَمَنْظَرُهُ هَائِلٌ. ٣٢ رَأْسُ هذَا التِّمْثَالِ مِنْ ذَهَبٍ جَيِّدٍ. صَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ. بَطْنُهُ وَفَخْذَاهُ مِنْ نُحَاسٍ. ٣٣ سَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ. قَدَمَاهُ بَعْضُهُمَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ. ٣٤ كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَى أَنْ قُطِعَ حَجَرٌ بِغَيْرِ يَدَيْنِ، فَضَرَبَ التِّمْثَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ اللَّتَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ وَخَزَفٍ فَسَحَقَهُمَا. ٣٥ فَانْسَحَقَ حِينَئِذٍ الْحَدِيدُ وَالْخَزَفُ وَالنُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ مَعًا، وَصَارَتْ كَعُصَافَةِ الْبَيْدَرِ فِي الصَّيْفِ، فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مَكَانٌ. أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التِّمْثَالَ فَصَارَ جَبَلاً كَبِيرًا وَمَلأَ الأَرْضَ كُلَّهَا. ٣٦ هذَا هُوَ الْحُلْمُ. فَنُخْبِرُ بِتَعْبِيرِهِ قُدَّامَ المَلِكِ. ٣٧ أَنْتَ أَيُّهَا المَلِكُ مَلِكُ مُلُوكٍ، لأَنَّ إِلهَ السَّمَاوَاتِ أَعْطَاكَ مَمْلَكَةً وَاقْتِدَارًا وَسُلْطَانًا وَفَخْرًا. ٣٨

http://kotob.has.it

وَحَيْثُمَا يَسْكُنُ بَنُو الْبَشَرِ وَوُحُوشُ الْبَرِّ وَطُيُورُ السَّمَاءِ دَفَعَهَا لِيَدِكَ وَسَلَّطَكَ عَلَيْهَا جَمِيعِهَا. فَأَنْتَ هذَا الرَّأْسُ مِنْ ذَهَبٍ. ٣٩ وَبَعْدَكَ تَقُومُ مَمْلَكَةٌ أُخْرَى أَصْغَرُ مِنْكَ وَمَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مِنْ نُحَاسٍ فَتَتَسَلَّطُ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ. ٤٠ وَتَكُونُ مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ صَلْبَةٌ كَالْحَدِيدِ، لأَنَّ الْحَدِيدَ يَدُقُّ وَيَسْحَقُ كُلَّ شَيْءٍ. وَكَالْحَدِيدِ الَّذِي يُكَسِّرُ تَسْحَقُ وَتُكَسِّرُ كُلَّ هؤُلاَءِ. ٤١ وَبِمَا رَأَيْتَ الْقَدَمَيْنِ وَالأَصَابعَ بَعْضُهَا مِنْ خَزَفٍ وَالْبَعْضُ مِنْ حَدِيدٍ، فَالْمَمْلَكَةُ تَكُونُ مُنْقَسِمَةً، وَيَكُونُ فِيهَا قُوَّةُ الْحَدِيدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّكَ رَأَيْتَ الْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا بِخَزَفِ الطِّينِ. ٤٢ وَأَصَابعُ الْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ، فَبَعْضُ الْمَمْلَكَةِ يَكُونُ قَوِيًّا وَالْبَعْضُ قَصِمًا. ٤٣ وَبِمَا رَأَيْتَ الْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا بِخَزَفِ الطِّينِ، فَإِنَّهُمْ يَخْتَلِطُونَ بِنَسْلِ النَّاسِ، وَلكِنْ لاَ يَتَلاَصَقُ هذَا بِذَاكَ، كَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ لاَ يَخْتَلِطُ بِالْخَزَفِ. ٤٤ وَفِي أَيَّامِ هؤُلاَءِ الْمُلُوكِ، يُقِيمُ إِلهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا، وَمَلِكُهَا لاَ يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هذِهِ الْمَمَالِكِ، وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ. ٤٥ لأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّهُ قَدْ قُطِعَ حَجَرٌ مِنْ جَبَل لاَ بِيَدَيْنِ، فَسَحَقَ الْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ وَالْخَزَفَ وَالْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ. اَللهُ الْعَظِيمُ قَدْ عَرَّفَ الْمَلِكَ مَا سَيَأْتِي بَعْدَ هذَا. اَلْحُلْمُ حَقٌّ وَتَعْبِيرُهُ يَقِينٌ» [إشعياء، الإصحاح الثاني: ٣١-٤٥].

وهذه الرؤيا التي رآها بختنصر مفسرة، فسرها له دانيال، وقد أعلم دانيال الملك أن المراد بالمملكة الأولى مملكته هو، أي مملكة بختنصر، والمملكة الثانية سلطنة المادئين الذين تسلطوا بعد قتل بلشاصر بن بختنصر كما هو مصرح في الباب الخامس من الكتاب المذكور، وسلطنتهم كانت ضعيفة بالنسبة إلى سلطنة الكلدانيين.

والمراد بالمملكة الثالثة سلطنة الكيانيين، لأن قورش ملك إيران الذي هو بزعم القسيسين كيخسرو تسلط على بابل قبل ميلاد المسيح بخمسمائة وست وثلاثين سنة، ولما كان الكيانيون على السلطنة القاهرة فكأنهم كانوا متسلطين على جميع الأرض. والمراد بالمملكة الرابعة سلطنة إسكندر بن فيلفوس الرومي الذي

http://kotob.has.it

تسلط على ديار فارس قبل ميلاد المسيح بثلثمائة وثلاثين سنة، فهذا السلطان كان في القوة بمنزلة الحديد، ثم جعل هذا السلطان سلطنة فارس منقسمة على طوائف الملوك، فبقيت هذه السلطة ضعيفة إلى ظهور الساسانيين، ثم صارت قوية بعد ظهورهم، فكانت ضعيفة تارة وقوية تارة. وتولد في عهد نوشيروان رسولنا محمد ابن عبدالله ﷺ، وأعطاه الله السلطنة الظاهرية والباطنية، وقد تسلط متبعوه في مدة قليلة شرقاً وغرباً وعلى جميع ديار فارس التي كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقتين بها، فهذه هي السلطنة الأبدية التي لا تنقضي وملكها لا يعطى لشعب آخر. [عزاه السامرائي لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي. انظر: نبوة محمد: ص٢٨١].

والأمر الذي يعنينا في هذه الرؤيا الحجر الذي قطع بغير يدين، فضرب التمثال فانسحق، هذا الحجر كما قال دانيال هو المملكة التي لا تنقرض والتي يقيمها إله السموات، وتفنى الممالك، وتبقى هي، وهذه الدولة هي الأمة الإسلامية أمة محمد ﷺ.

٢٠- يرسل الله ملاكه فيأتي بغتة السيد الذي يطلبونه إلى الهيكل:

قال ملاخي في [الإصحاح الثالث: ١]: «١هأَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَ ذَا يَأْتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ».

هذا النص الذي في ملاخي يتحدث عن الإسراء، فقد أرسل الله - تبارك وتعالى - جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ في مكة قبل الهجرة، فشقَّ له صدره، وغسله من زمزم، وحشاه إيماناً وحكمة، وأركبه البراق، وأسرى به بسرعة خارقة إلى الهيكل أي المسجد الأقصى، حيث صلى هناك بالأنبياء إماماً، وقال الله في هذه الواقعة العظيمة عند وقوعها ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١].

والإسراء وقع بغتة كما جاء في كلام ملاخي، فلم يكن يعلم به أحد، لا رسولنا، ولا أحد من أصحابه، ولا غيرهم.

http://kotob.has.it

وقوله: «يأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه» فالهيكل الذي هـو المسجد الأقصى، وقد أصبح داخلاً فيما أعطاه لعبده ورسوله محمد ﷺ وأمته. وهم يطلبـون محمداً ﷺ، لأنه مرسل إليهم، كما هو مرسل إلى الناس كلهـم، ومـلاك العهـد هـو جبريل عليه السلام الذي صحب رسولنا ﷺ في إسرائه ثم في العروج به إلى السماء.

٢١- مجد المسجد الأقصى الأخير أعظم من مجده الأول:

تحدث حجّي عما سيكون عليه المسجد الأقصى بعد أن يصير إلى أمة الإسلام، فقال: « قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: هِيَ مَرَّةٌ، بَعْدَ قَلِيلٍ، فَأُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَابِسَةَ، ٧ وَأُزَلْزِلُ كُلَّ الأُمَمِ. وَيَأْتِي مُشْتَهَى كُلِّ الأُمَمِ، فَأَمْلأُ هذَا الْبَيْتَ مَجْدًا، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. ٨لِي الْفِضَّةُ وَلِي الذَّهَبُ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. ٩ مَجْدُ هـذَا الْبَيْتِ الأَخِيرِ يَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ مَجْدِ الأَوَّلِ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. وَفِي هذَا الْمَكَانِ أُعْطِي السَّلاَمَ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ» [حجي: الإصحاح الثاني: ٦-٩].

مشتهى الأمم هو رسولنا محمد ﷺ الذي بعثه الله للناس جميعاً، وأصبح كـل من آمن به يحبّه، ويصلي ويسلم عليه، وهو مستعد لأن يفديه بماله ونفسه، وقد زلزل الله السموات والأرض ببعثته، وقد ملأ الله المسجد الأقصى ببعثـة محمـد ﷺ مجداً، فقد بناه عمر بن الخطاب، وجدد بناءه آخرون من بعده، وعظمه المسلمون وقدّسـوه، وقصدوه للصلاة فيه من كل أنحاء الأرض، فكـان مجـد هـذا المسجد في الإسـلام أعظم من مجده عند بني إسرائيل.

والسلام قد حلَّ بالمسجد الأقصى بعـد فـتح المسلمين لـبلاد الـشام، وفيهـا القدس، وعندما احتله الصليبيون لم يـزل المسلمون يحـاربونهم حتـى أعـادوه إلى حضن المسلمين، واليوم احتله اليهود، وسيعيده المسلمون بحول الله وقوته، ويحل السلام الأعظم في القدس بعد نزول عيـسى ابـن مـريم، وقتلـه الـدجال في آخـر الزمان.

http://kotob.has.it

٢٢- المسجد الأقصى يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال:

قال إشعياء في حديثه عن المسجد الأقصى آخر الزمان: «١اَلأُمُورُ الَّتِي رَآهَا إشعياءُ بْنُ آمُوصَ مِنْ جِهَةِ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ:

«٢ وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ. ٣ وَتَسِيرُ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ، وَيَقُولُونَ: «هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى بَيْتِ إِلهِ يَعْقُوبَ، فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ». لأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ، وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ. ٤ فَيَقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ وَيُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ» [سفر إشعياء: الإصحاح الثاني: ١-٤].

ومراد إشعياء ببيت الرب المسجد الأقصى، وذكر إشعياء أنه يكون معظماً مقدساً في ذلك الزمان، وقد أصبح كذلك بعد أن فتح الخليفة الراشد القدس، وبنى المسجد الأقصى وأقامه وطهَّره، ومن ذلك اليوم فإن جميع الشعوب الإسلامية تقصده للصلاة فيه، فهو أحد المساجد الثلاثة التي لا يجوز شدُّ الرحال إلى غيرها، كما أخبرنا رسولنا ﷺ.

وذكر إشعياء أن شعوب كثيرة تسير إليه، لا كما كان الحال في زمن بني إسرائيل الأول، فكان الذي يقدسه بنو إسرائيل وحدهم، أما بعد بعثه الرسول ﷺ واستجابة الأمم والشعوب على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم أصبحوا يقدسونه جميعاً.

والمراد بالشريعة التي ذكر إشعياء أنها تخرج من صهيون الشريعة الإسلامية، ولذلك قال إشعياء: يقضي بين الأمم، والقاضي هو عيسى عليه السلام بعد نزوله في آخر الزمان، والمقضي فيه جميع الأمم التي استجابت له، لأنَّ الله يهلك الأديان في ذلك الوقت إلا الإسلام، ويحكم بشريعة القرآن، وعند ذلك يحل السلام في الأرض، وينتهي الحرب والقتال، ويأمن كل الناس على أنفسهم وأهليهم وأموالهم.

http://kotob.has.it

٢٣- افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة:

في سفر إشعياء نصٌّ يصف فتح المسلمين لمدينة القدس، جاء في إشعياء:

«١ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يُغَنَّى بِهذِهِ الأُغْنِيَّةِ فِي أَرْضِ يَهُوذَا: لَنَا مَدِينَةٌ قَوِيَّةٌ. يَجْعَلُ الْخَلاَصَ أَسْوَارًا وَمَتْرَسَةً. ٢ اِفْتَحُوا الأَبْوَابَ لِتَدْخُلَ الأُمَّةُ الْبَارَّةُ الْحَافِظَةُ الأَمَانَةَ. ٣ ذُو الرَّأْيِ الْمُمَكَّنِ تَحْفَظُهُ سَالِمًا سَالِمًا، لأَنَّهُ عَلَيْكَ مُتَوَكِّلٌ. ٤ تَوَكَّلُوا عَلَى الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ، لأَنَّ فِي يَاهَ الرَّبِّ صَخْرَ الدُّهُورِ. ٥ لأَنَّهُ يَخْفِضُ سُكَّانَ الْعَلاَءِ، يَضَعُ الْقَرْيَةَ الْمُرْتَفِعَةَ. يَضَعُهَا إِلَى الأَرْضِ. يُلْصِقُهَا بِالتُّرَابِ. ٦ تَدُوسُهَا الرِّجْلُ، رِجْلاَ الْبَائِسِ، أَقْدَامُ الْمَسَاكِينِ» [سفر إشعياء، الإصحاح الحادي والعشرون: ١-٦].

ومراد إشعياء بالمدينة القوية مدينة القدس، والأمة البارة التي أمر الحراس بفتح الأبواب لها هي الأمة الإسلامية في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وقد وصف هذه الأمة بأنها بارّة حافظة للأمانة.

والذي يظهر لي أن ذا الرأي الممكن الذي يحفظه الله سالماً سالماً، لأنه متوكل على الله هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، فالقدس فتحت على يديه، وقد أبى سكانها تسليمها لغيره.

٢٤- لا ينامون ولا تنحل حُزُم أحقائهم:

يتحدث إشعياء عن صفة أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم على إثرهم، ويذكر سرعة استجابتهم للحق، وقدرتهم على فعل ما يوكل إليهم، وفي ذلك يقول:

«٢٦ فَيَرْفَعُ رَايَةً لِلأُمَمِ مِنْ بَعِيدٍ، وَيَصْفِرُ لَهُمْ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ، فَإِذَا هُمْ بِالْعَجَلَةِ يَأْتُونَ سَرِيعًا. ٢٧ لَيْسَ فِيهِمْ رَازِحٌ وَلاَ عَاثِرٌ. لاَ يَنْعَسُونَ وَلاَ يَنَامُونَ، وَلاَ تَنْحَلُّ حُزُمُ أَحْقَائِهِمْ، وَلاَ تَنْقَطِعُ سُيُورُ أَحْذِيَتِهِمْ. ٢٨ الَّذِينَ سِهَامُهُمْ مَسْنُونَةٌ، وَجَمِيعُ قِسِيِّهِمْ مَمْدُودَةٌ. حَوَافِرُ خَيْلِهِمْ تُحْسَبُ كَالصَّوَّانِ، وَبَكَرَاتُهُمْ كَالزَّوْبَعَةِ. ٢٩ لَهُمْ

http://kotob.has.it

زَمْجَرَةٌ كَاللَّبْوَةِ، وَيُزَمْجِرُونَ كَالشِّبْلِ، وَيَهِرُّونَ وَيُمْسِكُونَ الْفَرِيسَةَ وَيَسْتَخْلِصُونَهَا وَلاَ مُنْقِذَ. ٣٠ يَهِرُّونَ عَلَيْهِمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ كَهَدِيرِ الْبَحْرِ. فَإِنْ نُظِرَ إِلَى الأَرْضِ فَهُوَذَا ظَلاَمُ الضِّيقِ، وَالنُّورُ قَدْ أَظْلَمَ بِسُحُبِهَا» [سفر إشعياء، الإصحاح الخامس: ٢٦-٣٠].

ومن يستحضر صفة صحابة رسولنا ﷺ والمجاهدين من بعدهم السائرون على دربهم يجد صدق حديث إشعياء فيما تحدث به عنهم، فهم يستجيبون سريعاً عندما يدعون للنفير، وهم مستعدون للحروب والقتال، ليس فيهم رازح ولا عاثر، لا ينعسون ولا ينامون، أسلحتهم معدة، وسهامهم مسنونة، وقسيهم ممدودة، إنه وصف رائع للمجاهدين من هذه الأمة.

٢٥- إسقاط الجيوش الإسلامية تماثيل بابل:

يحدثنا إشعياء عن الجيش الإسلامي الذي يركب فيه الجنود على الخيل والحمير والجمال، والذي دمر الأصنام والتماثيل التي اتخذها البشر آلهة من دون الله، قال:

«٦ لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ لِي السَّيِّدُ: «اذْهَبْ أَقِمِ الْحَارِسَ. لِيُخْبِرْ بِمَا يَرَى». ٧ فَرَأَى رُكَّابًا أَزْوَاجَ فُرْسَانٍ. رُكَّابَ حَمِيرٍ. رُكَّابَ جِمَال. فَأَصْغَى إِصْغَاءً شَدِيدًا، ٨ ثُمَّ صَرَخَ كَأَسَدٍ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنَا قَائِمٌ عَلَى الْمَرْصَدِ دَائِمًا فِي النَّهَارِ، وَأَنَا وَاقِفٌ عَلَى الْمَحْرَسِ كُلَّ اللَّيَالِي. ٩ وَهُوَذَا رُكَّابٌ مِنَ الرِّجَالِ. أَزْوَاجٌ مِنَ الْفُرْسَانِ». فَأَجَابَ وَقَالَ: «سَقَطَتْ، سَقَطَتْ بَابِلُ، وَجَمِيعُ تَمَاثِيلِ آلِهَتِهَا الْمَنْحُوتَةِ كَسَّرَهَا إِلَى الأَرْضِ». ١٠ يَا دِيَاسَتِي وَبَنِي بَيْدَرِي. مَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِ إِسْرَائِيلَ أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ» [سفر إشعياء، الإصحاح الحادي والعشرون: ٦-١٠].

أخبر الحارس أنه رأى جيشاً، في هذا الجيش فرسان أزواج، أي كل فارسين يسيران معاً، ورأى رجالاً يركبون الحمير، وآخرين يركبون الجمال، وهذا الجيش متجه إلى بابل، فقال السيد: سقطت بابل، وسقطت آلهتها

http://kotob.has.it

المنحوتة، وقد سقطت مدن العراق في الفتح الإسلامي، ودمرت الآلهة التي كانت تعبد من دون الله.

٢٥- أرفع إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم رايتي:

جاء في إشعياء: «٢٢ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: «هَا إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى الأُمَمِ يَدِي وَإِلَى الشُّعُوبِ أُقِيمُ رَايَتِي، فَيَأْتُونَ بِأَوْلاَدِكِ فِي الأَحْضَانِ، وَبَنَاتُكِ عَلَى الأَكْتَافِ يُحْمَلْنَ. ٢٣ وَيَكُونُ الْمُلُوكُ حَاضِنِيكِ وَسَيِّدَاتُهُمْ مُرْضِعَاتِكِ. بِالْوُجُوهِ إِلَى الأَرْضِ يَسْجُدُونَ لَكِ، وَيَلْحَسُونَ غُبَارَ رِجْلَيْكِ، فَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي لاَ يَخْزَى مُنْتَظِرُوهُ» [سفر إشعياء، الإصحاح التاسع والأربعون: ٢٢-٢٣].

وهذا النص حديث عن رسولنا ﷺ وعن أمته، فقد بعثه الله تعالى نذيراً للناس كلهم، وكان كل رسول قبله يرسل إلى قومه خاصة، ففي هذا النص يرفع الله يده إلى الأمم، ويقيم رايته للشعوب، وقد دعا رسولنا ﷺ العرب والعجم والفرس والروم والبربر وغيرهم إلى الإسلام، ودخل الناس في الإسلام على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وفي بعض العصور حمل راية الإسلام شعوبٌ غير العرب، وأقاموا دولة الإسلام، وحاربوا أعداء الله، ففاتح القدس ومنقذها من الصليبيين صلاح الدين الأيوبي، كان كردياً، والأتراك حملوا راية الإسلام وجاهدوا في سبيل هذا الدين مئات السنين، وقامت دول كثيرة في ديار الإسلام حكمها غير العرب.

وقد كان العرب المسلمون محل تقدير الأمم والشعوب، ويشير إلى هذا قوله: «يأتون بأولادك بالأحضان، وبناتك يحملن على الأكتاف».

لقد كان في خدمة الإسلام والمسلمين الملوك من غير العرب، جاهدوا، وقاتلوا، وحموا ديار الإسلام، وكانوا أذلة على المسلمين وبخاصة العرب منهم، ومنتظرو الرب هم الذين رضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

http://kotob.has.it

المطلب الثاني
بشارات الزبور

٢٧- رنموا للرب ترنيمة جديدة:

أطالت المزامير في الحديث عن نبينا محمد ﷺ، وعن ملكه وملك أمته، ففي [المزمور السادس والتسعون: ١-١٢] طلب من المخاطبين أن يرنموا ترنيمة جديدة للرب، وطلب مباركة اسمه، وطلب منهم أن يحدثوا بين الشعوب بمجده، وبعجائبه، وطلب من قبائل الشعوب أن يقدموا للرب مجداً وقوة، وأخبر أن الرب قد ملك، وما جاء في هذا الخطاب لا يصلح إلا لأمة الإسلام، فالترنيمة الجديدة هي الأذان، والأمة الإسلامية هي الأمة المكونة من شعوب مختلفة، وكل هذه الأمم استجابت لدين الله في الأرض وعبدته.

«١ رَنِّمُوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً. رَنِّمِي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الأَرْضِ. ٢ رَنِّمُوا لِلرَّبِّ،
بَارِكُوا اسْمَهُ، بَشِّرُوا مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ بِخَلاَصِهِ. ٣ حَدِّثُوا بَيْنَ الأُمَمِ بِمَجْدِهِ، بَيْنَ جَمِيعِ
الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِهِ. ٤ لأَنَّ الرَّبَّ عَظِيمٌ وَحَمِيدٌ جِدًّا، مَهُوبٌ هُوَ عَلَى كُلِّ الآلِهَةِ. ٥ لأَنَّ
كُلَّ آلِهَةِ الشُّعُوبِ أَصْنَامٌ، أَمَّا الرَّبُّ فَقَدْ صَنَعَ السَّمَاوَاتِ. ٦ مَجْدٌ وَجَلاَلٌ قُدَّامَهُ. الْعِزُّ
وَالْجَمَالُ فِي مَقْدِسِهِ. ٧ قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا قَبَائِلَ الشُّعُوبِ، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدًا وَقُوَّةً.
٨ قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ اسْمِهِ. هَاتُوا تَقْدِمَةً وَادْخُلُوا دِيَارَهُ. ٩ اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ
مُقَدَّسَةٍ. ارْتَعِدِي قُدَّامَهُ يَا كُلَّ الأَرْضِ. ١٠ قُولُوا بَيْنَ الأُمَمِ: «الرَّبُّ قَدْ مَلَكَ. أَيْضًا
تَثَبَّتَتِ الْمَسْكُونَةُ فَلاَ تَتَزَعْزَعُ. يَدِينُ الشُّعُوبَ بِالاسْتِقَامَةِ». ١١ لِتَفْرَحِ السَّمَاوَاتُ
وَلْتَبْتَهِجِ الأَرْضُ، لِيَعِجَّ الْبَحْرُ وَمِلْؤُهُ. ١٢ لِيَجْذَلِ الْحَقْلُ وَكُلُّ مَا فِيهِ، لِتَتَرَنَّمْ حِينَئِذٍ
كُلُّ أَشْجَارِ الْوَعْرِ ١٣ أَمَامَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ جَاءَ. جَاءَ لِيَدِينَ الأَرْضَ. يَدِينُ الْمَسْكُونَةَ
بِالْعَدْلِ وَالشُّعُوبَ بِأَمَانَتِهِ»

٢٨- يأسرون الملوك بالقيود:

وقال داود في زبوره: «١ هَلِّلُويَا. غَنُّوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَتَهُ فِي جَمَاعَةِ
الأَتْقِيَاءِ. ٢ لِيَفْرَحْ إِسْرَائِيلُ بِخَالِقِهِ. لِيَبْتَهِجْ بَنُو صِهْيَوْنَ بِمَلِكِهِمْ. ٣ لِيُسَبِّحُوا اسْمَهُ

http://kotob.has.it

بِرَقْصٍ. بِدُفٍّ وَعُودٍ لِيُرَنِّمُوا لَـهُ. ٤ لأَنَّ الـرَّبَّ رَاضٍ عَـنْ شَـعْبِهِ. يُجَمِّـلُ الْوُدَعَـاءَ بِالْخَلاَصِ. ٥ لِيَبْتَهِجِ الأَتْقِيَاءُ بِمَجْـدٍ. لِيُرَنِّمُـوا عَـلَى مَـضَاجِعِهِمْ. ٦ تَنْوِيهَـاتُ اللهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ فِي يَدِهِمْ. ٧ لِيَصْنَعُوا نَقْمَةً فِي الأُمَمِ، وَتَأْدِيبَاتٍ فِي الشُّعُوبِ. ٨ لأَسْرِ مُلُوكِهِمْ بِقُيُودٍ، وَشُرَفَائِهِمْ بِكُبُولٍ مِنْ حَدِيدٍ. ٩ لِيُجْرُوا بِهِمُ الْحُكْـمَ الْمَكْتُـوبَ. كَرَامَةٌ هذَا لِجَمِيعِ أَتْقِيَائِهِ. هَلِّلُويَا» [سفر المزامير، المزمور التاسع والعشرون ومائة: ١-٩].

وذكر ابن تيمية أن ترجمة هذه القطعة في النسخة التي اطلع عليها هي كما يأتي: «سبحوا الله تسبيحاً جديداً، وليفرح بالخالق من اصطفى الله له أمته وأعطاه النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحونه على مضاجعهم، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه».

قال ابن تيمية: «وهذه الصفات إنما تنطبق على صفات محمد ﷺ وأمته، فهم الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة، في أذانهم للصلوات الخمس، على الأماكن العالية، كما قال جابر بن عبدالله: «كنا مع رسول الله ﷺ إذا علونا كَبَّرنا، وإذا هبطنا سَبَّحْنا، فوضعت الصلاة على ذلك» [رواه أبو داود: ٢٥٩٩، وإسناده معضل كما نقله عبدالقادر الأرنؤوط عن ابن علان عن الحافظ في أمالي الأذكار]». وفي الصحيحين عن ابن عمر، قال: كان رسول الله ﷺ إذا قفل من الجيوش، أو السرايا، أو الحج، أو العمرة. إذا أوفى على ثنية أو فَدْفَدْ، كبر ثلاثاً، ثم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده» [مسلم: ١٧٩٧].

وفي صحيح البخاري عن أنس قال: «صلَّى رسول الله ﷺ ونحن معه بالمدينة الظهر أربعاً، والعصر بذي الحليفة ركعتين، ثم بات بها حتى أصبح، ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء، حمد الله وسبح وكبر، ثم أَهَلَّ بعمرة وحج» وذكر الحديث [البخاري: ١٥٥١].

http://kotob.has.it

وعن أبي هريرة: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أريد أن أسافر فأوصني. قال: «عليك بتقوى الله، والتكبير على كل شَرَف». فلما أن ولَّى الرجل قال: «اللهم اطو له البعد، وهَوِّن عليه السفر». [رواه الإمام أحمد ٢/ ٣٣١، ٤٤٣ والترمذي: ٣٤٤٥. وقال: حديث حسن].

وروى [ابن ماجة: ٣٤٤٥] منه: «أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شَرَف»، وروى أبو داود وغيره بإسناد صحيح عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «كان النبي ﷺ وجيوشه إذا علوا شَرَفاً كبروا، وإذا هبطوا، سبحوا». [قال محقق الكتاب: رواه أبو داود: ٢٥٩٩. والبخاري معناه عن جابر وابن عمر: ٢٩٩٣-٢٩٩٥].

وهم يكبِّرون الله بأصوات عالية مرتفعة في أعيادهم، عيد الفطر، وعيد النحر: في الصلاة والخطبة، وفي ذهابهم إلى الصلاة، وفي أيام (منى)، الحجاج وسائر أهل الأمصار يكبرون عقيب الصلوات، فإمام الصلاة يسن له الجهر بالتكبير.

وذكر البخاري عن عمر بن الخطاب: أنه كان يكبر بمنى، فيسمعه أهل المسجد، فيكبرون بتكبيره، فيسمعهم أهل الأسواق فيكبرون، حتى تَرْتَجّ منى تكبيراً [رواه البخاري تعليقاً].

وكان ابن عمر وابن عباس يخرجان إلى السوق أيام العشر، فيكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما [رواه البخاري تعليقاً] ويكبرون على قرابينهم وهديهم وضحاياهم، كما كان نبيهم يقول عند الذبح: «بسم الله، والله أكبر» [البخاري: ٥٥٦٥. ومسلم: ١٩٦٦] ويكبرون إذا رموا الجمار، ويكبرون على الصفا والمروة، ويكبرون في الطواف عند محاذاة الركن، وكل هذا يجهرون فيه بالتكبير غير ما يسرونه.

قال تعالى لما ذكر صوم رمضان الذي يقيمون له عيد الفطر: قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة:١٨٥].

ولما ذكر الهدي الذي يُقَرَّبُ في عيد النحر، وهو يوم الحج الأكبر قال: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا

http://kotob.has.it

وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج:٣٦-٣٧].

والنصارى يسمون عيد المسلمين (عيد الله أكبر) لظهور التكبير فيه، وليس هذا لأحد من الأمم: أهل الكتاب، ولا غيرهم - غير المسلمين - وإنما كان موسى يجمع بني إسرائيل بالبوق، والنصارى لهم الناقوس.

وأما تكبير الله بأصوات مرتفعة، فإنما هو شعائر المسلمين، فإن الأذان شعار المسلمين، وبهذا يظهر تقصير من فسر ذلك بتلبية الحجاج.

وفي الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ: «أنه كان إذا أراد الإغارة إن سمع أذاناً أو رأى مسجداً وإلا أغار» [رواه البخاري بمعناه ٦١٠].

وفي لفظ مسلم: «كان يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار».

فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «على الفطرة»، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله. فقال: «خرجت من النار» [مسلم: ٣٨٢].

وكذلك قوله: «بأيديهم سيوف ذات شفرتين» وهي السيوف العربية التي بها فتح الصحابة وأتباعهم البلاد، وقوله: «يسبحونه على مضاجعهم» بيان لنعت المؤمنين، الذين يذكرون الله، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ويصلي أحدهم قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع، فعلى جنب، فلا يتركون ذكر الله في حال، بل يذكرونه حتى في هذه الحال، ويصلون في البيوت على المضاجع. بخلاف أهل الكتاب.

والصلاة أعظم التسبيح كما في قوله - تعالى -: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم:١٧-١٨]. وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه:١٣٠].

http://kotob.has.it

وفي الصحيحين عن جرير بن عبدالله قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ نظر القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا؛ ثم قرأ قوله - تعالى - : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: ١٣٠]».

وهذا معنى قول داود: سبحوا الله تسبيحاً جديداً، والتسابيح التي شرعها الله جديداً: كالصلوات الخمس التي شرعها للمسلمين جديداً. ولما أقامها جبريل للنبي ﷺ قال: «هذا وقتك، ووقت الأنبياء قبلك» [رواه أبو داود بلفظ: «يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك (٣٩٣) والترمذي (١٤٩) وقال حديث حسن صحيح].

فكان الأنبياء يسبحون في هذه الأوقات، كما يدل التسبيح المقدَّم، والتسبيح الجديد كما يدلُّ عليه سائر الكلام. ولا يمكن أن يكون ذلك للنصارى، لأنهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة، ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين، لينتقم الله بهم من الأمم، بل أخبارهم تدل على أنهم كانوا مغلوبين مع الأمم، لم يكونوا يجاهدونهم بالسيف، بل النصارى قد تعيب من يقاتل الكفار بالسيف» [الجواب الصحيح: ٥/ ٢٢٦].

٢٩- داود يتحدث عما يفعله الله بأعدائه عندما يرسل رسوله:

ويقول داود في [المزمور الثامن والستون: ١-٦] متحدثاً عما يفعله الله بأعدائه، عندما يرسل رسوله محمداً ﷺ، ويذكر بعض صفات رسوله ﷺ:

«١ يَقُومُ اللهُ. يَتَبَدَّدُ أَعْدَاؤُهُ وَيَهْرُبُ مُبْغِضُوهُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِهِ. ٢ كَمَا يُذْرَى الدُّخَانُ تُذْرِيهِمْ. كَمَا يَذُوبُ الشَّمَعُ قُدَّامَ النَّارِ يَبِيدُ الأَشْرَارُ قُدَّامَ اللهِ. ٣ وَالصِّدِّيقُونَ يَفْرَحُونَ. يَبْتَهِجُونَ أَمَامَ اللهِ وَيَطْفِرُونَ فَرَحًا. ٤ غَنُّوا للهِ. رَنِّمُوا لاسْمِهِ. أَعِدُّوا طَرِيقًا لِلرَّاكِبِ فِي الْقِفَارِ بِاسْمِهِ يَاهْ، وَاهْتِفُوا أَمَامَهُ. ٥ أَبُو الْيَتَامَى وَقَاضِي الأَرَامِلِ، اللهُ فِي

http://kotob.has.it

مَسْكِنِ قُدْسِهِ. ٦ اَللهُ مُسْكِنُ المُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتٍ. مُخْرِجُ الأَسْرَى إِلَى فَلاَحٍ. إِنَّمَا المُتَمَرِّدُونَ يَسْكُنُونَ الرَّمْضَاءَ».

وقيام الله المذكور هنا قيام دينه وشرعه بإرسال الله رسوله محمداً ﷺ، وقد تبدد أعداء الله، وهرب مبغضوه في الحروب التي خاضها الرسول ﷺ وأصحابه في بدر، وخيبر وفتح مكة وفي حطين وعين جالوت وغيرها من معارك الإسلام، وذرى الله أعداءه كما يذري الدخان، وذاب الأعداء كما يذوب الشمع في النار، وكان الصديقون من هذه الأمة يفرحون ويبتهجون بالنصر الذي ينزله الله عليهم.

وقد أمر داود في مزموره هذا أن يرنموا باسم الله، وذلك بتكبير الله، وتسبيحه، وتحميده، وتهليله، كما أمر بأن يعدّ طريقاً للراكب في القفار باسمه وهو رسولنا محمد ﷺ، ويهتفوا أمامه قائلين: هذا أبو اليتامى، وقاضي الأرامل، لعنايته باليتامى، وحفاظه على الأرامل، ولعل المراد بمسكن المتوحدين المسجد النبوي، الذي كان يسكنه أهل الصفة من الصحابة وقوله: «مخرج الأسرى إلى الفلاح» فقد كان بعض الأسرى يرى الرسول ﷺ وأصحابه بعد أسرهم، وما هم عليه من دين وأخلاق وقيم، فيدخلون بالإسلام، فنحن أمة تأتي بالناس إلى الجنة بالسلاسل، والمراد بالذين يسكنون الرمضاء هم أعداء الله ورسوله الذين كانت تضيق عليهم جيوش الإسلام في ديارهم ومساكنهم.

٣٠- تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار:

جاء في زبور داود ﷺ: «١ فَاضَ قَلْبِي بِكَلاَمٍ صَالِحٍ. مُتَكَلِّمٌ أَنَا بِإِنْشَائِي لِلْمَلِكِ. لِسَانِي قَلَمُ كَاتِبٍ مَاهِرٍ. ٢ أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. انْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ، لِذلِكَ بَارَكَكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ. ٣ تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ. ٤ وَبِجَلاَلِكَ اقْتَحِمِ. ارْكَبْ. مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالدَّعَةِ وَالْبِرِّ، فَتُرِيَكَ يَمِينُكَ مَخَاوِفَ. ٥ نَبْلُكَ الْمَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ. شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ»

[المزامير، المزمور الخامس والأربعون: ١-٥].

http://kotob.has.it

وذكر ابن تيمية أن هذا النص في الترجمة التي اطلع عليها على النحو التالي: «من أجل هذا بارك الله عليه إلى الأبد، فتقلد - أيها الجبار - بالسيف، لأن البهاء لوجهك، والحمد الغالب عليك، اركب كلمة الحق وسمة التأله، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك» [الجواب الصحيح: ٥/ ٢٣٧]. قال ابن تيمية: «قالوا: ليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود، سوى محمد ﷺ، وهو الذي خرت الأمم تحته، وقرنت شرائعه بالهيبة، كما قال ﷺ «نصرت بالرعب مسيرة شهر» [البخاري: ٣٣٥. ومسلم: ٥٢١]. وقد أخبر داود أن له ناموساً وشرائع، وخاطبه بلفظ الجبار، إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله، بخلاف المستضعف المقهور.

وهو ﷺ نبي الرحمة، ونبي الملحمة، وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين. بخلاف من كان ذليلاً للطائفتين، من النصارى من المقهورين مع الكفار، أو كان عزيزاً على المؤمنين من اليهود، بل كان مستكبراً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً» [الجواب الصحيح: ٥/ ٢٣٨].

٣١- يملك من البحر إلى البحر:

قال داود في الزبور: «وَيَمْلِكُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ، ٩ أَمَامَهُ تَجْثُو أَهْلُ الْبَرِّيَّةِ، وَأَعْدَاؤُهُ يَلْحَسُونَ التُّرَابَ. ١٠ مُلُوكُ تَرْشِيشَ وَالْجَزَائِرِ يُرْسِلُونَ تَقْدِمَةً. مُلُوكُ شَبَا وَسَبَأٍ يُقَدِّمُونَ هَدِيَّةً. ١١ وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ. كُلُّ الأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ. ١٢ لأَنَّهُ يُنَجِّي الْفَقِيرَ الْمُسْتَغِيثَ، وَالْمِسْكِينَ إِذْ لاَ مُعِينَ لَهُ. ١٣ يُشْفِقُ عَلَى الْمِسْكِينِ وَالْبَائِسِ، وَيُخَلِّصُ أَنْفُسَ الْفُقَرَاءِ. ١٤ مِنَ الظُّلْمِ وَالْخَطْفِ يَفْدِي أَنْفُسَهُمْ، وَيُكْرَمُ دَمُهُمْ فِي عَيْنَيْهِ. ١٥ وَيَعِيشُ وَيُعْطِيهِ مِنْ ذَهَبِ شَبَا. وَيُصَلِّي لأَجْلِهِ دَائِمًا. الْيَوْمَ كُلَّهُ يُبَارِكُهُ» [المزامير، المزمور الثاني والسبعون: ٨-١٥].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه البشارة: «وهذه الصفات منطبقة على أمته، لا على المسيح فإنه حاز من البحر الرومي إلى البحر الفارسي، ومن لدن

http://kotob.has.it

الأنهار، بجيحون وسيحون، إلى منقطع الأرض بالمغرب، كما قال: «زُوِيَت لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زُوِيَ لي منها» [مسلم: ٢٨٨٩].

وهو يُصلّى عليه ويُبارَكُ في كل حين، في كل صلاة: في الصلوات الخمس وغيرها، يقول كل من أمته: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد. فيُصلي عليه ويُبارك.

وقد خرت أهل الجزائر بين يديه، أهل جزيرة العرب، وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة، وأهل جزيرة قبرص، وأهل جزيرة الأندلس.

وخضعت له ملوك الفرس، فلم يبق منهم إلا من أسلم أو أدَّى الجزية على يدٍ وهم صاغرون. بخلاف ملوك الروم، فإن فيهم من لم يسلم، ويؤدي الجزية، فلهذا خص ملوك فارس، ودانت له الأمم، التي تعرفه وتعرف أمته، كانت إما مؤمنة به، أو مسلمة له منافقة، أو مهادنة مصالحة، أو خائفة منهم، وأنقذ الضعفاء من الجبارين.

وهذا بخلاف المسيح، فإنه لم يتمكن هذا التمكن في حياته، ولا من اتبعه بعد موته تمكنوا هذا التمكن، ولا حازوا ما ذكر، ولا صُلِّيَ عليه وبورك عليه في اليوم والليل، فإن القوم يدَّعون إلهيته».

٣٢- يؤدبون الشعوب ويأسرون الملوك:

جاء في المزامير: «٥ لِيَبْتَهِجِ الأَتْقِيَاءُ بِمَجْدٍ. لِيُرَنِّمُوا عَلَى مَضَاجِعِهِمْ. ٦ تَنْوِيهَاتُ اللهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ فِي يَدِهِمْ. ٧ لِيَصْنَعُوا نَقْمَةً فِي الأُمَمِ، وَتَأْدِيبَاتٍ فِي الشُّعُوبِ. ٨ لأَسْرِ مُلُوكِهِمْ بِقُيُودٍ، وَشُرَفَائِهِمْ بِكُبُولٍ مِنْ حَدِيدٍ. ٩ لِيُجْرُوا بِهِمِ الْحُكْمَ الْمَكْتُوبَ» [المزمور التاسع والأربعون ومائة: ٥-٩].

وهذا النص في النسخ القديمة هكذا: «ليفرح الخلاق بمن اصطفى الله تعالى له أمته وأعطاه النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحونه على مضاجعهم،

http://kotob.has.it

ويكبرون الله تعالى بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين، لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه». وهذا النص في وصف الأمة المحمدية من وجوه:

١- قوله: «يسبحونه على مضاجعهم» يشير إلى الذين وصفهم الله تعالى بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٩١] وهم المسلمون.

٢- قوله: «يكبرون الله تعالى بأصوات مرتفعة» يشير إلى رفع الأذان بالتكبير.

٣- قوله: «سيف ذو حدين في يدهم»، وهذا وصف للسيوف العربية ذات الحدين.

٤- قوله: «ليصنعوا نقمة في الأمم، وتأديبات في الشعوب، لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد» وهذا ما حصل للأمة الإسلامية وجيش الإسلام، فقد أسروا الملوك، وكبلوا شرفاءهم بالحديد كالهرمزان وغيره.

قال الإمام لقرافي: «يشير صلوات الله عليه إلى هذه الأمة ورفع أصواتهم بالأذانات، فإنه لم يكن لغيرها من الأمم، والسيوف العربية ذوات شفرتين، والعجمية لها شفرة واحدة، وانتقم الله تعالى بهم من الأمم» [نبوة محمد: ص٢٧٥].

المطلب الثالث
بشارات الإنجيل

٣٣- إخبار عيسى ببعثة رسولنا محمد ﷺ:

بشّر عيسى عليه السلام ببعثة نبينا محمد ﷺ رسولاً من رب العالمين، فمن ذلك ما أخبرنا به القرآن أن عيسى عليه السلام قال: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

ومن النصوص الدالة على ذلك ما ورد في [إنجيل متى، الإصحاح الحادي عشر: ١٤-١٥]: «١٤وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ. ١٥مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ».

http://kotob.has.it

والمراد بإيليا الذي بشر به عيسى محمد ﷺ، فعيسى آخر أنبياء بني إسرائيل، ولم يأتِ بعده نبي سوى محمد ﷺ، وإيليا بحساب الجمَّل الذي أغرمت به اليهود يساوي محمداً [محمد نبي الإسلام: ص٣٦].

وقال عيسى عليه السلام أيضاً: «١٦وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ» [إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر: ١٦].

والنص يدل على أن هناك معزيين لقوله: «فيعطيكم معزياً آخر» فالمعزي الأول هو عيسى نفسه، والمعزي الآخر هو محمد ﷺ، لأنه لم يبعث رسول غيره، وقوله: «ليمكث معكم إلى الأبد» أي: ليمكث معكم شرعه ودينه إلى الأبد، فشريعة رسولنا ﷺ لا يأتي بعدها ما ينسخها إلى يوم القيامة.

٣٤- النبي الذي بشر به عيسى يعلم الناس كل شيء:

جاء في إنجيل يوحنا: «٢٦وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» [إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر: ٢٦].

ورسولنا ﷺ علَّمَ كلَّ شيء، لأن الله أنزل عليه الدين الكامل الذي لا نقص في، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة:٣].

وقد ذكر لنا قرآننا ورسولنا ﷺ ما قاله المسيح عليه السلام لأتباعه، وارجع إلى سورة آل عمران ومريم لتعلم مدى صدق المسيح فيما أخبر به.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كان محمد ﷺ أرشد الناس إلى جميع الحق، حتى أكمل الله له الدين، وأتمَّ به النعمة، ولهذا كان خاتم الأنبياء، فإنه لم يبقَ شيء يأتي به غيره، وأخبر محمد ﷺ بكل ما يأتي من أشراط الساعة، والقيامة والحساب، والصراط ووزن الأعمال، والجنة وأنواع نعيمها، والنار وأنواع عذابها، ولهذا كان في

http://kotob.has.it

القرآن من تفصيل أمر الآخرة، وذكر الجنة والنار، وما يأتي من ذلك أمور كثيرة، لا توجد لا في التوراة، ولا في الإنجيل، وذلك تصديق قول المسيح «إنه يخبر بكل ما يأتي» [الجواب الصحيح: ٥/ ٢٩٥].

٣٥- بشارة ظهور مجد الإسلام:

جاء في [إنجيل متى، الإصحاح الثامن: ١١-١٢] «١١وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، ١٢وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ».

ومراده بالكثيرين الذين سيأتون من المشارق والمغارب هم الذين هداهم الله برسوله محمد ﷺ وبكتابه على مدار التاريخ الإسلامي، فقد دخل العرب في الإسلام في الجزيرة العربية، وحارب المسلمون فارس والروم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وأصبحت الغالبية العظمى من بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا مسلمين، ودخل الإسلام أوروبا، وغيرها من البلاد، ومراده بالذين يتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السموات، المسلمون الذين صلح حالهم، واستقاموا على أمر الله تعالى، فأدخلهم جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

٣٦- الرسول الذي بشر به عيسى يشهد لعيسى عليه السلام:

أخبرنا عيسى عليه السلام بأن الرسول الذي يبشر به من بعده، سيشهد له، وأتباعه سيشهدون له أيضاً، قال عيسى: «٢٦وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. ٢٧وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ» [إنجيل يوحنا، الإصحاح الخامس عشر: ٢٦-٢٧].

والمراد بالمعزي في النص هو رسولنا محمد ﷺ، وقد شهد رسولنا ﷺ لعيسى بأنه عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وسيشهد رسولنا ﷺ وأمته لعيسى في

http://kotob.has.it

المقام العظيم يوم القيامة بأنه بلغ أمته، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

وقد أخبرنا رسولنا ﷺ كيف يأتي نوح في يوم القيامة، فيسأله ربّه عن مدى تبليغه أمته، فيقول: إنه بلغهم، فيسأل أمته، فينكرون أنه بلغهم، فيقول: من يشهد لك، فيقول: محمد وأمته، فتشهد هذه الأمة بما أعلمها الله به في كتابه أنه بلغهم.

وهذا ليس قصراً على نوح، بل نشهد لكل رسول أخبرنا الله أنه بلّغ أمته، ومن هؤلاء عيسى عليه السلام.

٣٧- الرسول الذي بشر به عيسى يبكت العالم على خطيئته:

قال عيسى عليه السلام واصفاً المعزي الذي سيأتي من بعده، وهو نبينا محمد ﷺ: «٧ لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. ٨ وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: ٩ أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي» [إنجيل يوحنا، الإصحاح السادس عشر: ٧-٩].

وقد أخبر عيسى عليه السلام أن المعزي الذي يأتي بعده لا يأتي ما لم يذهب عيسى عليه السلام، لأن الله رضي ذلك وقضاه، وأخبر أن الرسول المبعوث الذي سيأتي من بعده سيوبخ العالم على خطيئته، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «أنه لم يوجد أحد وبخ جميع العالم على الخطيئة إلا محمد ﷺ، فإنه أنذر جميع العالم، من أصناف الناس، ووبخهم على الخطيئة: من الكفر والفسوق والعصيان، وبخ جميع المشركين من العرب والهند والترك وغيرهم، ووبخ المجوس، وكانت مملكتهم أعظم الممالك، ووبّخ أهل الكتابين: اليهود والنصارى، وقال في الحديث الصحيح عنه: «إنَّ الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب» [مسلم: ٢٨٦٥] لم يقتصر على مجرد الأمر والنهي، بل وبّخهم وقرّعهم وتهددهم» [الجواب الصحيح: ٥/ ٢٩٨].

http://kotob.has.it

٣٨- الرسول الذي بشر به عيسى عليه السلام يرشد إلى جميع الحق:

أخبر عيسى عليه السلام أنه لا يستطيع أن يقول لأصحابه وأتباعه أموراً كثيرة، لأنهم لا يحتملون ولا يستطيعون أن يتحملوا ما يقوله لهم، ومتى جاء الرسول المبشر به فهو يرشد إلى جميع ذلك الحق، وفي ذلك يقول: «١٢ إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. ١٣ وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ» [سفر يوحنا، الإصحاح السادس عشر: ١٢-١٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أخبر المسيح بأنه لم يذكر لهم جميع ما عنده، وأنهم لا يطيقون حمله. وهم معترفون بأنه كان يخاف منهم، إذا أخبرهم بحقائق الأمور، ومحمد ﷺ أيده الله تأييداً لم يؤيده لغيره، فعصمه من الناس، حتى لم يخف من شيء يقوله، وأعطاه من البيان والعلم، ما لم يؤته غيره، فالكتاب الذي بعث به فيه من بيان حقائق الغيب، ما ليس في كتاب غيره.

وأيد أمته تأييداً أطاقت به حمل ما ألقاه إليهم، فلم يكونوا كأهل التوراة الذين حُمِّلوا التوراة، ثم لم يحملوها، ولا كأهل الإنجيل الذين قال لهم المسيح: «إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم، ولكن لا تسطيعون حمله». ولا ريب أن أمة محمد أكمل عقولاً، وأعظم إيماناً، وأتم تصديقاً وجهاداً، ولهذا كانت علومهم وأعمالهم القلبية وإيمانهم أعظم» [الجواب الصحيح: ٥/ ٢٩٩].

وقال شيخ الإسلام أيضاً في قول المسيح: «إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله، ولكن إذا جاء الروح الحق، ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق» قال شارحاً وموضحاً: «هذه الصفات لا تنطبق إلا على محمد ﷺ وذلك أن الإخبار عن الله بما هو متصف به، وعن ملائكته وملكوته وعن ما أعدَّه الله في الجنة لأوليائه، وفي النار لأعدائه، أمر لا يحتمل عقول كثير من الناس معرفته على التفصيل» [الجواب الصحيح: ٥/ ٢٩٣].

http://kotob.has.it

وقال أيضاً: «ليس في الإنجيل من صفات الله، وصفات ملكوته، ومن صفات اليوم الآخر إلا أمور مجملة، وكذلك التوراة: ليس فيها من ذكر اليوم الآخر إلا أمور مجملة» [الجواب الصحيح: ٥/ ٢٩٤].

وذكر شيخ الإسلام أن قول المسيح: «يعرفكم جميع ما للرب»: «بين أنه يعرف الناس جميع ما لله، وذلك يتناول من الأسماء والصفات، وما له من الحقوق، وما يجب من الإيمان به، وبملائكته، وكتبه، ورسله، بحيث يكون ما يأتي به جامعاً لكل ما يستحقه الرب» [الجوب الصحيح: ٥/ ٢٩٧].

٣٩- الرسول الذي بشر به عيسى عليه السلام لا يتكلم من عند نفسه:

أخبرنا عيسى عليه السلام أن الرسول الذي بشر به يرشد إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من عند نفسه، وفي ذلك يقول: «١٣ وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ» [إنجيل يوحنا، الإصحاح السادس عشر: ١٣].

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «أخبر عيسى أن المعزي ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع. وهذا إخبار بأن كل ما يتكلم به فهو وحي يسمعه، ليس هو شيئاً تعلمه من الناس، أو عرفه باستنباطه، وهذه خاصة محمد ﷺ، فإن المسيح ومن قبله من الأنبياء كانوا يتعلمون من غيرهم، مع ما كان يوحى إليهم، فعندهم علم غير ما يسمعونه من الوحي.

ومحمد ﷺ لم ينطق إلا بما يسمعه من الوحي، فهو مبلغ لما أرسل به، وقد قيل له: ﴿... بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ...﴾ [المائدة:٦٧]. فضمن الله له العصمة إذا بلَّغ رسالاته، فلهذا أرشد الناس إلى جميع الحق، وألقى إلى الناس ما لم يمكن غيره من الأنبياء إلقاءه، خوفاً أن يقتلوه، كما يذكرون عن المسيح وغيره» [الجواب الصحيح: ٥/ ٢٩٩].

http://kotob.has.it

٤٠- الحجر الذي رفضه البناؤون صار رأس الزاوية:

جاء في [إنجيل متى، الإصحاح الحادي والعشرون: ٤٢-٤٤]: «٤٢ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا! ٤٣ لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ. ٤٤ وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!».

وهذا الحجر إنما هو رسولنا محمد، جاء في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة وجابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه، وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» [نبوة محمد من الشك إلى اليقين: ص٢٩٧].

قال ابن القيم: وتأمل قول المسيح في البشارة الأخرى: «ألم تر إلى الحجر الذي أخَّره البناؤون صار رأساً للزاوية، كيف تجده مطابقاً لقول النبي ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأتمها إلا موضع لبنة منها، فجعل الناس يطوفون بها، ويعجبون منها، ويقولون: هلاّ وضعت تلك اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة».

٤١- تحويل القبلة من القدس إلى مكة:

جاء في [إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع: ٢١]: «٢١ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ، صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لاَ فِي هذَا الْجَبَلِ، وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ».

وهذا النص يشير إلى ظهور الدين الجديد، وأنه سيتحول مركزه عن أورشليم ويشير إلى تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المعظمة، قبلة أصحاب الدين الجديد ويصدقه قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ

http://kotob.has.it

﴿... شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة:١٤٤].

فقد كان المسلمون أول الأمر يتجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس، ثم نزلت الآية بوجوب اتجاههم إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة.

المعاني الواردة في هذه الترجمة ليست دقيقة:

المعاني الواردة في هذه الترجمة الحديثة ليست دقيقة، لأن أصلها باليونانية، وهي اللغة التي ترجمت منها هذه الأناجيل - مكتوبة (بيركليتوس) وفي التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١، سنة ١٨٣١، سنة ١٨٤٤، في لندن تجدها بدل المعزي (فارقليط) وهي أقرب إلى العبارة اليونانية المشار إليها، أما ترجمتها في الطبعات الحديثة إلى المعزي فهو من التحريف الذي ذمَّ الله أهل الكتاب به ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]. ويلاحظ أن هناك جملة ساقطة قبل الجملة الواردة في عدد (٢٦) من هذا الإصحاح سقطت من الطبعات الحديثة، لكنَّها واردة صراحة في الطبعات القديمة للإنجيل، ونص هذه الجملة: «فلو قد جاء المنحمنا الذي يرسله الله إليكم» ومعنى المنحمنا الحرفي باللغة السريانية محمد [محمد نبي الإسلام: ٣٩].

المعنى المراد بالفارقليط:

نقل شيخ الإسلام بعض البشارات التي في الأناجيل، وذكر أن فيها: (الفارقليط) بدل المعزي، وذكر أن الأقوال في الفارقليط أنه الحماد [الجواب الصحيح: ٥/ ٢٨٧] وذكر أن رسولنا ﷺ وأمته هم الحمادون، الذين يحمدون الله على كل حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح خطبته، ومفتاح صلاته، ولما كان حماداً جوزي بوصفه، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، فكان اسمه محمداً وأحمداً، ومحمد الذي يحمد حمداً كثيراً مبالغاً فيه، وأما أحمد، فهو أفعل التفضيل، أي: أحق بأن يكون محموداً أكثر من غيره [الجواب الصحيح: ٥/ ٣٠٢].

http://kotob.has.it

وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن الذي يقوم عليه البرهان أن (الفارقليط) في لغتهم هو الحمد، والدليل عليه قول يوشع: «من عمل حسنة يكون له فارقليط جيد» أي حمد جيد [هداية الحيارى: ٣٢٥].

٤٢- مناظرة ابن القيم لعظيم من عظماء اليهود:

ذكر ابن القيم في كتابه «هداية الحيارى» محاورتين مع اليهود، إحداهما جرت بينه وبين عظيم من عظمائهم، والثانية جرت بين أحد علماء المغرب وبعض اليهود، قال ابن القيم: «وقد جرى لي مناظرة مع أكبر من تشير إليه اليهود بالعلم والرئاسة، فقلت له في أثناء الكلام: إنكم بتكذيبكم محمداً ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة، فعجب من ذلك، وقال: مثلك يقول هذا الكلام! فقلت له: اسمع الآن تقريره: إذا قلتم إنَّ محمداً ملك (ظالم) قهر الناس بسيفه، وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدَّعي أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة، ويقول: أمرني الله بكذا، ونهاني عن كذا، وأوحي إليّ كذا، ولم يكن من ذلك شيء.

ويقول: إنه أباح لي سبي ذراري من كذَّبني وخالفني ونساءهم، وغنيمة أموالهم، وقتل رجالهم، ولم يكن من ذلك شيء، وهو يدأب في تغيير الأنبياء ومعاداة أممهم، ونسخ شرائعهم، فلا يخلو: إما أن تقولوا: إن الله سبحانه وتعالى كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه، أو تقولوا: إنّه خفي عنه ولم يعلم به.

فإن قلتم: لم يعلم به، نسبتموه إلى أقبح الجهل، وكان من علم ذلك أعلم منه؛ وإن قلتم: بل كان كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه، فلا يخلو: إما أن يكون قادراً على تغييره، والأخذ على يديه، ومنعه من ذلك، أو لا: فإن لم يكن قادراً، فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية، وإن كان قادراً، وهو مع ذلك يعزه وينصره ويوده، ويعليه ويعلي كلمته، ويجيب دعاءه، ويمكنه من أعدائه، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف، ولا يقصده أحد بسوء إلا ظفر به، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له، فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا تليق نسبته

http://kotob.has.it

إلى آحاد العقلاء فضلاً عن ربِّ الأرض والسماء، فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وتأييده بكلامه، وهذه عندكم شهادة زور وكذب؟!

فلما سمع ذلك قال: معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر، بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد.

قلت: فما لك لا تدخل في دينه؟

قال: إنما بعث للأميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه.

قلت له: غلبت كل الغلب، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق، وأن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، فإذا صحت رسالته، لزم تصديقه في كل ما أخبر به، فأمسك ولم يحر جواباً» [هداية الحيارى: ٣٨٤].

٤٣- مناظرة أحد علماء المغرب لبعض اليهود:

وقال ابن القيم: «وقريباً من هذه المناظرة ما جرى لبعض علماء المسلمين مع بعض اليهود ببلاد المغرب.

قال له المسلم: في التوراة التي بأيديكم إلى اليوم أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: «إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبياً مثلك أجعل كلامي على فيه، فمن عصاه انتقمت منه» [سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر: ١٨-١٩] قال له اليهودي: ذلك يوشع ابن نون، فقال له المسلم: هذا محال من وجوه:

أحدها: أنه قال عندك في آخر التوراة: «أنه لا يقوم في بني إسرائيل نبي مثل موسى» [سفر التثنية، الإصحاح الرابع والثلاثون: ١٠].

الثاني: أنه قال: «من إخوتهم»، وأخوة بني إسرائيل إما العرب وإما الروم.

فإن العرب بنو إسماعيل والروم بنو العيص، وهؤلاء إخوة بني إسرائيل، فأما الروم فلم يقم منهم نبي سوى أيوب عليه السلام وكان قبل موسى عليه السلام فلا يجوز أن يكون

http://kotob.has.it

هو الذي بشرت به التوراة، فلم يبقَ إلا العرب، وهم أبناء إسماعيل وهم إخوة بني إسرائيل.

وقد قال الله تعالى في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب: «أنه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوته» [سفر التكوين، الإصحاح السادس عشر:١٢] وهم بنو إسرائيل.

وهذه بشارة بنبوة ابنه محمد الذي نصب فسطاطه، وملك أمته في وسط بلاد بني إسرائيل، وهي الشام التي هي مظهر ملكه من قوله: «وملكه بالشام».

فقال له اليهود: فعندكم في القرآن ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف:٨٥] ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف:٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف:٧٣] والعرب تقول: يا أخا بني تميم للواحد منهم، فهذا قوله: «أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم».

قال المسلم: الفرق بين الموضعين ظاهر، فإنه من المحال أن يقال: بنو إسرائيل إخوة بني إسرائيل، وبنو تميم إخوة بني تميم، وبنو هاشم إخوة بني هاشم.

وهذا ما لا يعقل في لغة قوم وأمة من الأمم، بخلاف قولك: زيد أخو بني تميم. وهود أخو عاد، وصالح أخو ثمود، أي: واحد منهم. فهو أخوهم في النسب، ولو قيل: عاد أخو عاد، وثمود أخو ثمود، ومدين أخو مدين، لكان نقضاً، وكان نظير قولك: بنو إسرائيل إخوة بني إسرائيل، فاعتبار أحد الموضعين بالآخر صريح.

قال اليهود: أخبر أنه سيقيم هذا النبي لبني إسرائيل، ومحمد إنما أقيم للعرب ولم يقم لبني إسرائيل، فهذا الاختصاص يشعر بأنه إليهم مبعوث لا إلى غيرهم.

قال المسلم: هذا من دلائل صدقه، فإنه ادعى أنه رسول الله على أهل الأرض كتابيهم وأميهم. ونص الله في التوراة على أنه يقيمه لهم لئلا يتوهم أنه مرسل إلى العرب والأميين خاصة، والنبي ﷺ خُصّ بالذكر لحاجة المخاطب إلى ذكره، ولئلا

http://kotob.has.it

يتوهم السامع أنه غير مراد باللفظ العام ولا داخل فيه، وللتنبيه على أن ما عداه أولى بحكمه، ولغير ذلك من المقاصد.

فكان في تعيين بني إسرائيل إزالة لوهم من توهم أنه مبعوث إلى العرب خاصة، وقد قال الله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [السجدة:٣] وهؤلاء قومه، ولم ينف ذلك أن يكون نذيراً لغيرهم، فلو أمكنك أن تذكر عنه أن ادَّعى أنه رسول إلى العرب لكان ذلك حجة، فأما وقد نطق كتابه وعرف الخاص والعام بأنه ادعى أنه مرسل إلى بني إسرائيل وغيرهم فلا حجة لك.

قال اليهود: إن أسلافنا من اليهود كلهم على انه ادعى ذلك، ولكن العيسوية تزعم أنه نبي العرب خاصة، ولسنا نقول بقولهم، ثم التفت إليّ يهودي معه فقال: نحن قد جرى شأونا [الشأو: الغاية والأمد] على اليهودية، وبالله ما أدري كيف أتخلص من هذا العربي، إلا أنه أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النهي عن ذكره بسوء» [هداية الحيارى: ص٣٨٦].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المبحث الثاني

المسيح الدجال في التوراة والإنجيل

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

مقدمة

٤٤- فتنة الدجال أعظم فتنة:

فتنة المسيح الدجال أعظم فتنة تمرُّ على البشرية كلها على مرّ العصور والأزمان، ولذا فقد حذر كل نبي قومه منه، إلا أن رسولنا ﷺ خصنا بمزيد من العلم به، ومزيد من التحذير، ذلك أنه لا نبي بعده، وهو خارج في أمته ولا شك، فأراد أن لا يقعوا في فتنته.

والدجال يَدَّعي أنه نبي أولاً، ثم يدَّعي الألوهية، ومعه من الفتن ما يولد الشك في القلوب، وهو لا يدع مدينة إلا دخلها، فمن استجاب له أمر السماء أن تمطر لهم، وأمر الأرض أن تنبت لهم، ومن رفضوه، ولم يقبلوا قوله ودعوته، أمر السماء أن تمسك قطرها، وأمر الأرض أن تمحل، ولا تخرج نباتها.

وفي أخبار التوراة عن هذا المخرب الظالم الرجس الشيء الكثير، وقد صدقت الأحاديث ما حدثت به أنبياء بني إسرائيل عنه.

٤٥- المسيح الدجال في الكتاب والسنّة:

أ- الفتن التي تسبق خروج الدجال: حدثنا رسولنا ﷺ أنه يسبق خروج الدجال فتن كثيرة، فعن عبدالله بن عمر، قال: كنا قُعوداً عند رسول الله ﷺ ، فذكر الفتن فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله! وما فتنة الأحْلاس؟ قال:

http://kotob.has.it

«هي هَرَب وَحرب، ثُمَّ فتنةُ السراء دَخَنُها من تحت قَدَمَيْ رجلٍ من أهل بيتي، يزعُمُ أنه مني، وليس مني، وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كَوَرِكٍ على ضِلَعٍ، ثم فتنةُ الدُّهيماء لا تدعُ أحداً من هذه الأمة إلا لطمتْهُ لطْمة، فإذا قيل: انقضتْ تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً حتى يصير الناس إلى فُسْطاطين: فسطاطِ إيمان، لا نِفاق فيه، وفسطاط نفاق، لا إيمان فيه. فإذا كان ذاكُمْ فانتظروا الدجال من يومه أو غده» [سنن أبي داود: ٤٢٤٢، وأورده الألباني في صحيح أبي داود: ٣٥٦٨. وذكر أنه أخرجه في الصحيحة: ٩٧٢].

وقد أخبرنا رسولنا ﷺ بالمكان الذي يخرج منه الدجال، «فهو يخرج من قبل المشرق، من مدينة يقال لها: خراسان» [عزاه الألباني في صحيح الجامع إلى أحمد وسنن ابن ماجة].

ب- **فتنة الدجال أعظم فتنة على مدار التاريخ الإنساني**: وفتنة المسيح الدجال التي تكون آخر الزمان أعظم فتنة على مدار التاريخ الإنساني، يقول الرسول ﷺ: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال» [مسلم: ٢٩٤٦] وعن عبدالله ابن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال» [عزاه الألباني في قصة المسيح: ص٥٠ إلى الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله ثقات].

ولعظم فتنته أنذر به جميع الأنبياء أقوامهم، قال الرسول ﷺ: «إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور» [البخاري: ٣٠٥٧، ٣٣٣٧. ومسلم: ١٦٩، بعد الحديث ٢٩٣١].

ج- **صفة الدجال وصفة ما معه من الفتن**: وقد وصفه لنا رسولنا ﷺ قال: «ثم رأيت رجلاً وراءَه - أي: وراء عيسى ابن مريم - جعداً قَطِطاً أعورَ العين اليمنى» [البخاري: ٣٤٤٠، ومسلم: ١٦٩] وفي رواية: «ثم ذهبت ألتفت، فإذا رجل

http://kotob.has.it

جسيم، جعد الرأس، أعورُ عينِه اليمنى، كـأن عينـه عنبـة طافيـة» [البخـاري: ٣٤٤١. ومسلم: ١٧١].

ويتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة [مسلم: ٢٩٤٤].

ومع الدجال كما يقول رسولنا ﷺ : «نهران يجريان، أحـدهما رأي العـين، مـاء أبيض، والآخر رأي العين، نار تأجج، فإما أَدْرَكَنَّ أحدٌ فليأت النهر الذي يراه ناراً، وليغمض، ثم ليطأطئ رأسه، فيشرب منه، فإنه ماء بارد» [مسلم: ٢٩٣٥].

«ومن فتنه أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لـك أبـاك وأمـك، أتـشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بنـي اتبعـه، فإنه ربك» [عزاه الألباني في الجامع الصغير: ٦/ ٢٧٤ ورقمه: ٧٧٥٢ وعزاه إلى الحـاكم في المستدرك وابن ماجة وإسناده صحيح].

ومن فتنته أنه يقتل رجلاً من الأخيار الصالحين، ثم يحييه، ففي البخـاري عـن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدّثنا به أن قال: يأتي الدجال - وهو مُحَرَّمٌ عليه أن يدخل نقاب المدينة - بعـض السِّباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس - أو من خير الناس - فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدّثنا عنك رسول الله ﷺ حديثَه. فيقول الدجال: أرأيت إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا. فيقتله ثم يحييـه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قط أشدَّ بصيرةً مني اليوم. فيقول الدجال: أقتله فلا يُسلَّطُ عليه» [البخاري: ١٨٨٢].

د- دخول الدجال كل مدن العالم: ويدخل الدجال كل مدن الأرض إلا مكـة والمدينة، فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «ليس من بلد إلا سيطؤه الـدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من أنقابها نقب إلا عليه ملائكة صافين يحرسـونها» [البخـاري: ١٨٨١، ومسلم: ٢٩٤٣].

http://kotob.has.it

وأخبرنا رسولنا ﷺ أنه إذا جاء المدينة ينزل بالسبخة. [عزاه الألباني في صحيح الجامع: ٥٤٣١ إلى البخاري ومسلم]. وفي الحديث الآخر: «يجيء الدجال، فيطأ الأرض إلا مكة والمدينة، فيأتي المدينة فيجد بكل نقب من أنقابها صفوفاً من الملائكة، فيأتي سبخة الجرف، فيضرب رواقه، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة» [عزاه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٢٨) إلى البخاري ومسلم وأحمد في مسنده].

وأخبرنا رسولنا ﷺ: «أنه مكتوب بين عيني الدجال: كافر» [مسلم: ١٦٦].

وقد حدث الرسول ﷺ أصحابه كثيراً عن الدجال، فمن ذلك ما رواه النواس ابن سمعان، قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا. فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله! ذكرت الدجال غداةً، فخَفَّضْتَ فيه ورَفَّعْت، حتى ظنناه في طائفة النخل.

فقال: «غير الدجال أخوفُني عليكم، إن يخرج، وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤٌ حجيج نفسه. والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى ابن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خَلَّةً بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله! فاثبتوا».

قلنا: يا رسول الله؛ وما لَبْثُه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله؛ فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره».

قلنا: يا رسول الله! وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم، أطولَ ما كانت ذراً، وأسبغَه ضروعاً، وأمدَّه خواصرَ، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم،

http://kotob.has.it

فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيُقبل ويتهلل وجهه، يضحك.

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفَّيْه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قَطَر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ، فيقتله. ثم يأتي عيسى ابنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة»» [مسلم: ٢٩٣٧].

[وإن شئت التوسع في موضوع الدجال، فارجع إلى كتابنا القيامة الصغرى: ص٢٤٠-٢٦١، وكتابنا: قصص الغيب: ص٣١٧-٣٤٦].

هـ- الوقاية من الدجال: وقد كان الرسول ﷺ يستعيذ بالله من المسيح الدجال بعد التشهد في الصلاة، فعن عائشة قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال» [البخاري: ٨٣٣. ومسلم: ٥٨٧ مطولاً]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال» [البخاري: ١٣٧٧].

وأخبرنا رسولنا ﷺ أنه «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» [مسلم: ٨٠٩].

وحذرنا رسولنا ﷺ من إتيان الدجال، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «من سمع بالدجال، فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه، مما يبعث به من الشبهات» [عزاه الألباني في صحيح الجامع: (٦٣٠١) إلى أحمد في مسنده، وأبي داود، والحاكم].

و- قتال هذه الأمة الدجال: وأخبرنا رسولنا ﷺ أن الطائفة الظاهرة على الحق ستبقى تقاتل أهل الباطل حتى يقاتل آخرها الدجال، قال رسول الله ﷺ: «لا تزال

http://kotob.has.it

عصابة من أمتي يقاتلون على الحق، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة، وهم على ذلك» [عزاه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٩٥) إلى مسلم].

وقال في الحديث الآخر: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال» [عزاه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٩٤) إلى أحمد في مسنده وأبي داود والحاكم].

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في بني تميم: «هم أشدُّ أمتي على الدجال» [البخاري: ٢٥٤٣].

٤٦- النجس الشرير رئيس إسرائيل:

وممن تحدث عن المسيح الدجال حزقيال، وقد خاطبه مسمياً إياه النجس الشرير، وقال له: «٢٥ وَأَنْتَ أَيُّهَا النَّجِسُ الشِّرِّيرُ، رَئِيسُ إِسْرَائِيلَ، الَّذِي قَدْ جَاءَ يَوْمُهُ فِي زَمَانِ إِثْمِ النِّهَايَةِ، ٢٦ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: انْزِعِ الْعَمَامَةَ. ارْفَعِ التَّاجَ. هذِهِ لاَ تِلْكَ. ارْفَعِ الْوَضِيعَ، وَضَعِ الرَّفِيعَ. ٢٧ مُنْقَلِبًا، مُنْقَلِبًا، مُنْقَلِبًا أَجْعَلُهُ! هذَا أَيْضًا لاَ يَكُونُ حَتَّى يَأْتِيَ الَّذِي لَهُ الْحُكْمُ فَأُعْطِيَهُ إِيَّاهُ» [حزقيال، الإصحاح الحادي والعشرون: ٢٥-٢٧].

والدجال أنجس المخلوقات، فقد نجس نفسه بالذنوب والمعاصي، فهو يدعي النبوة أولاً، ثم يدعي الألوهية، والشر عنده عارم مستفيض، وهو مجتهد في نشر هذا الشر في العالم كله بكل ما أوتي من قوة، وهو رئيس إسرائيل، ويتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفاً كلهم يلبس الطيالسة، والله أعلم كم يتبعه من غيرهم.

وقوله «الذي جاء يومه في زمان إثم النهاية» فالدجال يأتي في آخر الزمان، وهو أحد علامات الساعة الكبرى، ويصحب خروجه نزول عيسى، وهو أيضاً من علامات الساعة الكبرى، وخروج يأجوج ومأجوج، وهي من علامات الساعة الكبرى.

وبقية ما قاله حزقيال يُظْهر ما يفعله الدجال في زمانه، فإنه يرفع السفهاء الضالين، ويصبحون ذوي مكانة عالية عنده، أما الأخيار الصالحون، فهو يحاربهم

http://kotob.has.it

ويؤذيهم، وهم مرذولون عنده، فالأمور عنده معكوسة منكوسة منقلبة، ويستمر هذا الذي يفعله الدجال حتى يأتي الذي يكون له الحكم، وهو عيسى ﷺ، فيسلطه الله على الدجال، فيهلكه، ويقتله.

٤٧- نفسه كالهاوية وهو كالموت لا يشبع:

وتحدث حبقوق عن المسيح الدجال في الرؤيا التي قيل له فيها إنها إلى الميعاد،
ووصف الدجال فقال: «هُوَذَا مُنْتَفِخَةٌ غَيْرُ مُسْتَقِيمَةٍ نَفْسُهُ فِيهِ. وَالْبَارُّ بِإِيمَانِهِ يَحْيَا. ٥
وَحَقًّا إِنَّ الْخَمْرَ غَادِرَةٌ. الرَّجُلَ مُتَكَبِّرٌ وَلاَ يَهْدَأُ. الَّذِي قَدْ وَسَّعَ نَفْسَهُ كَالْهَاوِيَةِ، وَهُوَ
كَالْمَوْتِ فَلاَ يَشْبَعُ، بَلْ يَجْمَعُ إِلَى نَفْسِهِ كُلَّ الأُمَمِ، وَيَضُمُّ إِلَى نَفْسِهِ جَمِيعَ الشُّعُوبِ»
[حبقوق، الإصحاح الثاني: ٤-٥].

وانتفاخ الدجال في نفسه يعني تعاظمه واستكباره وعلوه، فهو يدعي النبوة، ثم يتعاظم، ويدعي الألوهية، وإذا كان البار يحيا بإيمانه، فالدجال ليس عنده إيمان، وحياته قائمة على الكفر والطغيان، وقوله: «حقاً إنَّ الخمر غادرة» يدل على مدى انتشار الخمر عنده وعند أتباعه، والدجال متكبر، ومتعاظم جداً، وعدم هدوئه يدل عليه كثرة أسفاره، فلا يدع مدينة إلا يدخلها إلا مكة والمدينة.

وقوله: «وسع نفسه كالهاوية» فمهما جاءه من الأتباع فإنه يسعه، فهو كالهاوية العظيمة، لا تضيق بما ألقي فيها، وهو كالموت، يحصد الألوف، ومئات الألوف، والملايين، ومهما حصد، فإنه لا يشبع، ويجمع إلى نفسه كل الأمم، ويضم إلى نفسه كل الشعوب، ففي أي مدينة حلَّ، فإنه يتبعه قسم من أهلها، حتى المدينة المنورة التي لا يستطيع أن يدخلها، ترجف بأهلها ثلاثاً، فيخرج إليه بعض أهلها، ويتبعه، ولا يبقى فيها إلا من أخلص دينه لله تعالى.

ولذا فإن أتباعه عدد عظيم، وجمع كبير، من مختلف الأجناس والألوان ويتكلمون بمختلف اللغات.

http://kotob.has.it

٤٨- تنجيسه المقدس الحصين وإقامته الرجس المخرب:

يدخل أتباع الدجال المقدس الحصين، أي: يدخلون مدينة القدس، وينجسون بيت المقدس، أي: المسجد الأقصى، ويقيمون الرجس المخرب، أي: يقيمون معبداً للشرك والضلال في مكان الأقصى، ويغوي الدجال الخارجون على الشرع، ويغويهم بما يزين لهم من الإثم، أما الأخيار الصالحون من المسلمين، فلا يضيرهم الدجال، ويبقون يعملون ويقوون مع أن طغيان الدجال عظيم.

والفاهمون الذين يعرفون حقيقة الدجال كثيرون في ذلك الوقت، ويصيبهم أذى الدجال، فهم كما يقول دانيال: «وَيَعْثُرُونَ بِالسَّيْفِ وَبِاللَّهِيبِ وَبِالسَّبْيِ وَبِالنَّهْبِ أَيَّامًا. ٣٤ فَإِذَا عَثَرُوا يُعَانُونَ عَوْنًا قَلِيلاً، وَيَتَّصِلُ بِهِمْ كَثِيرُونَ بِالتَّمَلُّقَاتِ. ٣٥ وَبَعْضُ الْفَاهِمِينَ يَعْثُرُونَ امْتِحَانًا لَهُمْ لِلتَّطْهِيرِ وَلِلتَّبْيِيضِ إِلَى وَقْتِ النِّهَايَةِ».

وهذا الذي ذكره دانيال يدل على مدى ما يصيب الصالحين من أذى في تلك الأيام، ومدى ما يقع على الصالحين من ضيم، فيصيبهم القتل والجرح والحرق والسبي، كما يصيبهم النهب، وليس ذلك وحده، بل يتصل بهم أتباع الدجال، ويحاولون إضلالهم، وبعض الخيار يضلون، وقد أمرنا رسولنا ﷺ أن ننأى عن الدجال، وننفِّر عنه، فإن الرجل يأتيه، وهو يظن أن الدجال لا يمكن أن يؤثر فيه، فما يزال الدجال يبعث له بالشبهات حتى يضله ويغويه.

ويذكر لنا دانيال أن الدجال يترفع على كل إله، ويتكلم بأمور عجيبة، مراده بذلك كفره بالله، وادعاؤه أنه هو الله، ولا يبالي بما عليه الناس من معتقدات، كما لا يبالي النساء، ولا يكون له هوى فيهن، يقول دانيال: «٣١ وَتَقُومُ مِنْهُ أَذْرُعٌ وَتُنَجِّسُ الْمَقْدِسَ الْحَصِينَ، وَتَنْزِعُ الْمُحْرَقَةَ الدَّائِمَةَ، وَتَجْعَلُ الرِّجْسَ الْمُخَرِّبَ. ٣٢ وَالْمُتَعَدُّونَ عَلَى الْعَهْدِ يُغْوِيهِمْ بِالتَّمَلُّقَاتِ. أَمَّا الشَّعْبُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ إِلهَهُمْ فَيَقْوَوْنَ وَيَعْمَلُونَ. ٣٣ وَالْفَاهِمُونَ مِنَ الشَّعْبِ يُعَلِّمُونَ كَثِيرِينَ. وَيَعْثُرُونَ بِالسَّيْفِ وَبِاللَّهِيبِ وَبِالسَّبْيِ وَبِالنَّهْبِ أَيَّامًا. ٣٤ فَإِذَا عَثَرُوا يُعَانُونَ عَوْنًا قَلِيلاً، وَيَتَّصِلُ بِهِمْ كَثِيرُونَ بِالتَّمَلُّقَاتِ.

http://kotob.has.it

٣٥ وَبَعْضُ الْفَاهِمِينَ يَعْثُرُونَ امْتِحَانًا لَهُمْ لِلتَّطْهِيرِ وَلِلتَّبْيِيضِ إِلَى وَقْتِ النِّهَايَةِ. لأَنَّهُ بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ» [سفر دانيال، الإصحاح الحادي عشر: ٣١-٣٥].

ثم يقول دانيال: «٣٦وَيَفْعَلُ الْمَلِكُ كَإِرَادَتِهِ، وَيَرْتَفِعُ وَيَتَعَظَّمُ عَلَى كُلِّ إِلهٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِأُمُورٍ عَجِيبَةٍ عَلَى إِلهِ الآلِهَةِ، وَيَنْجَحُ إِلَى إِتْمَامِ الْغَضَبِ، لأَنَّ الْمَقْضِيَّ بِهِ يُجْرَى. ٣٧وَلاَ يُبَالِي بِآلِهَةِ آبَائِهِ وَلاَ بِشَهْوَةِ النِّسَاءِ، وَبِكُلِّ إِلهٍ لاَ يُبَالِي لأَنَّهُ يَتَعَظَّمُ عَلَى الْكُلِّ. ٣٨وَيُكْرِمُ إِلهَ الْحُصُونِ فِي مَكَانِهِ، وَإِلهًا لَمْ تَعْرِفْهُ آبَاؤُهُ، يُكْرِمُهُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَبِالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ وَالنَّفَائِسِ. ٣٩وَيَفْعَلُ فِي الْحُصُونِ الْحَصِينَةِ بِإِلهٍ غَرِيبٍ. مَنْ يَعْرِفُهُ يَزِيدُهُ مَجْدًا، وَيُسَلِّطُهُمْ عَلَى كَثِيرِينَ، وَيَقْسِمُ الأَرْضَ أُجْرَةً» [سفر دانيال، الإصحاح الحادي عشر: ٣٦-٣٩].

٤٩- رؤيا دانيال لمجد أمة الإسلام وخروج الدجال ونزول عيسى:

هذه رؤيا رآها النبي دانيال، وكان قد سباه نبوخذ نصر هو وطائفةمن بني إسرائيل، ونقلهم إلى مدينة بابل في العراق، وهذه رؤيا دانيال بتمامها، قال: «١ فِي السَّنَةِ الأُولَى لِبَيْلْشَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، رَأَى دَانِيآلُ حُلْمًا وَرُؤَى رَأْسِهِ عَلَى فِرَاشِهِ. حِينَئِذٍ كَتَبَ الْحُلْمَ وَأَخْبَرَ بِرَأْسِ الْكَلاَمِ. ٢ أَجَابَ دَانِيآلُ وَقَالَ: «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيَايَ لَيْلاً وَإِذَا بِأَرْبَعِ رِيَاحِ السَّمَاءِ هَجَمَتْ عَلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ. ٣ وَصَعِدَ مِنَ الْبَحْرِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ عَظِيمَةٍ، هذَا مُخَالِفٌ ذَاكَ. ٤ الأَوَّلُ كَالأَسَدِ وَلَهُ جَنَاحَا نَسْرٍ. وَكُنْتُ أَنْظُرُ حَتَّى انْتَتَفَ جَنَاحَاهُ وَانْتَصَبَ عَنِ الأَرْضِ، وَأُوقِفَ عَلَى رِجْلَيْنِ كَإِنْسَانٍ، وَأُعْطِيَ قَلْبَ إِنْسَانٍ. ٥ وَإِذَا بِحَيَوَانٍ آخَرَ ثَانٍ شَبِيهٍ بِالدُّبِّ، فَارْتَفَعَ عَلَى جَنْبٍ وَاحِدٍ وَفِي فَمِهِ ثَلاَثُ أَضْلُعٍ بَيْنَ أَسْنَانِهِ، فَقَالُوا لَهُ هكَذَا: قُمْ كُلْ لَحْمًا كَثِيرًا. ٦ وَبَعْدَ هذَا كُنْتُ أَرَى وَإِذَا بِآخَرَ مِثْلِ النَّمِرِ وَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةِ طَائِرٍ. وَكَانَ لِلْحَيَوَانِ أَرْبَعَةُ رُؤُوسٍ، وَأُعْطِيَ سُلْطَانًا. ٧ بَعْدَ هذَا كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا بِحَيَوَانٍ رَابعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدًّا، وَلَهُ أَسْنَانٌ مِنْ حَدِيدٍ كَبِيرَةٌ. أَكَلَ وَسَحَقَ وَدَاسَ الْبَاقِيَ بِرِجْلَيْهِ. وَكَانَ مُخَالِفًا لِكُلِّ الْحَيَوَانَاتِ الَّذِينَ قَبْلَهُ، وَلَهُ عَشَرَةُ قُرُونٍ. ٨ كُنْتُ مُتَأَمِّلاً

http://kotob.has.it

بِالْقُرُونِ، وَإِذَا بِقَرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ طَلَعَ بَيْنَهَا، وَقُلِعَتْ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْقُرُونِ الأُولَى مِنْ قُدَّامِهِ، وَإِذَا بِعُيُونٍ كَعُيُونِ الإِنْسَانِ فِي هذَا الْقَرْنِ، وَفَمٍ مُتَكَلِّمٍ بِعَظَائِمَ» [سفر دانيال، الإصحاح السابع: ١-٨].

والذي يهمنا من هذه الرؤيا القرن الصغير، الذي يتعاظم حتى يخلع ثلاثة قرون، والمراد بها ثلاثة ملوك، وهذا هو المسيح الدجال، وقوله: «وإذا بعيون كعيون الإنسان في هذا القرن، وفم متكلم بعظائم» يشير إلى أن هذا القرن إنسان مخلوق، وليس إلهاً كما يدَّعي، فله عيون إنسان، وله فم إنسان، وقد زادنا رسولنا ﷺ به علماً، فأخبرنا أنه أعور، وأن عينه اليمنى كأنها عنبة طافئة.

ثم رأى دانيال ابن الإنسان آتياً مع سحب السماء ثم أعطي ابن الإنسان سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، هذا هو نبي الله عيسى عليه السلام الذي ينزل - كما أخبرنا رسولنا ﷺ على أجنحة ملكين، فيقتل الدجال، ويؤتيه الله الملك، ويدخل الناس في دين الله أفواجاً، حتى لا يبقى إلا الإسلام، يقول دانيال:

«١٣ كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. ١٤ فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ» [دانيال، الإصحاح السابع: ١٣-١٤].

وقد طلب دانيال من بعض الحضور أن يفسر له الرؤيا، ففسرها له، قال دانيال: «١٥ أَمَّا أَنَا دَانِيآلَ فَحَزِنَتْ رُوحِي فِي وَسَطِ جِسْمِي وَأَفْزَعَتْنِي رُؤَى رَأْسِي. ١٦ فَاقْتَرَبْتُ إِلَى وَاحِدٍ مِنَ الْوُقُوفِ وَطَلَبْتُ مِنْهُ الْحَقِيقَةَ فِي كُلِّ هذَا. فَأَخْبَرَنِي وَعَرَّفَنِي تَفْسِيرَ الأُمُورِ: ١٧ هؤُلاَءِ الْحَيَوَانَاتُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي هِيَ أَرْبَعَةٌ هِيَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ يَقُومُونَ عَلَى الأَرْضِ. ١٨ أَمَّا قِدِّيسُو الْعَلِيِّ فَيَأْخُذُونَ الْمَمْلَكَةَ وَيَمْتَلِكُونَ الْمَمْلَكَةَ إِلَى الأَبَدِ وَإِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. ١٩ حِينَئِذٍ رُمْتُ الْحَقِيقَةَ مِنْ جِهَةِ الْحَيَوَانِ الرَّابِعِ

http://kotob.has.it

الَّذِي كَانَ مُخَالِفًا لِكُلِّهَا، وَهَائِلاً جِدًّا وَأَسْنَانُهُ مِنْ حَدِيدٍ وَأَظْفَارُهُ مِنْ نُحَاسٍ، وَقَدْ أَكَلَ وَسَحَقَ وَدَاسَ الْبَاقِيَ بِرِجْلَيْهِ، ٢٠ وَعَنِ الْقُرُونِ الْعَشَرَةِ الَّتِي بِرَأْسِهِ، وَعَنِ الآخَرِ الَّذِي طَلَعَ فَسَقَطَتْ قُدَّامَهُ ثَلاَثَةٌ. وَهذَا الْقَرْنُ لَهُ عُيُونٌ وَفَمٌ مُتَكَلِّمٌ بِعَظَائِمَ وَمَنْظَرُهُ أَشَدُّ مِنْ رُفَقَائِهِ. ٢١ وَكُنْتُ أَنْظُرُ وَإِذَا هذَا الْقَرْنُ يُحَارِبُ الْقِدِّيسِينَ فَغَلَبَهُمْ، ٢٢ حَتَّى جَاءَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ، وَأُعْطِيَ الدِّينُ لِقِدِّيسِي الْعَلِيِّ، وَبَلَغَ الْوَقْتُ، فَامْتَلَكَ الْقِدِّيسُونَ الْمَمْلَكَةَ. ٢٣ فَقَالَ هكَذَا: أَمَّا الْحَيَوَانُ الرَّابعُ فَتَكُونُ مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ عَلَى الأَرْضِ مُخَالِفَةٌ لِسَائِرِ الْمَمَالِكِ، فَتَأْكُلُ الأَرْضَ كُلَّهَا وَتَدُوسُهَا وَتَسْحَقُهَا. ٢٤ وَالْقُرُونُ الْعَشَرَةُ مِنْ هذِهِ الْمَمْلَكَةِ هِيَ عَشَرَةُ مُلُوكٍ يَقُومُونَ، وَيَقُومُ بَعْدَهُمْ آخَرُ، وَهُوَ مُخَالِفٌ الأَوَّلِينَ، وَيُذِلُّ ثَلاَثَةَ مُلُوكٍ. ٢٥ وَيَتَكَلَّمُ بِكَلاَمٍ ضِدَّ الْعَلِيِّ وَيُبْلِي قِدِّيسِي الْعَلِيِّ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ يُغَيِّرُ الأَوْقَاتَ وَالسُّنَّةَ، وَيُسَلَّمُونَ لِيَدِهِ إِلَى زَمَانٍ وَأَزْمِنَةٍ وَنِصْفِ زَمَانٍ. ٢٦ فَيَجْلِسُ الدِّينُ وَيَنْزِعُونَ عَنْهُ سُلْطَانَهُ لِيَفْنَوْا وَيَبِيدُوا إِلَى الْمُنْتَهَى. ٢٧ وَالْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَمْلَكَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ تُعْطَى لِشَعْبِ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ. مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتٌ أَبَدِيٌّ، وَجَمِيعُ السَّلاَطِينِ إِيَّاهُ يَعْبُدُونَ وَيُطِيعُونَ. ٢٨ إِلَى هُنَا نِهَايَةُ الأَمْرِ. أَمَّا أَنَا دَانِيآلَ، فَأَفْكَارِي أَفْزَعَتْنِي كَثِيرًا، وَتَغَيَّرَتْ عَلَيَّ هَيْئَتِي، وَحَفِظْتُ الأَمْرَ فِي قَلْبِي» [دانيال، الإصحاح السابع: ١٥-٢٨].

وقد فسرت الرؤيا لدانيال، فالحيوانات الأربعة هي أربعة ملوك يقومون على الأرض، أي واحد بعد الآخر، وليس المراد أنهم يجتمعون في زمان واحد، والذي يهمنا من الأربعة الحيوان الرابع الهائل القوي جداً، والذي له أسنان من حديد كبيرة، والذي أكل وسحق وداس الباقي برجليه، وهو مخالف لكل الحيوانات قبله، وله عشرة قرون.

والمراد بهذا الحيوان الأمة الإسلامية، فهي أمة قوية، ولقوتها في أولها ملكت الجزيرة العربية، وعلى مدى سنوات قليلة استولت على أعظم دولتين في ذلك الزمان، دولة الفرس ودولة الروم، وساحت في مشارق الأرض وفي مغاربها،

http://kotob.has.it

ووصلت إلى إفريقيا وأوروبا في زمن قصير، وهي مخالفة للدول السابقة، فقد حكمت بشريعة الله، ومكن الله لها في الأرض، وهذه الأمة سيمتد حكمها على مدى عشر دول، كالخلفاء الراشدين، والدولة الأموية، والدولة العثمانية وغيرها.

وقد قال الذي فسر الرؤيا لدانيال عن الحيوان الرابع: «أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض، مخالفة لسائر الممالك، فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها، والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرة ملوك يقومون».

والمراد بالقرن الصغير الذي يظهر بين القرون العشرة، ويخلع ثلاثة من القرون الأولى هو المسيح الدجال كما سبق أن بينته، وقوله: «وإذا بعيون كعيون الإنسان في هذا القرن، وفم متكلم بعظائم» فهذا القرن يدَّعي النبوة، ثم يدَّعي الألوهية، ولكن عيونه تكذبه، فعيونه عيون إنسان، وفمه يتكلم بعظائم، فهو يكذب رسولنا، ويزعم أنه رسول أولاً ثم يدعو الناس إلى الإيمان به رباً للعالمين.

وقد قال مفسر الرؤيا لدانيال عن هذا القرن: ويقوم بعدهم، أي بعد العشرة قرون قرن، وهذا القرن مخالف للأولين، فالأولون صالحون أخيار، يحكِّمون شريعة القرآن، ويخبتون للرحمن، أما هذا القرن فهو ملك كافر مشرك، وهو كاذب في أنه إله، بل هو إنسان، له عيون، وفم متكلم بعظائم، وهذا القرن يحارب القديسين، أي الأمة الإسلامية، فهو يمرُّ على المدينة ومكة، فلا يستطيع دخولها، لأن الله وضع عليهما ملائكة تحرسهما منه، فيمضي متوجهاً إلى القدس، ويفرُّ منه المسلمون في الجبال.

وما ذكرته النبوءة أنه يغير الأوقات والسنّة، فقد أخبرنا رسولنا ﷺ أن الدجال يمكث أربعين يوماً في الأرض، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وباقي أيامه كأيامنا، وسيأتي في ذكر الأيام التي يمكثها أن الشمس يتغير ضوؤها في تلك الأيام، والقمر يتغير نوره، وهذا هو المراد بتغير الأوقات والسنّة، فقد أخبر الرسول ﷺ أصحابه أنه لا تكفينا في تلك الأيام التي كسنة أو كشهر أو أسبوع

http://kotob.has.it

خمس صلوات بل علينا أن نقدر لكل صلاة وقتها، وتغير السنن، أي: سنن الله في خلقه، في طول الأيام وقصرها، وفي طول الليالي وقصرها، وفي ضوء الشمس ونور القمر.

والمراد بابن الإنسان الذي رآه دانيال نازلاً مع السحاب، الذي آتاه الله مجداً وسلطاناً وملكوتاً، هو عيسى ابن مريم ﷺ كما سبق بيانه، وقد أخبرنا ربنا أن الله رفعه إليه، ولم يقتله اليهود، ولم يصلبوه، ولكن شُبِّه لهم، وأخبرنا رسولنا ﷺ بصفة نزوله، وأنه سينزل على أجنحة ملكين، ويعطيه الله القدرة على إهلاك الدجال ومن معه والقضاء عليهم، وبعد قضائه على الدجال تجتمع عليه الأمم والشعوب، ويحكم بشريعة القرآن، ويقيم الإسلام في الأرض، ولا يقبل من أهل الأديان الأخرى الجزية، ويخيرهم بين الإسلام أو القتل، ويحكم في الأرض أربعين سنة، ويلقي الله السلام على الأرض، ولا يبقى طيلة تلك المدة إلا الإسلام.

٥٠- قيام الملك الجافي الوجه الفاهم الحيل:

هذه رؤيا ثانية لدانيال تتحدث في جانب منها عن الدجال، فهي تتحدث عن قرن صغير خرج من أحد قرون تيس عظيم، وقد عظم هذا القرن الصغير، جاء في التوراة:

«٩ وَمِنْ وَاحِدٍ مِنْهَا خَرَجَ قَرْنٌ صَغِيرٌ، وَعَظُمَ جِدًّا نَحْوَ الْجَنُوبِ وَنَحْوَ الشَّرْقِ وَنَحْوَ فَخْرِ الأَرَاضِي. ١٠ وَتَعَظَّمَ حَتَّى إِلَى جُنْدِ السَّمَاوَاتِ، وَطَرَحَ بَعْضًا مِنَ الْجُنْدِ وَالنُّجُومِ إِلَى الأَرْضِ وَدَاسَهُمْ. ١١ وَحَتَّى إِلَى رَئِيسِ الْجُنْدِ تَعَظَّمَ، وَبِهِ أُبْطِلَتِ الْمُحْرَقَةُ الدَّائِمَةُ، وَهُدِمَ مَسْكَنُ مَقْدِسِهِ. ١٢ وَجُعِلَ جُنْدٌ عَلَى الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ بِالْمَعْصِيَةِ، فَطَرَحَ الْحَقَّ عَلَى الأَرْضِ وَفَعَلَ وَنَجَحَ. ١٣ فَسَمِعْتُ قُدُّوسًا وَاحِدًا يَتَكَلَّمُ. فَقَالَ قُدُّوسٌ وَاحِدٌ لِفُلاَنٍ الْمُتَكَلِّمِ: «إِلَى مَتَى الرُّؤْيَا مِنْ جِهَةِ الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ وَمَعْصِيَةِ الْخَرَابِ، لِبَذْلِ الْقُدْسِ وَالْجُنْدِ مَدُوسَيْنِ؟» ١٤ فَقَالَ لِي: «إِلَى أَلْفَيْنِ وَثَلاَثِ مِئَةِ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، فَيَتَبَرَّأُ الْقُدْسُ»» [دانيال، الإصحاح الثامن: ٩-١٤].

http://kotob.has.it

والمراد بالقرن الصغير الذي تحدثت الرؤيا عن خروجه المسيح الدجال، وذكرت الرؤيا أن الدجال يعظم أمره في البلاد التي تكون في الجنوب وفي الشرق وباتجاه فخر الأراضي، ومراده بفخر الأراضي، البلاد التي يفخر بها، وهي البلاد المقدسة، أي:القدس وما حولها.

وذكرت الرؤيا أن الدجال يبطل في القدس المحرقة الدائمة، ويهدم مسكن قدسه، ومسكن قدس الله هو المسجد الأقصى، ويقيم الدجال في مكان المسجد الأقصى معصية الخراب، أي: يقيم معبداً للشرك والإضلال.

وقد فسر جبريل الرؤيا لدانيال، وعرفه بالقرن الصغير الذي يعظم نحو الجنوب، ونحو الشرق، ونحو فخر الأراضي، فقال: «٢٣ وَفِي آخِرِ مَمْلَكَتِهِمْ عِنْدَ تَمَامِ المَعَاصِي يَقُومُ مَلِكٌ جَافِي الْوَجْهِ وَفَاهِمُ الْحِيَلِ. ٢٤ وَتَعْظُمُ قُوَّتُهُ، وَلكِنْ لَيْسَ بِقُوَّتِهِ. يُهْلِكُ عَجَبًا وَيَنْجَحُ وَيَفْعَلُ وَيُبِيدُ الْعُظَمَاءَ وَشَعْبَ الْقِدِّيسِينَ. ٢٥ وَبِحَذَاقَتِهِ يَنْجَحُ أَيْضًا المَكْرُ فِي يَدِهِ، وَيَتَعَظَّمُ بِقَلْبِهِ. وَفِي الاطْمِئْنَانِ يُهْلِكُ كَثِيرِينَ، وَيَقُومُ عَلَى رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ، وَبِلاَ يَدٍ يَنْكَسِرُ. ٢٦ فَرُؤْيَا المَسَاءِ وَالصَّبَاحِ الَّتِي قِيلَتْ هِيَ حَقٌّ. أَمَّا أَنْتَ فَاكْتُمِ الرُّؤْيَا لأَنَّهَا إِلَى أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ». ٢٧ وَأَنَا دَانِيآلَ ضَعُفْتُ وَنَحَلْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ قُمْتُ وَبَاشَرْتُ أَعْمَالَ المَلِكِ، وَكُنْتُ مُتَحَيِّرًا مِنَ الرُّؤْيَا وَلاَ فَاهِمَ» [دانيال، الإصحاح الثامن: ٢٣-٢٧].

أخبر جبريل دانيال أنه في آخر مملكة الأمة الإسلامية، عند تمام المعاصي، أي: في آخر الزمان، يقوم ملك جافي الوجه، وفاهم الحيل، أي: أن وجهه غليظ قاسٍ، ليس فيه شيء من السهولة والانبساط، وقد قال لنا رسولنا ﷺ فيه قولاً لم يقله أحد من الأنبياء لقومه، قال لنا: إنه أعور، عينه اليمنى كأنها عنبة طافئة [صحيح الجامع، وعزاه إلى مالك وأحمد، والبخاري، ومسلم عن ابن عمرو، ورقمه: ٨٦٩].

ويقول جبريل عن الدجال: إنه فاهم الحيل، وهذه أخص خصائص الدَّجال، فإنه لا يهاجم الناس ليقاتلهم، ولكنه يعرض على الناس حيله وألاعيبه، فيضلُّ بها

http://kotob.has.it

عباد الله، وقد ذكر لنا رسولنا ﷺ الكثير من حيله وألاعيبه، فمن ذلك ما ذكره لنا الرسول ﷺ «معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماءٌ أبيض، والآخر رأيَ العين نارٌ تأجَّج، فإما أدْرَكَنَّ، واحد منكم، فليأت النهر الذي يراه ناراً، ولْيُغْمِضْ، ثم ليُطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد، وإن الدجال ممسوح العين اليسرى، عليها ظَفَرَةٌ غليظة، مكتوبٌ بين عينيه؛ كافرٌ، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب» [عزاه الألباني في صحيح الجامع: ٥٠٥١ إلى البخاري ومسلم وأحمد].

وذكرت من قبل كيف يكون معه شياطين تتصور للرجل بصورة أبيه وأمه، ويأمران ذلك الرجل باتباعه.

ومن ذلك أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، ويأمر السماء فتمسك قطرها، والأرض فتمحل.

وذكر جبريل في تفسر الرؤيا أن قوته تعظم، وذكر لنا رسولنا ﷺ أنه يتبعه جموع كثيرة من الخلق، وأنه يتبعه من يهود أصبهان وحدها سبعون ألفاً، وذكرت لنا الرؤيا أنه يُهلك عجباً، وأنه ينجح ويبيد العظماء وشعب القديسين، وبحذاقته ينجح أيضاً المكرُ في يده.

وقد فسر لنا رسولنا ﷺ كيف يهلك عجباً، فالذين يكفرون به، ينقطع عنهم قطر السماء، ولا تنبت أرضهم، ويجوعون، وتجوع مواشيهم وبهائمهم، وبذلك يجلب على الناس البلاء، ولا يقاتل الناس، ولا يقتلهم، والمراد بالعظماء وشعب القديسين الصالحون من هذه الأمة.

وذكر جبريل في تفسير الرؤيا أن الدجال ينجح في المكر، أي: فيما يريه للناس من عجائب، فيحمل الناس على الإيمان به واتباعه، ولكنه في الختام ينكسر كما يقول جبريل، فقد أخبرنا رسولنا ﷺ أن الله يُنزِل عيسى، وعندما يراه الدجال يبدأ بالذوبان والتلاشي، ولو تركه لذاب كما يذوب الملح في الماء، ولكن عيسى يتبعه حتى يضربه بحربته بباب لد، فيقتله، ويرى الناس دمه على حربته.

http://kotob.has.it

وقد بينت الرؤيا لدانيال أن هذه الرؤيا تكون إلى ألفين وثلاثمائة صباح ومساء.

والله أعلم بمقدار هذه المدة المنصوص عليها إن كانت صحيحة.

٥١- الظالم يبيد وينتهي الخراب:

يقول إشعياء: «١ أَرْسِلُوا خِرْفَانَ حَاكِمِ الأَرْضِ مِنْ سَالِعَ نَحْوَ الْبَرِّيَّةِ إِلَى جَبَلِ ابْنَةِ صِهْيَوْنَ. ٢ وَيَحْدُثُ أَنَّهُ كَطَائِرٍ تَائِهٍ، كَفِرَاخٍ مُنَفَّرَةٍ تَكُونُ بَنَاتُ مُوآبَ فِي مَعَابِرِ أَرْنُونَ. ٣ هَاتِي مَشُورَةً، اصْنَعِي إِنْصَافًا، اجْعَلِي ظِلَّكِ كَاللَّيْلِ فِي وَسَطِ الظَّهِيرَةِ، اسْتُرِي الْمَطْرُودِينَ، لاَ تُظْهِرِي الْهَارِبِينَ. ٤ لِيَتَغَرَّبْ عِنْدَكِ مَطْرُودُو مُوآبَ. كُونِي سِتْرًا لَهُمْ مِنْ وَجْهِ الْمُخَرِّبِ، لأَنَّ الظَّالِمَ يَبِيدُ، وَيَنْتَهِي الْخَرَابُ، وَيَفْنَى عَنِ الأَرْضِ الدَّائِسُونَ. ٥ فَيُثَبَّتُ الْكُرْسِيُّ بِالرَّحْمَةِ، وَيَجْلِسُ عَلَيْهِ بِالأَمَانَةِ فِي خَيْمَةِ دَاوُدَ قَاضٍ، وَيَطْلُبُ الْحَقَّ وَيُبَادِرُ بِالْعَدْلِ. ٦ قَدْ سَمِعْنَا بِكِبْرِيَاءِ مُوآبَ الْمُتَكَبِّرَةِ جِدًّا عَظَمَتِهَا وَكِبْرِيَائِهَا وَصَلَفِهَا بُطْلِ افْتِخَارِهَا» [سفر إشعياء، الإصحاح السادس عشر: ١-٦].

هذا المقطع من هذا الإصحاح في سفر إشعياء يتحدث عما يجري في آخر الزمان، فالهاربون الذي يتحدث عنهم هذا المقطع هم الهاربون من وجه الدجال، الذي سماه إشعياء بالمخرب، وقوله: «لأن الظالم يبيد، وينتهي الخراب» المراد بالظالم الدجال، وينتهي الخراب الذي كان يحدثه، والمراد بالدائسين الذين يفنون عن وجه الأرض، أتباع الدجال، الذين يفنيهم عيسى عليه السلام، وقد يكون المراد بهم يأجوج ومأجوج ومراده بالذي يثبت كرسيه بالرحمة، ويجلس عليه بالأمانة في خيمة داود عليه السلام هو عيسى ابن مريم عليه السلام بعد نزوله من السماء، وقضائه على الدجال.

٥٢- إرميا يتحدث عن الدجال:

تحدث إرميا عن الدجال فقال: «١٣ هُوَذَا كَسَحَابٍ يَصْعَدُ، وَكَزَوْبَعَةٍ مَرْكَبَاتُهُ. أَسْرَعُ مِنَ النُّسُورِ خَيْلُهُ. وَيْلٌ لَنَا لأَنَّنَا قَدْ أُخْرِبْنَا. ١٤ اِغْسِلِي مِنَ الشَّرِّ قَلْبَكِ يَا

http://kotob.has.it

أُورُشَلِيمُ لِكَيْ تُخَلَّصِي. إِلَى مَتَى تَبِيتُ فِي وَسَطِكِ أَفْكَارُكِ الْبَاطِلَةُ؟ ١٥ لأَنَّ صَوْتًا
يُخْبِرُ مِنْ دَانَ، وَيُسْمَعُ بِبَلِيَّةٍ مِنْ جَبَلِ أَفْرَايِمَ: ١٦ أُذْكُرُوا لِلأُمَمِ. انْظُرُوا. أَسْمِعُوا عَلَى
أُورُشَلِيمَ. الْمُحَاصِرُونَ آتُونَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ، فَيُطْلِقُونَ عَلَى مُدُنِ يَهُوذَا صَوْتَهُمْ. ١٧
كَحَارِسِي حَقْلٍ صَارُوا عَلَيْهَا حَوَالَيْهَا، لأَنَّهَا تَمَرَّدَتْ عَلَيَّ، يَقُولُ الرَّبُّ. ١٨ طَرِيقُكِ
وَأَعْمَالُكِ صَنَعَتْ هذِهِ لَكِ. هذَا شَرُّكِ. فَإِنَّهُ مُرٌّ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَ قَلْبَكِ» [سفر إرميا،
الإصحاح الرابع: ١٣-١٨].

تحدث إرميا عن الدجال، فمركباته تسير كالسحاب، أو كزوبعة، وخيله في سرعتها كالنسور في طيرانها، وقد سئل الصحابة رسولنا ﷺ فقالوا: وما إسراع الدجال في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح» [مسلم: ٢٩٣٧].

والمحاصرون الذين يحاصرون مدينة القدس، وهم الدجال ومن معه، وقد أخبرنا رسولنا ﷺ أن الدجال يخرج من خراسان، وأخبر إرميا بما يفعله الدجال ومن معه، وكيف يحاصرون من في المدينة ويطلقون عليها أصواتهم.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المبحث الثالث

نزول عيسى ابن مريم وقتله الدجال

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

تقديم

٥٢- ما يفعله عيسى بعد نزوله:

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، ويقضي عيسى عليه السلام على الدجال، والدجال أحد علامات الساعة الكبرى، ويخرج في ذلك الزمان في عهد نزول عيسى يأجوج ومأجوج، ويهلكهم الله في الأرض المباركة بعد أن يفسدوا إفساداً عظيماً، وخروج يأجوج ومأجوج علامة من علامات الساعة الكبرى.

وينزل عيسى عليه السلام مجهزاً بخوارق تقضي على الدجال وفتنته، وسيبقى عيسى في الأرض حتى يقيم الإسلام، ويحكّم القرآن، ويحل السلام في ربوع العالم.

٥٣- نزول عيسى في الكتاب والسنّة:

أ- إنزال الله عيسى عليه السلام آخر الزمان من السماء: أخبرنا الحق تبارك وتعالى أن اليهود لم يقتلوا رسوله عيسى ابن مريم، وإن ادعى النصارى هذه الدعوى وصدقوها، والحقيقة أن عيسى لم يُقتل، ولكن الله ألقى شبهه على غيره، أما هو فقد رفعه الله إلى السماء ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨].

وأشار الحق في كتابه إلى أن عيسى سينزل في آخر الزمان، وأن نزوله سيكون علامة دالة على قرب وقوع الساعة ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف:٦١]، كما أخبر أن

http://kotob.has.it

أهل الكتاب في ذلك الزمان سيؤمنون به، ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء:١٥٩].

وقد جاء تفصيل هذه النصوص في السنّة النبوية، فقد أخبرنا الرسول ﷺ أنه عندما تشتد فتنة الدجال، ويضيق الأمر بالمؤمنين في ذلك الزمان، ينزل الله عبده ورسوله عيسى عليه السلام، وينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، فقد روى الطبراني في معجمه الكبير عن أوس بن أوس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق» [صحيح الجامع الصغير. ورقمه (٨٠٢٥)، وإسناده صحيح كمال الشيخ ناصر الدين الألباني].

وقد وصف لنا الرسول ﷺ حاله عند نزوله، ففي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس بيني وبين عيسى نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع، إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل» [الألباني في صحيح الجامع الصغير ورقمه: ٥٢٦٥].

ب- الوقت الذي ينزل الله فيه عيسى عليه السلام: ويكون نزوله في وقت اصطف فيه المقاتلون المسلمون لصلاة الفجر، وتقدم إمامهم للصلاة، فيرجع ذلك الإمام طالباً من عيسى أن يتقدم فيؤمهم، فيأبى، ففي الحديث «وإمامهم - أي إمام الجيش الإسلامي - رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص، يمشي القهقرى ليتقدم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فَصَلِّ، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم» [عزاه الألباني في صحيح الجامع الصغير إلى ابن ماجة وابن خزيمة والحاكم].

ويكون هذا في حال إعداد المسلمين لحرب الدجال، ففي حديث أبي هريرة عند مسلم: «فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة فينزل

http://kotob.has.it

عيسى ابن مريم، فأمهم»، ولفظه في كتاب الإيمان: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وأمكم» [مسلم: ٢٨٩٧]. وليس المراد هنا في هذا الحديث أن عيسى أمهم في الصلاة، فالحديث الأول يدل على رفض عيسى للتقدم، وأنه قدم الإمام الذي أقيمت له الصلاة، ومثله حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم، قال: قال رسول الله ﷺ : «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» [البخاري: ٣٤٤٩، ومسلم: ١٥٥] وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله ﷺ ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة» [مسلم: ١٥٦].

ج- أول أعمال عيسى القضاء على الدجال: وأول عمل يقوم به عيسى هو مواجهة الدجال، فبعد نزول عيسى يتوجه إلى بيت المقدس حيث يكون الدجال محاصراً عصابة المسلمين، فيأمرهم عيسى بفتح الباب، ففي سنن ابن ماجة، وصحيح ابن خزيمة، ومستدرك الحاكم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : «فإذا انصرف، قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً...، فيدركه عند باب لد الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود..» [صحيح الجامع الصغير: ٢٧٥١٦ ورقمه: ٧٧٥٢].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ أخبر عن نزول عيسى وصلاته بالمؤمنين ثم قال: «فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته». [مسلم: ٢٨٩٧].

والسر في ذوبان الدجال أن الله أعطى لنَفَس عيسى رائحة خاصة إذا وجدها الكافر مات منها، ففي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ في حديث طويل ومما قاله فيه: «فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل

http://kotob.has.it

عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين[1]، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان[2] كاللؤلؤ. فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لدّ، فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة» [مسلم: ٢٩٣٧]، والسر في عدم ترك عيسى الدجال حتى يموت بنفسه، هو إنهاء أسطورة هذا المخلوق وفتنته، فإن الناس إذا شاهدوا قتله وموته استيقنوا أنه ضعيف مغلوب على أمره، وأن دعواه كانت زوراً وكذباً.

د- **خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم**: يقضي عيسى على الدجال وفتنته، ويخرج يأجوج ومأجوج في زمانه - كما سيأتي بيانه - فيفسدون في الأرض إفساداً عظيماً، فيدعو عيسى ربه، فيستجيب له، ويصبحون موتى، لا يبقى منهم أحد، وعند ذلك يتفرغ عيسى للمهمة الكبرى التي أُنزل من أجلها، وهي تحكيم شريعة الإسلام، والقضاء على المبادئ الضالة، والأديان المحرفة، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» [البخاري: ٢٢٢٢. ومسلم: ١٥٥].

وفي رواية عند مسلم عن أبي هريرة: «والله لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص، فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليُدْعَوُنَّ إلى المال فلا يقبله أحد» [مسلم: ١٥٥]. وعن النواس بن سمعان في حديثه الطويل الذي فيه ذكر الدجال ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، وفي ختامه ذكر الرسول ﷺ

(١) أي: ثوبان مصبوغان بورس ثم زعفران.

(٢) الجمان حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ.

http://kotob.has.it

دعاء عيسى ربه عندما يشتد عليهم الأمر، فيستجيب الله، ويهلك يأجوج ومأجوج، ثم يقول: «ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[1]، ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت[2]، فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل مطراً، لا يُكَنُّ منه بيت مدر[3] ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[4]، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة[5] من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسْل[6]، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس[7]، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[8] من الناس» [مسلم: ٢٩٣٧] [راجع: القيامة الصغرى للمؤلف: ٢٦٩-٢٧٦].

هـ- هلاك الأديان في زمن عيسى إلا الإسلام ووضع السلام في الأرض: بعد أن يهلك الله الدجال على يد عيسى عليه السلام يتفرغ عيسى ومن معه لنشر الإسلام، فيكسر الصليب، وهو رمز النصرانية المحرفة، ويقتل الخنزير الذي حرمه الإسلام، ويضع الجزية، فلا يقبل من اليهود والنصارى الجزية، ولا يقبل منهم إلا الإسلام، ففي حديث أبي هريرة عند أبي داود بإسناد صحيح يرفعه: «فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام» [صحيح الجامع: ٥/ ٩٠ ورقمه: ٥٢٦٥].

---

(١) أي: دسمهم.

(٢) البخت: الجمال الخراسانية، أعناقها طويلة.

(٣) بيت المدر: الطين الصلب.

(٤) الزلفة: المرآة، أي تكون الأرض في صفائها ونقائها كالمرآة.

(٥) العصابة: الجماعة.

(٦) الرسل: اللبن.

(٧) اللقحة: القريبة العهد بولادة، وقيل: الناقة الحلوب. والفئام: الجماعة الكثيرة.

(٨) الفخذ: الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة.

http://kotob.has.it

وعدم قبول الجزية لا يعد نسخاً، فإن الرسول ﷺ أخبر أن الجزية تقبل إلى أن ينزل عيسى، وبعد ذلك لا تقبل، يقول النووي: «ويضع الجزية: الصواب أنه لا يقبلها، ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يَكُفَّ عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام، أو القتل، هكذا قال الإمام أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء.. فعلى هذا قد يقال: هذا خلاف حكم الشرع اليوم، فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها، ولم يجز قتله، ولا إكراهه على الإسلام، وجوابه: أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة، بل هو مقيد بما قبل عيسى عليه السلام وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه، وليس عيسى هو الناسخ، بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ، فإن عيسى يحكم بشرعنا» [شرح النووي على مسلم: ١٢-١٩٠].

و- عموم الرخاء، وسيادة الإسلام: أخبرت النصوص التي سقناها عن تلك البركة العظيمة التي توجد في ذلك الوقت، والأمن العظيم الذي يكرم الله به العباد في تلك الأيام، وكيف ترفع الشحناء والتباغض بين الناس، ويجتمع البشر على كلمة الله تبارك وتعالى.

ومن النصوص التي تحدثت عن هذا حديث أبي أمامة عند ابن ماجه، وابن خزيمة، والحاكم بإسناد صحيح، قال: قال رسول الله ﷺ: «فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير[١]، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حُمَةُ كل ذات حمة[٢]، حتى يُدخِلَ الوليدُ يده في الحية، فلا تضرَّهُ، وتُفِرَّ الوليدةُ الأسدَ، فلا يضرُّها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتُملأ الأرض من السِّلْم، كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدةً، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب

(١) أي لعدم الحاجة إلى السعي، وطلب الرزق.

(٢) مثل سم الأفعى، والعقرب.

http://kotob.has.it

أوزارها، وتُسلَب قريشٌ مُلْكَها، وتكون الأرض كفاثور[1] الفضة، تنبت نباتها بعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القِطف من العنب، فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانـة، فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفـرس بـدريهمات..» [صـحيح الجامع الصغير: ٧٧٥٢].

ز- طيب العيش بعد نزول المسيح: إن الحالـة التـي وصـفتها النـصوص عـن الحياة في تلك الفترة حالة فذة في تاريخ الإنسانية، حيث يعيش الناس في خير وأمـن وسلام، وفي بحبوحة من العيش، ولذلك فإنهم يغبطون عـلى مـا يكونـون فيـه مـن نعيم، وفي الحديث: «طوبى لعـيش بعـد المـسيح، يـؤذن للـسماء في القطـر، ويـؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت، وحتى يمر الرجـل عـلى الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره، ولا تـشاحّ، ولا تحاسـد، ولا تبـاغض» [عزاه الألباني في سلسلة الصحيحة ٤/ ٥٥٩. ورقمه: ١٩٢٦، إلى أبي بكر الأنباري، والديلمي، والضياء عن أبي هريرة].

وفي حديث النواس بن سمعان الذي رواه مسلم، «ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، ورُدِّي بركتك، فيومئذ تأكل العـصابة مـن الرمانـة. ويـستظلون بقِحْفهـا، ويبارك في الرِّسْل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس. واللقحة مـن البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس» [مـسلم: ٢٩٣٧].

ح- مدة بقاء المسيح في الأرض بعد نزوله: مدة بقاء عيسى في الأرض أربعون عاماً، كما ثبت ذلك في حديث صحيح في سنن أبي داود عن أبي هريرة: «فيمكـث في الأرض أربعين سنة، ثـم يتـوفى؛ ويـصلي عليـه المـسلمون» [صـحيح الجـامع الـصغير: ٥٢٦٥].

---

(١) الفاثور: الخوان، وقيل: طست أو جام من فضة أو ذهب.

http://kotob.has.it

وهو في ذلك مقيم لحكم الإسلام، مصل إلى قبلة المسلمين، وقد ذكرنا الأحاديث المفصحة عن صلاته وراء ذلك الرجل الصالح عند نزوله، كما ثبت أنه يحج البيت العتيق، ففي صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليهلنَّ ابن مريم بفج الروحاء، حاجاً أو معتمراً، أو لَيَثْنِيَنَّهما» [صحيح الجامع الصغير: ٦٩٥٥].

والروحاء مكان بين المدينة ووادي الصفراء في طريق مكة على نحو أربعين ميلاً من المدينة أو ستة وثلاثين أو ثلاثين [لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١١٣].

ط- فضل الذين يصحبون عيسى عليه السلام: في مسند أحمد وسنن النسائي عن ثوبان، عن النبي ﷺ، قال: «عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم» [صحيح الجامع الصغير: ٣٩٠٠].

٥٥- لا يزول قضيب من يهوذا:

جاء في سفر التكوين أول أسفار التوراة: «١٠ لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ. ١١ رَابِطًا بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ، وَبِالْجَفْنَةِ ابْنَ أَتَانِهِ، غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ، وَبِدَمِ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ. ١٢ مُسْوَدُّ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْخَمْرِ، وَمُبْيَضُّ الأَسْنَانِ مِنَ اللَّبَنِ» [سفر التكوين، الإصحاح التاسع والأربعون: ١٠-١٢].

وهذا الخبر فيه غموض، والمراد بشيلون الذي تخضع له الأمم هو نبينا محمد ﷺ، إذ هو مبعوث للناس جميعاً، وليس لأحد غيره من الرسل والأنبياء هذه الخاصية، فكل رسول من الرسل من قبله أرسل إلى قومه فحسب، بينما نبينا محمد ﷺ أرسل إلى الناس كافة، فهو وإن كان من العرب، وأرسل إلى العرب أولاً، إلا أن رسالته للناس جميعاً.

والقضيب الذي من يهوذا هو رسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو الذي تتحدث عنه التوراة أنه يركب الحمار، كما أن رسولنا يتحدث عنه بركوب الجمل،

http://kotob.has.it

والنص يقول: «رابطاً بالكرمة جحشه، وبالجفنة ابن أتانة» والجحش والأتان من أسماء الحمار.

ولعيسى عليه السلام علاقة بهذه الأمة، فهو آخر الأنبياء والرسل قبل رسولنا محمد ﷺ، وليس بينه وبين رسولنا نبي، وهو سينزل في آخر الزمان، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويؤذن بالصلاة، ويحكم بشريعة القرآن.

٥٦- المسيح عيسى عليه السلام يتحدث عن نزوله آخر الزمان:

أ- نزوله يكون سريعاً كالبرق: حدَّث المسيح أتباعه عن مجيئه في آخر الزمان، وأنه سيكون مجيئاً غير عادي، وحذرهم من تصديق الذين يدعون أنه جاء مجيئاً عادياً، فالذين يقولون: إنهم رأوه في البرية كاذبون مخادعون، ولا يجوز تصديقهم، وذكر لهم أن مجيئه سيكون كالبرق الذي يكون في المشرق أو المغرب، لا يستغرق وقتاً حتى يصل إلى الجهة الأخرى من العالم، وهذا صحيح، فقد أخبرنا رسولنا ﷺ أن عيسى ينزل على أجنحة ملكين، ينزل عبر السحاب، جاء في الإنجيل:

«٢٣ حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا! أَوْ: هُنَاكَ! فَلاَ تُصَدِّقُوا. ٢٤ لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا. ٢٥ هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ. ٢٦ فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ: هَا هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ! فَلاَ تَخْرُجُوا. هَا هُوَ فِي الْمَخَادِعِ! فَلاَ تُصَدِّقُوا. ٢٧ لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. ٢٨ لأَنَّهُ حَيْثُمَا تَكُنِ الْجُثَّةُ، فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ النُّسُورُ» [إنجيل متى، الإصحاح الرابع والعشرون: ٢٣-٢٨].

ومراد عيسى عليه السلام بالمسحاء الكذبة الذين يعطون آيات عظيمة وعجائب، ويضلون المختارين الدجال، وقد تحدثنا عنه، وبينا ما عنده من عجائب يضلُّ بها الناس.

ب- سيكون قبل نزول عيسى فتن كثيرة: كان عيسى عليه السلام قبل رفع الله له إلى السماء يعلم بأن الله سيرفعه إلى السماء، ويعلم أن الله سيعيده في آخر الزمان إلى

http://kotob.has.it

الأرض، وسيكل إليه القيام بأعمال عظيمة، وقد حدث عيسى ﷺ تلامذته وأتباعه وحوارييه بذلك، وقبل أن يرفع سألوه عن وقت مجيئه، وسألوه عن علامة مجيئه، فقالوا له: «قل لنا متى يكون هذا، وما هي علامة مجيئك، وانقضاء الدهر؟» [إنجيل متى الإصحاح الرابع والعشرون: ٤].

فأخبرهم عيسى ﷺ أنه سيخرج أناس كثيرون يدعي كل واحد منهم أنه المسيح، وحذرهم من اتباع هؤلاء الأنبياء الكذبة، وأخبرهم أنه سيكون قبل خروجه حروب كثيرة، وستكون مجاعات وأوبئة وزلازل، وسيقوم أنبياء كذابون كثيرون، يضلون عباد الله، قال لهم المسيح مجيباً: «انْظُرُوا! لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. ٥ فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ! وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. ٦ وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ. اُنْظُرُوا، لاَ تَرْتَاعُوا. لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ تَكُونَ هذِهِ كُلُّهَا، وَلكِنْ لَيْسَ الْمُنْتَهَى بَعْدُ. ٧ لأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ وَزَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ. ٨ وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا مُبْتَدَأُ الأَوْجَاعِ. ٩ حِينَئِذٍ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضِيقٍ وَيَقْتُلُونَكُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ لأَجْلِ اسْمِي. ١٠ وَحِينَئِذٍ يَعْثُرُ كَثِيرُونَ وَيُسَلِّمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُبْغِضُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ١١ وَيَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. ١٢ وَلِكَثْرَةِ الإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ. ١٣ وَلكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ. ١٤ وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى» [إنجيل متى، الإصحاح الرابع والعشرون: ٤-١٤].

ج- **خروج الدجال قبل نزول عيسى**: ثم ذكر لهم علامة كبيرة تقع قبل نزوله، وهي خروج المسيح الدجال، وأخبرهم بفرار الناس من وجه إلى الجبال عندما يخرج، قال لهم: «فمتى نظرتم «رِجْسَة الخراب» التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس» [متى، الإصحاح الرابع والعشرون: ١٥] ورجسة الخراب بناء يقام مكان المسجد الأقسى، يقام ليكون معبداً للفسق والضلال، عند ذلك يكون خروج

http://kotob.has.it

الدجال، وأمرهم عيسى عليه السلام عند ذلك بالفرار سريعاً إلى الجبال، ولا ينبغي التواني لحظة عن الفرار الذي أمرهم به، فالذي على سطح المنزل لا ينبغي له أن ينزل إلى منزله ليأخذ منه شيئاً، والذي في حقله لا يجوز له أن يرجع إلى داره ليأخذ ثيابه، وأخبرهم أن الذين لديهم ما يعوقهم عن الهرب سيلحقهم بلاء عظيم، ومثّل لذلك بالحبالى والمرضعات، وأمرهم أن يدعو الله أن لا يكون هربهم في الشتاء الذي يعوق عن الهرب، ولا في السبت الذي يمنع فيه عن العمل. وأخبرهم أنه سيكون في تلك الأيام ضيق عظيم، لم يكن مثله منذ ابتداء العالم، وذكر له أن الأيام في ذلك الزمان ستكون طويلة، ولو لم تُقصَّر لم يخلص جسد، ولكن الله يُقصِّرُها لأجل المختارين، وقد ذكر لنا رسولنا ﷺ أن الدجال سيمكث في الأرض أربعين يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، جاء في إنجيل متى: «١٥ فَمَتَى نَظَرْتُمْ «رِجْسَةَ الْخَرَابِ» الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيآلُ النَّبِيُّ قَائِمَةً فِي الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ - لِيَفْهَمِ الْقَارِئُ - ١٦ فَحِينَئِذٍ لِيَهْرُب الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ، ١٧ وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلاَ يَنْزِلْ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا، ١٨ وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ فَلاَ يَرْجِعْ إِلَى وَرَائِهِ لِيَأْخُذَ ثِيَابَهُ. ١٩ وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ! ٢٠ وَصَلُّوا لِكَيْ لاَ يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ وَلاَ فِي سَبْتٍ، ٢١ لأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ. ٢٢ وَلَوْ لَمْ تُقَصَّرْ تِلْكَ الأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلكِنْ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقَصَّرُ تِلْكَ الأَيَّامُ» [إنجيل متى، الإصحاح الرابع والعشرون: ١٥-٢٢].

د- **التغيرات الكونية قبيل نزول عيسى**: ذكر عيسى لأتباعه أنه يطرأ تغير كبير على العالم في تلك الأيام، فالشمس تظلم، والقمر يخفت ضوؤه، ولا يكون في مثل ضوئه المعهود، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان، وهو عيسى آتيا على السحاب بقوة ومجد كثير.

«٢٩ وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. ٣٠ وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ

http://kotob.has.it

الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ» [إنجيل متى، الإصحاح الرابع والعشرون: ٢٩-٣٠].

هـ- **لا يعلم أحد بوقت نزوله إلا الله:** ذكر عيسى لتلاميذه أن اليوم الذي سينزل فيه لا يعلم به أحد لا الناس، ولا ملائكة السموات، ولا يعلم به إلا الله وحده، وشبه عيسى حال نزوله كحال مجيء الطوفان، كان الناس قبل الطوفان يأكلون ويشربون، ويتزوجون، ولم يشعروا حتى جاء الطوفان، وأخذ الجميع، كذلك يكون نزول عيسى، جاء في الإنجيل: «٣٦ وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلاَّ أَبِي وَحْدَهُ. ٣٧ وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. ٣٨ لأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي الأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُزَوِّجُونَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ الْفُلْكَ، ٣٩ وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ وَأَخَذَ الْجَمِيعَ، كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ» [إنجيل متى، الإصحاح الرابع والعشرون: ٣٦-٣٩].

ز- **ما يجري من وقائع بعد نزول عيسى:** وقد أخبرنا رسولنا ﷺ بما يفعله عيسى بعد نزوله، فأول ذلك قضاؤه على المسيح الدجال، ثم يخرج بعد ذلك يأجوج ومأجوج، ويقضي الله عليهم، ثم يدعو الناس إلى الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويؤذن بالصلاة، ويحكم بشريعة القرآن، وترفع الجزية، فلا يقبل من اليهود والنصارى والكفار إلا الإسلام، ومن رفض يقتل، فلا جزية، ولا يبقى في عصره إلا الإسلام، ويعم الإسلام الأرض، ويلقى على الأرض السلام والإسلام، وهو سلام حقيقي شامل، حتى الحيوانات لا تفسد ولا تقتل، الأسد والنمر والثعلب وابن آوى والأفاعي لا تؤذي أحداً، أما الذي ذكره إنجيل متى في الإصحاح الخامس والعشرين أنه يجمع الناس فيكون الصالحون عن يمينه والطالحون عن يساره، فالصالحون يؤمر بهم إلى الجنة، والطالحون إلى النار، فهذا يكون في الآخرة، والأمر في ذلك ليس لعيسى، وإنما هو لله تبارك وتعالى.

http://kotob.has.it

٥٧- مجيء المَلِك الذي يقطع قوس الحرب ويتكلم بالسلام للأمم:

ومن البشارات الصريحة الواضحة في هذا الموضوع ما أخبر به زكريا، فقد أخبر بقدوم المَلِك في آخر الزمان، ويصفه بأنه عادل ومنصور ووديع، وهو الذي توضع الحرب في عهده، ويحل السلام في عهده، وفي ذلك يقول زكريا: «٩ اِبْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ. ١٠ وَأَقْطَعُ الْمَرْكَبَةَ مِنْ أَفْرَايِمَ وَالْفَرَسَ مِنْ أُورُشَلِيمَ وَتُقْطَعُ قَوْسُ الْحَرْبِ. وَيَتَكَلَّمُ بِالسَّلاَمِ لِلأُمَمِ، وَسُلْطَانُهُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ» [سفر زكريا، الإصحاح التاسع: ٩-١٠].

هذا الذي يتحدث عنه الإنجيل هو عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء، فيدعو إلى الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويؤذن بالصلاة، ويقتل المسيح الدجال، ويحِلُّ السلام على الأرض، فلا يوجد مراكب حربية، و خيول للقتال، وتترك أقواس الحرب، وينادي بالسلام، ويغطي ملكه الأرض كلها، ومعروف أن راكب الحمار في التوراة هو عيسى عليه السلام .

وهذا المذكور في الحديث لم يجر لعيسى قبل رفعه إلى السماء، فيكون ذلك بعد نزوله كما أخبرت به الأحاديث الصحيحة التي أوردتها.

وفي سفر إرميا، يهدد الرعاة، وهم الزعماء والرؤساء الذين يهلكون ويبددون غنم الرعية، والمراد بهم شعب إسرائيل، ويقول لهم: « أَنْتُمْ بَدَّدْتُمْ غَنَمِي وَطَرَدْتُمُوهَا وَلَمْ تَتَعَهَّدُوهَا» ويعاقبهم الله على شر أعمالهم، وفي ذلك الزمان يجمع الله شعب بني إسرائيل من الأراضي التي تفرقوا فيها، ويردها إلى الديار التي ارتضاها لهم، فيثمرون ويكثرون، ويقيم عليهم رعاة يرعونها، أي يقيم عليهم حكاماً صالحين، يرعونها بالحق، فلا تخاف، ولا ترتعد.

http://kotob.has.it

وهذا يكون بعد نزول عيسى ﷺ، وقوله: «أُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بِرّ»، هو عيسى ﷺ عندما ينزل في آخر الزمان، فيملك وينجح، ويحكم بالعدل، ذلك أنه يحكم بالقرآن، ويقيم الإسلام، «وفي أيامه يخلص يهوذا، ويسكن إسرائيل آمناً» أي في أيام عيسى يخلص يهوذا، عندما يدخلون في الإسلام، ويكون قولهم في ذلك اليوم: «الرَّبُّ بِرُّنَا» ويقولون: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَ وَأَتَى بِنَسْلِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ الشِّمَالِ وَمِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي الَّتِي طَرَدْتُهُمْ إِلَيْهَا فَيَسْكُنُونَ فِي أَرْضِهِمْ»، ولا يقولون كما كان يقول بنو إسرائيل في الماضي: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ»، فقد حلت بهم نعمة جديدة، أنستهم النعمة التي حلت بآبائهم قديماً، جاء في سفر إرميا: «١ وَيْلٌ لِلرُّعَاةِ الَّذِينَ يُهْلِكُونَ وَيُبَدِّدُونَ غَنَمَ رَعِيَّتِي، يَقُولُ الرَّبُّ. ٢ لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الرُّعَاةِ الَّذِينَ يَرْعَوْنَ شَعْبِي: أَنْتُمْ بَدَّدْتُمْ غَنَمِي وَطَرَدْتُمُوهَا وَلَمْ تَتَعَهَّدُوهَا. هأَنَذَا أُعَاقِبُكُمْ عَلَى شَرِّ أَعْمَالِكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. ٣ وَأَنَا أَجْمَعُ بَقِيَّةَ غَنَمِي مِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي الَّتِي طَرَدْتُهَا إِلَيْهَا، وَأَرُدُّهَا إِلَى مَرَابِضِهَا فَتُثْمِرُ وَتَكْثُرُ. ٤ وَأُقِيمُ عَلَيْهَا رُعَاةً يَرْعَوْنَهَا فَلاَ تَخَافُ بَعْدُ وَلاَ تَرْتَعِدُ وَلاَ تُفْقَدُ، يَقُولُ الرَّبُّ. ٥ هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بِرّ، فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ، وَيُجْرِي حَقًّا وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ. ٦ فِي أَيَّامِهِ يُخَلَّصُ يَهُوذَا، وَيَسْكُنُ إِسْرَائِيلُ آمِنًا، وَهذَا هُوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ: الرَّبُّ بِرُّنَا. ٧ لِذلِكَ هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَلاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، ٨ بَلْ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَ وَأَتَى بِنَسْلِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ الشِّمَالِ وَمِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي الَّتِي طَرَدْتُهُمْ إِلَيْهَا فَيَسْكُنُونَ فِي أَرْضِهِمْ» [سفر إرميا، الإصحاح الثالث والعشرون: ١-٨].

٥٨- عندما يطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل:

يتحدث ميخا عن السلام الذي يقع على الأرض بعد نزول عيسى ﷺ آخر الزمان، فيقول: «١ وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ،

http://kotob.has.it

وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ شُعُوبٌ. ٢ وَتَسِيرُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ وَيَقُولُونَ: «هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، وَإِلَى بَيْتِ إِلهِ يَعْقُوبَ، فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ، وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ». لأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ، وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ. ٣ فَيَقْضِي بَيْنَ شُعُوبٍ كَثِيرِينَ. يُنْصِفُ لأُمَمٍ قَوِيَّةٍ بَعِيدَةٍ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا، وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ. ٤ بَلْ يَجْلِسُونَ كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرْمَتِهِ وَتَحْتَ تِينَتِهِ، وَلاَ يَكُونُ مَنْ يُرْعِبُ، لأَنَّ فَمَ رَبِّ الْجُنُودِ تَكَلَّمَ. ٥ لأَنَّ جَمِيعَ الشُّعُوبِ يَسْلُكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ بِاسْمِ إِلهِهِ، وَنَحْنُ نَسْلُكُ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِنَا إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ».

تحدث ميخا عن بيت الرب وهو المسجد الأقصى في آخر الزمان بعد نزول عيسى عليه السلام ، ويكون للمسجد الأقصى في تلك الأيام مكانة عالية، تعظمه الأمم كلها التي دخلت في الإسلام، وقد صور رفعته بقوله: « يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ» وجريان الشعوب إليه لزيارته، والصلاة فيه، ولذلك تسير أمم كثيرة إليه، تعظمه وتقدسه.

واسمع ما تقوله الشعوب والأمم التي تقصده، « وَيَقُولُونَ: هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى بَيْتِ إِلهِ يَعْقُوبَ» ولِمَ يريدون الصعود إليه؟ يقولون: «فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ» لأن المعلم هناك، وهو عيسى عليه السلام ، وهو خير معلم، يدل الناس على سبل الخير.

وهناك ينفذ عيسى عليه السلام شريعة الله التي هي شريعة القرآن، ويحكم بين الناس بالعدل، وينصف المظلومين، عند ذلك تضع الحرب أوزارها، ويترك البشر الاقتتال فيما بينهم، ويترك السلاح، ويهمل، فالسيوف تجعل في ذلك الوقت سككاً أي محاريث، ورماحهم تصبح مناجل.

وأخبرنا ميخا في بشارته أنه لا ترفع في ذلك الزمان أمة على أمة سيفاً، ولا يتعلمون الحرب، ويسود الأمن والسلام على جميع الأرض، فترى الناس جالسين في ظلال الأشجار يتبادلون الأحاديث، والناس جميعاً يعبدون الله الواحد الأحد.

http://kotob.has.it

٥٩- يخرج قضيب من جذع يَسَّى وينبت غصن من أصوله:

يحدثنا إشعياء عن نزول المسيح ﷺ في آخر الزمان، فيقول: «١ وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ، ٢ وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ. ٣ وَلَذَّتُهُ تَكُونُ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ، فَلاَ يَقْضِي بِحَسَبِ نَظَرِ عَيْنَيْهِ، وَلاَ يَحْكُمُ بِحَسَبِ سَمْعِ أُذُنَيْهِ، ٤ بَلْ يَقْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ، وَيَحْكُمُ بِالإِنْصَافِ لِبَائِسِي الأَرْضِ، وَيَضْرِبُ الأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ، وَيُمِيتُ الْمُنَافِقَ بِنَفْخَةِ شَفَتَيْهِ. ٥ وَيَكُونُ الْبِرُّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْهِ، وَالأَمَانَةُ مِنْطَقَةَ حَقْوَيْهِ. ٦ فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ، وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. ٧ وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعًا، وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْنًا. ٨ وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ، وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوَانِ. ٩ لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ. ١٠ وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ، وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا» [سفر إشعياء، الإصحاح الحادي عشر: ١-١٠].

يذكر إشعياء في المقطع السابق أنه يخرج قضيب من جذع يَسَّى، ويَسَّى ابن نبي يوسف ﷺ، وينبت غصن من غصونه، وهذا القضيب الذي يكون من ذريه يَسَّى ابن نبي الله يوسف ﷺ هو نبي الله عيسى ﷺ بعد نزوله في آخر الزمان، وينزل عيسى ﷺ في ذلك الوقت في غاية الكمال، فهو مؤيد بروح الرب، والمراد به جبريل ﷺ، وكماله يكون فيما آتاه الله تعالى من الحكمة والفهم، ويؤتيه الله أيضاً كثرة مشاورته لأصحابه، ويكون في غاية القوة في تنفيذ ما وكله الله إليه.

وتحدث هذا الإصحاح عن المعرفة والعلم الذي يعطيه الله إياه، ويكون عيسى ﷺ من أهل مخافة الله وخشيته، وتكون كمال لذته في مخافة ربه، وعبادته له، ويقضي عيسى ﷺ بين الناس بالعدل والإنصاف، محكماً شرع الله تعالى الذي حواه القرآن،

http://kotob.has.it

ولا يحكم حكماً صادراً عن الهوى الذي يدل عليه أنه لا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه.

ومراده بأن عيسى يضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه، يظهر من خلال ما ذكره رسولنا ﷺ من أن نَفَس عيسى عليه السلام يقتل الكافر والمنافق، ونَفَسه ينتهي حيث انتهى بصره. وما ذكره إشعياء عن سكنى الذئب مع الخروف، وربض النمر مع الجدي، والتقاء العجل بشبل الأسد من غير أن يضره، ولعب الرضيع مع أشد الأفاعي فتكاً وهو الصل، يقع ذلك عندما يلقي الله السلام في زمن عيسى، فلا يقتتل الناس في ذلك الزمان، ويبلغ السلام عالم الحيوان، فالحيوانات المفترسة لا تؤذي بني الإنسان، ولا تؤذي الحيوانات آكلة العشب والأليفة.

والسر وراء ذلك كله لأن الإسلام ينتشر في ذلك الوقت، ويدخل كل بيت، ويدين الناس جميعاً به، ويكون ذلك عندما يحكم عيسى في العالم، ويطلبه الناس ليفقههم دين الله وشرعه الذي أنزل على محمد ﷺ.

٦٠- الأسد يأكل التبن والحية تأكل التراب:

يحدثنا إشعياء في المقطع الآتي عن الحياة الجديدة التي يحياها بقايا بني إسرائيل في آخر الزمان بعد نزول عيسى عليه السلام، وبنو إسرائيل هؤلاء يدخلون الإسلام، ويصبحون من أتباع رسولنا ﷺ، ولذلك فإنه يدخل في حياتهم ما يغيرها ويبدلها، ولا يخطر ببالهم ما كان عليه بنو إسرائيل في حياتهم الأولى، ويعيش بقايا بني إسرائيل في ذلك الزمان في القدس وما حولها، ويحلُّ الأمن في تلك الديار، ويغرسون ويثمرون، هم ونساؤهم وذراريهم ويدلُّ أن ذلك يكون في زمن عيسى ما ذكره من حلول السلام العالمي على الأرض، حتى يرعى الذئب والحمل معاً، والأسد يأكل التبن كما يأكله البقر، ويكون طعام الحيات التراب، قال إشعياء:

«١٧ لأَنِّي هأَنَذَا خَالِقٌ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، فَلاَ تُذْكَرُ الأُولَى وَلاَ تَخْطُرُ عَلَى بَال. ١٨ بَلِ افْرَحُوا وَابْتَهِجُوا إِلَى الأَبَدِ فِي مَا أَنَا خَالِقٌ، لأَنِّي هأَنَذَا خَالِقٌ

http://kotob.has.it

أورُشَلِيمَ بَهْجَةً وَشَعْبَهَا فَرَحًا. ١٩ فَأَبْتَهِجُ بِأُورُشَلِيمَ وَأَفْرَحُ بِشَعْبِي، وَلاَ يُسْمَعُ بَعْـدُ
فِيهَا صَوْتُ بُكَاءٍ وَلاَ صَوْتُ صُرَاخٍ. ٢٠ لاَ يَكُونُ بَعْدُ هُنَاكَ طِفْلُ أَيَّامٍ، وَلاَ شَـيْخٌ لَمْ
يُكْمِلْ أَيَّامَهُ. لأَنَّ الصَّبِيَّ يَمُوتُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَالْخَـاطِئُ يُلْعَـنُ ابْـنَ مِئَـةِ سَـنَةٍ. ٢١
وَيَبْنُونَ بُيُوتًا وَيَسْكُنُونَ فِيهَا، وَيَغْرِسُونَ كُرُومًا وَيَأْكُلُونَ أَثْمَارَهَا. ٢٢ لاَ يَبْنُونَ وَآخَـرُ
يَسْكُنُ، وَلاَ يَغْرِسُونَ وَآخَرُ يَأْكُلُ. لأَنَّهُ كَأَيَّامِ شَجَرَةٍ أَيَّامُ شَعْبِي، وَيَـسْتَعْمِلُ مُخْتَـارِيَّ
عَمَلَ أَيْدِيهِمْ. ٢٣ لاَ يَتْعَبُونَ بَاطِلاً وَلاَ يَلِدُونَ لِلرُّعْبِ، لأَنَّهُمْ نَسْلُ مُبَـارَكِي الـرَّبِّ،
وَذُرِّيَّتُهُمْ مَعَهُمْ. ٢٤ وَيَكُونُ أَنِّي قَبْلَمَا يَدْعُونَ أَنَا أُجِيبُ، وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بَعْـدُ أَنَـا
أَسْمَعُ. ٢٥ الذِّئْبُ وَالْحَمَلُ يَرْعَيَـانِ مَعًـا، وَالأَسَـدُ يَأْكُـلُ التِّـبْنَ كَـالْبَقَرِ. أَمَّـا الْحَيَّـةُ
فَالتُّرَابُ طَعَامُهَا. لاَ يُؤْذُونَ وَلاَ يُهْلِكُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، قَالَ الرَّبُّ» [سفر إشـعياء،
الإصحاح الخامس والستون: ١٧-٢٥].

يتحدث إشعياء في هذا المقطع عن الحياة الجديدة التي تكـون في آخـر الزمـان بعد نزول عيسى ﷺ، وينسى فيها بنو إسرائيل الحياة التي كانت لآبـائهم في قـديم الزمان، هذه الحياة تكون كلها أمن وأمان، وسلامة وإسلام، ويبتهج الناس في ذلك الزمان، ولا يكون في ذلك الزمان صراخ ولا بكاء. والناس يعيشون في ذلك الزمان حياة هنية، يبنون ويسكنون، ويغرسون الكروم، ويأكلون الثمار، لا كما كان في المـاضي يغرسون، ويأكل ثمار غرسهم الجبارون، ويحيون في تلك الأيام حياة مستقيمة، يـدعون الله، وهو يجيب دعاءَهم، وأحياناً يجيب الله مطالبهم قبل دعائهم بها، وفي ذلك الزمان يلقى السلام والأمن على العالم، حتـى عـالم الحيـوان يلقـى عليـه الـسلام ، فيرعـى الذئب والخروف، ويصبح طعام الأسد التبن، ويكون طعامه طعـام البقـر، وغـذاء الحيات يكون التراب، إنها حياة جديدة سعيدة آمنة، لم يكن مثلها في الأرض.

http://kotob.has.it

المبحث الرابع

خروج يأجوج ومأجوج

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

تقديم

٦١- خروج يأجوج ومأجوج حدث عظيم:

خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان حدث عظيم، وواقعة قل وجود نظير لها، فهم أمة كثيرة عظيمة لا يوجد شعب بكثرتها وعظمها، وهم يشكلون جيشاً مسلحاً منظماً، كل يقوم بدوره بخفة وقوة واقتدار، يأتون من الشمال في جموع كثيرة، ويغزون المدن والقرى والعشائر والقبائل، ويسلبون الناس أموالهم من الذهب والفضة، كما يسلبونهم أبقارهم وأغنامهم وخرافهم، ويدمرون ما شيده البشر وعمروه، ويبيدهم الله تعالى في ليلة واحدة، ويقضي عليهم كلهم، فيموتون جميعاً كنفس واحدة.

٦٢- قصة خروج يأجوج ومأجوج في الكتاب والسنة:

أ- ذو القرنين يقيم السدّ العظيم على يأجوج ومأجوج: ذكر الحق تبارك وتعالى في سورة الكهف أن ذا القرنين في تطوافه في الأرض بلغ بين السدين، فوجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً، فاشتكوا له من الضرر الذي يلحقه بهم يأجوج ومأجوج، وطلبوا منه أن يقيم بينهم وبينهم سداً يمنع عنهم فسادهم، فاستجاب لطلبهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا

http://kotob.has.it

جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف:٩٣-٩٩].

ب- يأجوج ومأجوج من ذرية آدم: ويأجوج ومأجوج أمتان كثيرتا العدد، وهما من ذرية آدم عليه السلام ثبت في الصحيحين: «أن الله تعالى يقول: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول له: ابعث بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، فقال: إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه، يأجوج ومأجوج».

ج- خروج يأجوج ومأجوج بعد نزول عيسى عليه السلام وصفة خروجهم: وقد أخبر الحق تبارك وتعالى أن السد الذي أقامه ذو القرنين مانعهم من الخروج: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الكهف:٩٧]، وأخبر أن ذلك مستمر إلى آخر الزمان عندما يأتي وعد الله، ويأذن لهم بالخروج، وعند ذلك يُدَكُّ السد، ويخرجون على الناس ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ [الكهف:٩٨]، وعند ذلك يخرجون أفواجاً أفواجاً كموج البحر ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ﴾ [الكهف:٩٩] وذلك قرب قيام القيامة والنفخ في الصور ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف:٩٩].

وقد أخبر الحق في موضع آخر عن نقبهم السد وخروجهم: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا ﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧]، وهذا كائن في آخر الزمان، وقوله: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٦]، أي يسرعون في الإفساد في الأرض، والحدب هو المرتفع في الأرض، وهذه صفتهم حال خروجهم.

http://kotob.has.it

وقد أخبر الرسول ﷺ أنه فتح من ردم يأجوج ومأجوج في عصره فتحة صغيرة كالحلقة التي تكون من الإبهام والتي تليها، ففي صحيح البخاري عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً، يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعيه: الإبهام والتي تليها، قالت زينب: فقلت: يا رسول الله، أنهلك، وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث» [صحيح البخاري: ٣٣٤٦].

وخروجهم يقع بعد نزول عيسى ابن مريم وهزيمته للدجال، ففي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان في حديثه الطويل، قال: قال رسول الله ﷺ : «ثم يأتي عيسى ابنَ مريم قوم قد عصمهم الله منه (أي من الدجال)، فيمسح عن وجوههم، ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى، إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم(١)، فَحَرِّز عبادي إلى الطور(٢)، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حَدَب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية(٣)، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصَر نبيُّ الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرْغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النَّغَفَ في رقابهم(٤)، فيصبحون فرسى(٥) كموت نفس واحدة، ثم يَهْبِط نبيُّ الله عيسى وأصحابُه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم(٦) ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت(٧)، فتحملهم

---

(١) أي: لا قدرة ولا طاقة.
(٢) أي: اصعد بهم إلى الجبل، كي يكونوا في حرز ومأمن.
(٣) هي بحيرة كبيرة في فلسطين، ماؤها عذب.
(٤) دود يكون في أنوف الإبل والغنم، وفي الأحاديث الأخرى دود كأمثال النغف.
(٥) جمع فريس، كقتيل وقتلى وزناً ومعنى.
(٦) دسمهم.
(٧) هي جمال طوال الأعناق.

http://kotob.has.it

فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً، لا يَكُنُّ منه بيتُ مدرٍ ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة»[1] [مسلم: ٢٩٣٧].

وقال مسلم أيضاً بعد سياقه للحديث السابق: حدثنا علي بن حُجْر السعدي، حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، والوليد بن مسلم - قال ابن حُجْر: دخل حديث أحدهما في حديث الآخر - عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، بهذا الإسناد (إسناد الحديث السابق) نحو ما ذكرنا، وزاد بعد قوله: «لقد كان بهذه مرة ماء»: «ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمَر[2]، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلمَّ فلنقتل من في السماء، فيرمون بِنُشَّابِهم[3] إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبةً دماً».

وفي رواية ابن حجر: «فإني قد أنزلت عباداً لي، لا يَدَيْ لأحد بقتالهم» [مسلم: ٢٩٣٧، ١١١]. والسبب في أنه لا يستطيع أحد الوقوف في وجههم كثرتهم، يدلك على كثرتهم أن المسلمين يوقدون من أسلحتهم بعد هلاكهم سبع سنين، ففي سنن الترمذي بإسناد مسلم في الرواية السابقة: «سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ونشابهم وأسلحتهم وأترستهم سبع سنين»، ورواه ابن ماجة في سننه [سلسلة الصحيحة (٤/ ٥٧٩) ورقمه: ١٩٤٠].

وهذه الأحاديث وأحاديث مشابهة كثيرة تدل على أن هذه الحضارة الهائلة التي اخترعت هذه القوة الهائلة من القنابل والصواريخ ستتلاشى وتزول، وأغلب الظن أنها ستدمر نفسها بنفسها، وأن البشرية ستعود مرة أخرى إلى القتال على الخيول واستعمال الرماح والقسي ونحو ذلك، والله أعلم.

---

(١) المدر: الطين الصلب. والزلفة: المرآة.

(٢) الخَمَر: هي الشجر الكبير المتلف الذي يخمر من تحته، أي: يستره، وقد فسر في الحديث أنه بيت المقدس لكثرة شجره.

(٣) النشاب: هي السهام.

http://kotob.has.it

وفي السنن للترمذي وابن ماجه، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحكم، ومسند أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه، وهو كهيئته يوم تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع عليها الدم الذي اجفظَّ[1]، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم[2]، فيقتلون بها»، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتَشْكَر شَكْراً من لحومهم»[3].

وفي سنن ابن ماجة، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يفتح يأجوج ومأجوج، يخرجون على الناس كما قال الله عز وجل: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ [الأنبياء:٩٦]، فيغشون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض، حتى إنَّ بعضهم ليمرُّ بالنهر، فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً، حتى إنَّ من بعدهم ليمرُّ بذلك النهر فيقول: قد كان هنا ماء مرة، حتى إذا لم يبقَ من الناس أحد في حصن أو مدينة، قال قائلهم، هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء. قال: ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع مخضبة دماً للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك، إذ

(١) اجفظ، أي: امتلأ، أي ترجع ممتلئة دماً.

(٢) المراد بأقفائهم، أي: في مؤخر رقابهم كما صرح به في الحديث الآخر الذي مر قبله.

(٣) وإسناده صحيح، قال فيه الحاكم: (صحيح على شرط الشيخين)، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: وهو كما قالا، سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٤/ ٣١٣) ورقمه (١٧٣٥)

http://kotob.has.it

بعث الله دوداً في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حِسّ، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو، قال: فيتجرد رجل منهم محتسباً لنفسه، قد أظنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى، بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين: ألا أبشروا، فإن الله قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم، فَتَشْكَر عنه كأحسنِ ما تَشْكَرُ عن شيء من النبات أصابته قط»[1] وهذه النصوص دالة على كثرة يأجوج ومأجوج بحيث لا يستطيع أحد أن يقف في وجوههم.

٦٣- الأرض قُدام يأجوج ومأجوج كجنة عدن وخلفهم قفر خَرِب:

يحدث يوئيل في هذا المقطع عن يأجوج ومأجوج الذين يخرجون في آخر الزمان، فيقول: «١ اِضْرِبُوا بِالْبُوقِ فِي صِهْيَوْنَ. صَوِّتُوا فِي جَبَلِ قُدْسِي! لِيَرْتَعِدْ جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرْضِ لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَادِمٌ، لأَنَّهُ قَرِيبٌ: ٢ يَوْمُ ظَلاَمٍ وَقَتَامٍ، يَوْمُ غَيْمٍ وَضَبَابٍ، مِثْلَ الْفَجْرِ مُمْتَدًّا عَلَى الْجِبَالِ. شَعْبٌ كَثِيرٌ وَقَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ نَظِيرُهُ مُنْذُ الأَزَلِ، وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا بَعْدَهُ إِلَى سِنِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ. ٣ قُدَّامَهُ نَارٌ تَأْكُلُ، وَخَلْفَهُ لَهِيبٌ يُحْرِقُ. الأَرْضُ قُدَّامَهُ كَجَنَّةِ عَدْنٍ وَخَلْفَهُ قَفْرٌ خَرِبٌ، وَلاَ تَكُونُ مِنْهُ نَجَاةٌ. ٤ كَمَنْظَرِ الْخَيْلِ مَنْظَرُهُ، وَمِثْلَ الأَفْرَاسِ يَرْكُضُونَ. ٥ كَصَرِيفِ الْمَرْكَبَاتِ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ يَثِبُونَ. كَزَفِيرِ لَهِيبِ نَارٍ تَأْكُلُ قَشًّا. كَقَوْمٍ أَقْوِيَاءَ مُصْطَفِّينَ لِلْقِتَالِ. ٦ مِنْهُ تَرْتَعِدُ الشُّعُوبُ. كُلُّ الْوُجُوهِ تَجْمَعُ حُمْرَةً. ٧ يَجْرُونَ كَأَبْطَالٍ. يَصْعَدُونَ السُّورَ كَرِجَالِ الْحَرْبِ، وَيَمْشُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي طَرِيقِهِ، وَلاَ يُغَيِّرُونَ سُبُلَهُمْ. ٨ وَلاَ يُزَاحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. يَمْشُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي سَبِيلِهِ، وَبَيْنَ الأَسْلِحَةِ يَقَعُونَ وَلاَ يَنْكَسِرُونَ. ٩ يَتَرَاكَضُونَ فِي الْمَدِينَةِ. يَجْرُونَ عَلَى السُّورِ. يَصْعَدُونَ إِلَى الْبُيُوتِ. يَدْخُلُونَ مِنَ الْكُوَى كَاللِّصِّ. ١٠ قُدَّامَهُ

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤/ ٤٠٢، ورقم الحديث: ١٧٨٣، وقد ذكر الشيخ ناصر الدين أن الحاكم قد قال فيه: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، إلا أن الشيخ لم يرتض هذا، لأن ابن إسحاق أحد رواة الحديث، لم يخرج له مسلم إلا في المتابعات، فالحديث حسن.

http://kotob.has.it

تَرْتَعِدُ الأَرْضُ وَتَرْجُفُ السَّمَاءُ. اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُظْلِمَانِ، وَالنُّجُومُ تَحْجُزُ لَمَعَانَهَا»
[يوئيل، الإصحاح الثاني: ١-١٠].

يأمر يوئيل سكان الأرض المقدسة أن يضربوا بالبوق في صهيون، وأن يصوتوا في جبل بيت المقدس، لأن يوم الرب يوم القيامة أصبح قريباً، وهذا اليوم يوم ظلام وقتام، يوم غيم وضباب.

وأخبر يوئيل عن واقعة عظيمة ستقع قرب يوم القيامة، لأنه سيخرج على الناس شعب كثير وقوي، ليس له نظير ولا مثيل منذ الأزل، وهذا الشعب الذي سيخرج من أسره الذي أسره ذو القرنين فيه عندما بنى عليه ردماً لم يستطع ذلك الشعب أن يظهره، ولم يستطيعوا أن ينقبوه، حتى يكون آخر الزمان، فيستطيعون نقب السد والخروج على الناس.

وهذا الشعب الذي هم يأجوج ومأجوج يأتون على الديار العامرة بالجنات والبساتين، فيتركونها قفراً يباباً، فالذي أمامهم يكون كجنات عدن، والذي خلفهم يصبح قفراً خراباً، وقد وصف يوئيل منظر هذا الشعب وهم يتحركون بسرعة وقوة، فمنظرهم في سرعتهم وقوتهم كالخيل والأفراس في ركضها، وحركتهم تكون كحركة المركبات وهي تهبط من رؤوس الجبال، وكالنار التي يسري لهبها في القش اليابس.

ويكون حالهم كجيش قوي اصطف للقتال، تراهم الشعوب، فتأخذها الرعدة والخوف منهم، وجوههم حمراء، يجرون كأبطال، ويصعدون السور كرجال الحرب، ويمشي كل واحد في طريقه، ولا يغير طريقه، ولا يزحم بعضهم بعضاً.

يمشي كل واحد في طريقه، ويقع الواحد منهم على السلاح، ولا ينكسر، تراهم في المدينة عندما يدخلونها يتراكضون، ولديهم القدرة على الصعود على أسوار المدينة، ويجرون عليها، ويصعدون إلى البيوت، وإذا امتنع عليهم أهل المنزل بإغلاق الأبواب، دخلوها من الكوى كما يدخل اللص المنزل الذي يسرقه.

http://kotob.has.it

ويقع في أيام خروج يأجوج ومأجوج وقائع كونية عظيمة، فالأرض ترتعد، والسماء ترجف، والشمس والقمر يظلمان، والنجوم يذهب ضوؤها.

٦٤- أضرب قوسك من يدك اليسرى وأرسل سهامك من يدك اليمنى:

يحدثنا حزقيال حديثاً مسهباً عن يأجوج ومأجوج، فيقول: «يَا ابْنَ آدَمَ، اجْعَلْ
وَجْهَكَ عَلَى جُوجٍ، أَرْضِ مَاجُوجَ رَئِيسِ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ، وَتَنَبَّأْ عَلَيْهِ ٣ وَقُلْ:
هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَيْكَ يَا جُوجُ رَئِيسُ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ. ٤
وَأُرْجِعُكَ، وَأَضَعُ شَكَائِمَ فِي فَكَّيْكَ، وَأُخْرِجُكَ أَنْتَ وَكُلَّ جَيْشِكَ خَيْلاً وَفُرْسَانًا
كُلَّهُمْ لاَبِسِينَ أَفْخَرَ لِبَاسٍ، جَمَاعَةً عَظِيمَةً مَعَ أَتْرَاسٍ وَمَجَانَّ، كُلَّهُمْ مُمْسِكِينَ السُّيُوفَ.
٥ فَارِسَ وَكُوشَ وَفُوطَ مَعَهُمْ، كُلُّهُمْ بِمِجَنٍّ وَخُوذَةٍ، ٦ وَجُومَرَ وَكُلَّ جُيُوشِهِ،
وَبَيْتَ تُوجَرْمَةَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ مَعَ كُلِّ جَيْشِهِ، شُعُوبًا كَثِيرِينَ مَعَكَ. ٧ اِسْتَعِدَّ
وَهَيِّئْ لِنَفْسِكَ أَنْتَ وَكُلُّ جَمَاعَاتِكَ الْمُجْتَمِعَةِ إِلَيْكَ، فَصِرْتَ لَهُمْ مُوَقَّرًا. ٨ بَعْدَ أَيَّام
كَثِيرَةٍ تُفْتَقَدُ. فِي السِّنِينَ الأَخِيرَةِ تَأْتِي إِلَى الأَرْضِ الْمُسْتَرَدَّةِ مِنَ السَّيْفِ الْمَجْمُوعَةِ مِنْ
شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ الَّتِي كَانَتْ دَائِمَةً خَرِبَةً، لِلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنَ
الشُّعُوبِ وَسَكَنُوا آمِنِينَ كُلُّهُمْ. ٩ وَتَصْعَدُ وَتَأْتِي كَزَوْبَعَةٍ، وَتَكُونُ كَسَحَابَةٍ تُغَشِّي
الأَرْضَ أَنْتَ وَكُلُّ جُيُوشِكَ وَشُعُوبٌ كَثِيرُونَ مَعَكَ. ١٠ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ:
وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أُمُورًا تَخْطُرُ بِبَالِكَ فَتُفَكِّرُ فِكْرًا رَدِيئًا، ١١ وَتَقُولُ: إِنِّي أَصْعَدُ
عَلَى أَرْضٍ أَعْرَاءٍ. آتِي الْهَادِئِينَ السَّاكِنِينَ فِي أَمْنٍ، كُلُّهُمْ سَاكِنُونَ بِغَيْرِ سُورٍ وَلَيْسَ لَهُمْ
عَارِضَةٌ وَلاَ مَصَارِيعُ، ١٢ لِسَلْبِ السَّلْبِ وَلِغُنْمِ الْغَنِيمَةِ، لِرَدِّ يَدِكَ عَلَى خِرَبٍ
مَعْمُورَةٍ وَعَلَى شَعْبٍ مَجْمُوعٍ مِنَ الأُمَمِ، الْمُقْتَنِي مَاشِيَةً وَقُنْيَةً، السَّاكِنِ فِي أَعَالِي
الأَرْضِ. ١٣ شَبَا وَدَدَانُ وَتُجَّارُ تَرْشِيشَ وَكُلُّ أَشْبَالِهَا يَقُولُونَ لَكَ: هَلْ لِسَلْبِ سَلْبٍ
أَنْتَ جَاءٍ؟ هَلْ لِغُنْمِ غَنِيمَةٍ جَمَعْتَ جَمَاعَتَكَ، لِحَمْلِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، لأَخْذِ الْمَاشِيَةِ
وَالْقُنْيَةِ، لِنَهْبِ نَهْبٍ عَظِيمٍ؟ ١٤ لِذلِكَ تَنَبَّأْ يَا ابْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِجُوجٍ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ
الرَّبُّ: فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عِنْدَ سُكْنَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ آمِنِينَ، أَفَلاَ تَعْلَمُ؟ ١٥ وَتَأْتِي مِنْ

http://kotob.has.it

مَوْضِعِكَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ أَنْتَ وَشُعُوبٌ كَثِيرُونَ مَعَكَ، كُلُّهُمْ رَاكِبُونَ خَيْلاً،
جَمَاعَةٌ عَظِيمَةٌ وَجَيْشٌ كَثِيرٌ. ١٦ وَتَصْعَدُ عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ كَسَحَابَةٍ تُغَشِّي
الأَرْضَ. فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ يَكُونُ. وَآتِي بِكَ عَلَى أَرْضِي لِكَيْ تَعْرِفَنِي الأُمَمُ، حِينَ
أَتَقَدَّسُ فِيكَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ يَا جُوجُ. ١٧ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلْ أَنْتَ هُوَ الَّذِي
تَكَلَّمْتُ عَنْهُ فِي الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ عَنْ يَدِ عَبِيدِي أَنْبِيَاءِ إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا فِي تِلْكَ
الأَيَّامِ سِنِينًا أَنْ آتِيَ بِكَ عَلَيْهِمْ؟ ١٨ وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَوْمَ مَجِيءِ جُوجٍ عَلَى
أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، أَنَّ غَضَبِي يَصْعَدُ فِي أَنْفِي. ١٩ وَفِي غَيْرَتِي، فِي نَارِ
سَخَطِي تَكَلَّمْتُ، أَنَّهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ رَعْشٌ عَظِيمٌ فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. ٢٠
فَتَرْعَشُ أَمَامِي سَمَكُ الْبَحْرِ وَطُيُورُ السَّمَاءِ وَوُحُوشُ الْحَقْلِ وَالدَّابَّاتُ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى
الأَرْضِ، وَكُلُّ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وَتَنْدَكُّ الْجِبَالُ وَتَسْقُطُ الْمَعَاقِلُ
وَتَسْقُطُ كُلُّ الأَسْوَارِ إِلَى الأَرْضِ. ٢١ وَأَسْتَدْعِي السَّيْفَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ جِبَالِي، يَقُولُ
السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَيَكُونُ سَيْفُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَى أَخِيهِ. ٢٢ وَأُعَاقِبُهُ بِالْوَبَاءِ وَبِالدَّمِ، وَأُمْطِرُ
عَلَيْهِ وَعَلَى جَيْشِهِ وَعَلَى الشُّعُوبِ الْكَثِيرَةِ الَّذِينَ مَعَهُ مَطَرًا جَارِفًا وَحِجَارَةَ بَرَدٍ
عَظِيمَةً وَنَارًا وَكِبْرِيتًا. ٢٣ فَأَتَعَظَّمُ وَأَتَقَدَّسُ وَأُعْرَفُ فِي عُيُونِ أُمَمٍ كَثِيرَةٍ، فَيَعْلَمُونَ
أَنِّي أَنَا الرَّبُّ» [حزقيال، الإصحاح الثامن والثلاثون: ١-٢٣].

ثم قال حزقيال: «وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، تَنَبَّأْ عَلَى جُوجٍ وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ
الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَيْكَ يَا جُوجُ رَئِيسُ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ. ٢ وَأَرُدُّكَ وَأَقُودُكَ
وَأُصْعِدُكَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ وَآتِي بِكَ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ. ٣ وَأَضْرِبُ قَوْسَكَ مِنْ
يَدِكَ الْيُسْرَى، وَأُسْقِطُ سِهَامَكَ مِنْ يَدِكَ الْيُمْنَى. ٤ فَتَسْقُطُ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ أَنْتَ
وَكُلُّ جَيْشِكَ وَالشُّعُوبُ الَّذِينَ مَعَكَ. أَبْذُلُكَ مَأْكَلاً لِلطُّيُورِ الْكَاسِرَةِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ
وَلِوُحُوشِ الْحَقْلِ. ٥ عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ تَسْقُطُ، لأَنِّي تَكَلَّمْتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. ٦
وَأُرْسِلُ نَارًا عَلَى مَاجُوجَ وَعَلَى السَّاكِنِينَ فِي الْجَزَائِرِ آمِنِينَ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. ٧
وَأُعَرِّفُ بِاسْمِي الْمُقَدَّسِ فِي وَسْطِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، وَلاَ أَدَعُ اسْمِي الْمُقَدَّسَ يُنَجَّسُ

http://kotob.has.it

بَعْدُ، فَتَعْلَمُ الأَمَمُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ. ٨ هَا هُوَ قَدْ أَتَى وَصَارَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. هذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ عَنْهُ. ٩ وَيَخْرُجُ سُكَّانُ مُدُنِ إِسْرَائِيلَ وَيُشْعِلُونَ وَيُحْرِقُونَ السِّلاَحَ وَالْمَجَانَّ وَالأَتْرَاسَ وَالْقِسِيَّ وَالسِّهَامَ وَالْحِرَابَ وَالرِّمَاحَ، وَيُوقِدُونَ بِهَا النَّارَ سَبْعَ سِنِينَ. ١٠ فَلاَ يَأْخُذُونَ مِنَ الْحَقْلِ عُودًا، وَلاَ يَحْتَطِبُونَ مِنَ الْوُعُورِ، لأَنَّهُمْ يُحْرِقُونَ السِّلاَحَ بِالنَّارِ، وَيَنْهَبُونَ الَّذِينَ نَهَبُوهُمْ، وَيَسْلُبُونَ الَّذِينَ سَلَبُوهُمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. ١١ وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، أَنِّي أُعْطِي جُوجًا مَوْضِعًا هُنَاكَ لِلْقَبْرِ فِي إِسْرَائِيلَ، وَوَادِي عَبَارِيمَ بِشَرْقِيِّ الْبَحْرِ، فَيَسُدُّ نَفَسَ الْعَابِرِينَ. وَهُنَاكَ يَدْفِنُونَ جُوجًا وَجُمْهُورَهُ كُلَّهُ، وَيُسَمُّونَهُ: وَادِيَ جُمْهُورِ جُوجٍ. ١٢ وَيَقْبِرُهُمْ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ لِيُطَهِّرُوا الأَرْضَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ. ١٣ كُلُّ شَعْبِ الأَرْضِ يَقْبِرُونَ، وَيَكُونُ لَهُمْ يَوْمُ تَمْجِيدِي مَشْهُورًا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. ١٤ وَيُفْرِزُونَ أُنَاسًا مُسْتَدِيمِينَ عَابِرِينَ فِي الأَرْضِ، قَابِرِينَ مَعَ الْعَابِرِينَ أُولئِكَ الَّذِينَ بَقُوا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. تَطْهِيرًا لَهَا. بَعْدَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ يَفْحَصُونَ. ١٥ فَيَعْبُرُ الْعَابِرُونَ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا رَأَى أَحَدٌ عَظْمَ إِنْسَانٍ يَبْنِي بِجَانِبِهِ صُوَّةً حَتَّى يَقْبِرَهُ الْقَابِرُونَ فِي وَادِي جُمْهُورِ جُوجٍ، ١٦ وَأَيْضًا اسْمُ الْمَدِينَةِ «هَمُونَةُ»، فَيُطَهِّرُونَ الأَرْضَ» [حزقيال، الإصحاح التاسع والثلاثون: ١-١٦].

يصف لنا حزقيال كيف يخرج يأجوج ومأجوج من ديارهم جيشاً قوياً، ويكونون جميعاً فرساناً يركبون الخيول، وكلهم يلبس أفخر الألبسة، وهم مسلحون بالأتراس والمجان، ويتقلدون السيوف، ويأتي بصحبتهم شعوب كثيرون.

وأخبر أنه لن يطول بقاؤهم، وسيكون زوالهم سريعاً، يأتون كزوبعة، أو كسحابة تغشى الأرض، ويغزون الأمم الهادئة الوادعة، الذين في العشائر والقرى والمدن غير الحصينة، فيسلبون الناس ماشيتهم وأغنامهم، ويسلبونهم ذهبهم وفضتهم، ويغنمون أموالهم، ويأكلون خبزهم.

http://kotob.has.it

ويذكر حزقيال أن يأجوج ومأجوج يأتون من أقاصي الشمال، يركبون الخيول، ويشكلون جيشاً عظيماً كثيراً، ويكون خروجهم قرب وقوع الساعة، بعد خروج الدجال، ونزول عيسى وقتله له، ويكونون في كثرتهم كالسحابة التي تغشى الأرض.

ويذكر حزقيال أن أنبياء بني إسرائيل تنبؤوا بخروج يأجوج ومأجوج، وسيتحقق بخروجهم بلاء عظيم في الأرض المقدسة التي كان يسكنها بنو إسرائيل، ويصيب البلاء أسماك البحار وطيور السماء، ووحوش الحقل، وكل حيوانات الأرض، كلها ترتعش، ويصيب البلاء البشر أيضاً، الذين يسكنون على وجه الأرض، وفي ذلك الزمان تدكُّ الجبال، وتسقط المعاقل، وتسقط الأسوار التي تحمي المدن والحصون، ويقع سيف يأجوج ومأجوج في الناس أينما كانوا، وحيثما حلوا، حتى الذين يسكنون أعالي الجبال، وينزل الوباء بالناس، ويكون حلول يأجوج ومأجوج بالناس كنزول المطر الكثير، الذي يجرف الناس، ويسقط معه البرد العظيم، والنار والكبريت.

وبعد أن يصل كلُّ يأجوج ومأجوج إلى الديار المقدسة، ويملؤون جبالها وسهولها ووديانها ومدنها وقراها، يقضي الله على كل يأجوج ومأجوج، يقضي على هذا الجيش الضخم العرمرم، كما يقضي على كل الشعوب الذين صحبوهم، وتسقط أسلحتهم التي كانوا يقاتلون بها، تسقط الأقواس من يد يأجوج اليسرى، ويسقط الله سهامه من يده اليُمنَى.

وتصبح هذه الأمة، وذلك الجيش العظيم بعد سقوطه مأكلاً للطيور الكاسرة على اختلاف أنواعها، فترتع في لحومهم الأسود والنمور والذئاب والضباع وغيرها، ويرسل الله على يأجوج ومأجوج شواظاً من نار، فيحرقهم، ويدمرهم.

ويذكر حزقيال معلماً يقع في ذلك الزمان، فما تركه يأجوج من النبال والأقواس والمجان والأتراس والقسي تكفي الناس في الديار المقدسة لإشعال النار

http://kotob.has.it

للطبخ وغيره مدة سبع سنين، فلا يحتاج إلى عيدان الحقول، ولا يحتطبون من الوعور، لأن الناس في تلك الديار يحرقون السلاح بالنار، وينهبون الذين نهبوهم، ويسلبون الذين سلبوهم.

وما ذكر في هذا السفر من أن الناس يمكثون سبعة أشهر يقبرون الموتى من يأجوج ومأجوج غير صحيح، فقد أخبرنا رسولنا ﷺ أن عيسى ومن معه لا يستطيعون النزول من موضع حصنهم إلى حيث كان يأجوج ومأجوج بسبب كثرة دنسهم ونتنهم ومخلفاتهم، فيرغبون إلى الله، فيرسل الله طيوراً عظيمة تحمل تلك الجثث، فتلقيها حيث يشاء الله، ثم يرسل الله مطراً عظيماً كأنه مني الرجال، فيصيب الأرض كلها، ولا يُكَنُّ منه شيء، ثم يأمر الله الأرض أن تخرج بركتها، وتعطي نماءها.

وهذا الذي ذكره حزقيال أن الناس سيوقدون من قسي يأجوج ومأجوج وأتراسه سبع سنين صحيح، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «سيوقد المسلمون من قسيِّ يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين» [صححه الألباني في الصحيحة ١٩٤٠، وعزاه على ابن ماجه، والترمذي، ونقل عن أنه قال فيه: حديث حسن صحيح غريب].

٦٥- يأجوج ومأجوج يأكلون خبز الناس وماشيتهم:

أخبرنا إرميا أن يأجوج ومأجوج أمة قوية من قديم الدهر، وهي لا تحسن البيان، ولا الكلام، لغتها غير مفهومة، جعبتهم كقبر مفتوح، وكلهم جبابرة، وهم يسلبون الناس طعامهم وخبزهم وماشيتهم، ويستولون على المدن الحصينة، يقول إرميا: «أُمَّةً مِنْ بُعْدٍ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ الرَّبُّ. أُمَّةً قَوِيَّةً. أُمَّةً مُنْذُ الْقَدِيمِ. أُمَّةً لاَ تَعْرِفُ لِسَانَهَا وَلاَ تَفْهَمُ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ. ١٦ جُعْبَتُهُمْ كَقَبْرٍ مَفْتُوحٍ. كُلُّهُمْ جَبَابِرَةٌ. ١٧ فَيَأْكُلُونَ حَصَادَكَ وَخُبْزَكَ الَّذِي يَأْكُلُهُ بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ. يَأْكُلُونَ غَنَمَكَ وَبَقَرَكَ. يَأْكُلُونَ جَفْنَتَكَ وَتِينَكَ. يُهْلِكُونَ بِالسَّيْفِ مُدُنَكَ الْحَصِينَةَ الَّتِي أَنْتَ مُتَّكِلٌ عَلَيْهَا. ١٨ وَأَيْضًا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ، لاَ أُفْنِيكُمْ» [سفر إرميا، الإصحاح الخامس: ١٥-١٨].

http://kotob.has.it

يذكر إرميا في هذا النص أن يأجوج ومأجوج أمة قوية، وتظهر قوتهم من خلال ما سبق من وصفهم وهم أمة قوية منذ القدم، وقد بنى ذو القرنين عليهم السدّ ليمنع فسادهم، وهم أمة لا يكاد غيرها يفقه كلامها، فلغتها مجهولة صعبة. جعبة الواحد منهم واسعة، تسع الكثير من السهام، وهم جبابرة يستولون على ما يحصده الناس، ويستولون على أقوات الناس، فيأكلون خبز الناس وأغنامهم وأبقارهم، ولا ينجو منهم أحد، حتى المدن الحصينة، يستطيعون فتحها، والوصول إليها.

٦٦- خراب الأرض عندما يخرج يأجوج ومأجوج:

يحدث إرميا كيف يكون حال الأرض عندما يخرج يأجوج ومأجوج، فالبشر يومئذ قليل، وطيور السماء هربت، والبساتين جفت عيونها، وماتت أشجارها، والمدن خربت ودمرت، وأصبحت الأرض تراباً، ولكنها لم تفن، بل أبقى الله فيها بقية حياة، وفي ذلك الوقت تنوح الأرض، وتظلم السموات من فوق، والناس كلهم هاربون من صوت الفارس ورامي القوس، فيأجوج ومأجوج دخلوا المدن، واخترقوا الغابات، وصعدوا على الصخور، وكل المدن خلت من سكانها، وأصبح لا ساكن فيها، يقول إرميا: «٢٣ نَظَرْتُ إِلَى الأَرْضِ وَإِذَا هِيَ خَرِبَةٌ وَخَالِيَةٌ، وَإِلَى السَّمَاوَاتِ فَلاَ نُورَ لَهَا. ٢٤ نَظَرْتُ إِلَى الْجِبَالِ وَإِذَا هِيَ تَرْتَجِفُ، وَكُلُّ الآكَامِ تَقَلْقَلَتْ. ٢٥ نَظَرْتُ وَإِذَا لاَ إِنْسَانَ، وَكُلُّ طُيُورِ السَّمَاءِ هَرَبَتْ. ٢٦ نَظَرْتُ وَإِذَا الْبُسْتَانُ بَرِّيَّةٌ، وَكُلُّ مُدُنِهَا نُقِضَتْ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، مِنْ وَجْهِ حُمُوِّ غَضَبِهِ. ٢٧ لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «خَرَابًا تَكُونُ كُلُّ الأَرْضِ، وَلكِنَّنِي لاَ أُفْنِيهَا. ٢٨ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ تَنُوحُ الأَرْضُ وَتُظْلِمُ السَّمَاوَاتُ مِنْ فَوْقُ، مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدْ تَكَلَّمْتُ. قَصَدْتُ وَلاَ أَنْدَمُ وَلاَ أَرْجِعُ عَنْهُ». ٢٩ مِنْ صَوْتِ الْفَارِسِ وَرَامِي الْقَوْسِ كُلُّ الْمَدِينَةِ هَارِبَةٌ. دَخَلُوا الْغَابَاتِ وَصَعِدُوا عَلَى الصُّخُورِ. كُلُّ الْمُدُنِ مَتْرُوكَةٌ» [سفر إرميا، الإصحاح الرابع: ٢٣-٢٩].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المبحث الخامس

جمع بني إسرائيل من الشتات في آخر الزمان

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

تقديم

٦٧- فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا:

أخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - أن فرعون أراد أن يستفز بني إسرائيل من الأرض، فأغرقه ومن معه جميعاً، وقال من بعده لبني إسرائيل: اسكنوا الأرض، أي الأرض المقدسة، فإذا جاء وعد الآخرة جاء الله ببني إسرائيل لفيفاً ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٣-١٠٤].

أخبر الله تعالى أن فرعون أراد أن يهلك بني إسرائيل فأغرقه هو ومن معه جميعاً، وأسكن الله بني إسرائيل الأرض المباركة في القدس وما حولها، فإذا جاء وعد الآخرة، أي: قرب يوم القيامة، جاء الله ببني إسرائيل من البلاد التي توزعوا وتفرقوا فيها لفيفاً، ومعنى: لف الشيء، يلفه لفاً: جمعه، واللفيف، ما اجتمع من الناس من قبائل شتى، ومعنى ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ أي: جئنا بكم من كل قبيلة [لسان العرب: ٣/ ٣٨١].

وهذا الجمع لبني إسرائيل يكون في آخر الزمان، بعد نزول عيسى وإهلاكه الدجال، وقضاء الله على يأجوج ومأجوج، ودخول الناس في الإسلام، وهلاك الأديان غير الإسلام، عند ذلك يجمع الله بني إسرائيل من مختلف الديار والبلاد، وقد يتوهم أحبار اليهود ورهبان النصارى أن هذا الجمع هو الذي يحدث في زماننا، وهذا ليس بصحيح، فقد تحدَّث كثير من أنبياء بني إسرائيل عن هذا الذي سيحدث لبني إسرائيل في آخر الزمان، ونحن نعلم بما عندنا من العلم الذي حدثنا به رسولنا

http://kotob.has.it

أن الجمع الطيب المبارك يكون بعد نزول عيسى، أما جمع طائفة من اليهود اليوم، فإنه من إفسادهم الذي حدثنا به الله تعالى في سورة الإسراء، وهذا سيعاقب الله الذين قاموا به، وسيدمر الله علوهم.

٦٨- جمع الله بني إسرائيل من بين الشعوب:

حدثنا حزقيال عن جمع الله بني إسرائيل في آخر الزمان من الشتات التي انتشروا فيه، فقال: «قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَبْعَدْتُهُمْ بَيْنَ الأُمَمِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ بَدَّدْتُهُمْ فِي الأَرَاضِي، فَإِنِّي أَكُونُ لَهُمْ مَقْدِسًا صَغِيرًا فِي الأَرَاضِي الَّتِي يَأْتُونَ إِلَيْهَا. ١٧ لِذلِكَ قُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: إِنِّي أَجْمَعُكُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ، وَأَحْشُرُكُمْ مِنَ الأَرَاضِي الَّتِي تَبَدَّدْتُمْ فِيهَا، وَأُعْطِيكُمْ أَرْضَ إِسْرَائِيلَ. ١٨ فَيَأْتُونَ إِلَى هُنَاكَ وَيُزِيلُونَ جَمِيعَ مَكْرُهَاتِهَا، وَجَمِيعَ رَجَاسَاتِهَا مِنْهَا. ١٩ وَأُعْطِيهِمْ قَلْبًا وَاحِدًا، وَأَجْعَلُ فِي دَاخِلِكُمْ رُوحًا جَدِيدًا، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِهِمْ وَأُعْطِيهِمْ قَلْبَ لَحْمٍ، ٢٠ لِكَيْ يَسْلُكُوا فِي فَرَائِضِي وَيَحْفَظُوا أَحْكَامِي وَيَعْمَلُوا بِهَا، وَيَكُونُوا لِي شَعْبًا، فَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا. ٢١ أَمَّا الَّذِينَ قَلْبُهُمْ ذَاهِبٌ وَرَاءَ قَلْبِ مَكْرُهَاتِهِمْ وَرَجَاسَاتِهِمْ، فَإِنِّي أَجْلِبُ طَرِيقَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ» [حزقيال، الإصحاح الحادي عشر: ١٦-٢١].

يحدثنا حزقيال أن الله شتت بني إسرائيل إلى مختلف الديار، وأخبر أنه سيجمعهم في آخر الزمان، بعد نزول عيسى عليه السلام، ودخول الناس كلهم في الإسلام، والذين يرفضون يموتون، فالأحياء من بني إسرائيل الذين يؤمنون بمحمد ﷺ، ويؤمنون بعيسى عليه السلام، ويؤمنون بالقرآن، يجمعهم الله من مختلف الأراضي، ويسكنهم الديار المقدسة، أعني القدس وما حولها، ويجعل الله فيهم روحاً جديدة، وهي روح الإيمان الذي يبثه القرآن في نفوسهم.

ويزيل بنو إسرائيل في تلك الأيام مظاهر الشرك والوثنية، التي عبر عنها بالمكروهات والأرجاس، ويلتزمون أحكام الشريعة الإسلامية.

http://kotob.has.it

٦٩- يعبدني كل بيت إسرائيل في جبل قدسي:

يخبر حزقيال أنه في جبل القدس سيعبده بنو إسرائيل، وسيكون هذا بعد نزول عيسى ودخول بني إسرائيل الإسلام، وعند ذلك سيرضى الله عنهم، يقول حزقيال: «٤٠ لأَنَّهُ فِي جَبَلِ قُدْسِي، فِي جَبَلِ إِسْرَائِيلَ الْعَالِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، هُنَاكَ يَعْبُدُنِي كُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، كُلُّهُمْ فِي الأَرْضِ. هُنَاكَ أَرْضَى عَنْهُمْ، وَهُنَاكَ أَطْلُبُ تَقْدِمَاتِكُمْ وَبَاكُورَاتِ جِزَاكُمْ مَعَ جَمِيعِ مُقَدَّسَاتِكُمْ. ٤١ بِرَائِحَةِ سُرُورِكُمْ أَرْضَى عَنْكُمْ، حِينَ أُخْرِجُكُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ، وَأَجْمَعُكُمْ مِنَ الأَرَاضِي الَّتِي تَفَرَّقْتُمْ فِيهَا، وَأَتَقَدَّسُ فِيكُمْ أَمَامَ عُيُونِ الأُمَمِ، ٤٢ فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، حِينَ آتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، إِلَى الأَرْضِ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي لأُعْطِيَ آبَاءَكُمْ إِيَّاهَا. ٤٣ وَهُنَاكَ تَذْكُرُونَ طُرُقَكُمْ وَكُلَّ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَنَجَّسْتُمْ بِهَا، وَتَمْقُتُونَ أَنْفُسَكُمْ لِجَمِيعِ الشُّرُورِ الَّتِي فَعَلْتُمْ. ٤٤ فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِذَا فَعَلْتُ بِكُمْ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. لاَ كَطُرُقِكُمُ الشِّرِّيرَةِ، وَلاَ كَأَعْمَالِكُمُ الْفَاسِدَةِ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ» .

يتحدث حزقيال أن بني إسرائيل في آخر الزمان الذين دخلوا في الإسلام بعد نزول عيسى عليه السلام يعبدون الله تعالى في جبل قدسه الذي يكون في جبل إسرائيل العالي، بعد أن يجمع الله بقاياهم من مختلف البلاد التي تفرقوا فيها، وهناك يذكرون طرقهم وطرق آبائهم الضالة، ويذكرون ذنوبهم ومعاصيهم التي تنجسوا فيها فيما سبق، ويتندمون على ما سبق منهم من الذنوب، ويمقتون ما كان منهم فيما مضى.

٧٠- تخليص الرب غنمه من جميع الأماكن:

يتحدث حزقيال عما يكون في آخر الزمان من تخليص بني إسرائيل من السادة والزعماء والقادة الذين كانوا يترأسونهم، ويظلمونهم، فيقول: «فَلِذلِكَ أَيُّهَا الرُّعَاةُ اسْمَعُوا كَلاَمَ الرَّبِّ: ٨ حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ غَنَمِي صَارَتْ غَنِيمَةً وَ صَارَتْ غَنَمِي مَأْكَلاً لِكُلِّ وَحْشِ الْحَقْلِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ رَاعٍ وَلاَ سَأَلَ رُعَاتِي عَنْ غَنَمِي، وَرَعَى الرُّعَاةُ أَنْفُسَهُمْ وَلَمْ يَرْعَوْا غَنَمِي، ٩ فَلِذلِكَ أَيُّهَا الرُّعَاةُ اسْمَعُوا كَلاَمَ

http://kotob.has.it

الرَّبِّ: ١٠ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَى الرُّعَاةِ وَأَطْلُبُ غَنَمِي مِنْ يَدِهِمْ،
وَأَكُفُّهُمْ عَنْ رَعْيِ الْغَنَمِ، وَلاَ يَرْعَى الرُّعَاةُ أَنْفُسَهُمْ بَعْدُ، فَأُخَلِّصُ غَنَمِي مِنْ
أَفْوَاهِهِمْ فَلاَ تَكُونُ لَهُمْ مَأْكَلاً. ١١ لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَسْأَلُ عَنْ
غَنَمِي وَأَفْتَقِدُهَا. ١٢ كَمَا يَفْتَقِدُ الرَّاعِي قَطِيعَهُ يَوْمَ يَكُونُ فِي وَسْطِ غَنَمِهِ الْمُشَتَّتَةِ،
هكَذَا أَفْتَقِدُ غَنَمِي وَأُخَلِّصُهَا مِنْ جَمِيعِ الأَمَاكِنِ الَّتِي تَشَتَّتَتْ إِلَيْهَا فِي يَوْمِ الْغَيْمِ
وَالضَّبَابِ. ١٣ وَأُخْرِجُهَا مِنَ الشُّعُوبِ وَأَجْمَعُهَا مِنَ الأَرَاضِي، وَآتِي بِهَا إِلَى أَرْضِهَا
وَأَرْعَاهَا عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ وَفِي الأَوْدِيَةِ وَفِي جَمِيعِ مَسَاكِنِ الأَرْضِ. ١٤ أَرْعَاهَا فِي
مَرْعًى جَيِّدٍ، وَيَكُونُ مَرَاحُهَا عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ الْعَالِيَةِ. هُنَالِكَ تَرْبُضُ فِي مَرَاحٍ
حَسَنٍ، وَفِي مَرْعًى دَسِمٍ يَرْعَوْنَ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ. ١٥ أَنَا أَرْعَى غَنَمِي وَأُرْبِضُهَا،
يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. ١٦ وَأَطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ
الْجَرِيحَ، وَأُبِيدُ السَّمِينَ وَالْقَوِيَّ، وَأَرْعَاهَا بِعَدْلٍ. ١٧ وَأَنْتُمْ يَا غَنَمِي، فَهكَذَا قَالَ
السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَحْكُمُ بَيْنَ شَاةٍ وَشَاةٍ، بَيْنَ كِبَاشٍ وَتُيُوسٍ. ١٨ أَهُوَ صَغِيرٌ عِنْدَكُمْ
أَنْ تَرْعَوْا الْمَرْعَى الْجَيِّدَ، وَبَقِيَّةُ مَرَاعِيكُمْ تَدُوسُونَهَا بِأَرْجُلِكُمْ، وَأَنْ تَشْرَبُوا مِنَ الْمِيَاهِ
الْعَمِيقَةِ، وَالْبَقِيَّةُ تُكَدِّرُونَهَا بِأَقْدَامِكُمْ؟ ١٩ وَغَنَمِي تَرْعَى مِنْ دَوْسِ أَقْدَامِكُمْ،
وَتَشْرَبُ مِنْ كَدَرِ أَرْجُلِكُمْ! ٢٠ لِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لَهُمْ: هأَنَذَا أَحْكُمُ بَيْنَ
الشَّاةِ السَّمِينَةِ وَالشَّاةِ الْمَهْزُولَةِ. ٢١ لأَنَّكُمْ بَهَزْتُمْ بِالْجَنْبِ وَالْكَتِفِ، وَنَطَحْتُمُ الْمَرِيضَةَ
بِقُرُونِكُمْ حَتَّى شَتَّتُّمُوهَا إِلَى خَارِجٍ. ٢٢ فَأُخَلِّصُ غَنَمِي فَلاَ تَكُونُ مِنْ بَعْدُ غَنِيمَةً،
وَأَحْكُمُ بَيْنَ شَاةٍ وَشَاةٍ. ٢٣ وَأُقِيمُ عَلَيْهَا رَاعِيًا وَاحِدًا فَيَرْعَاهَا عَبْدِي دَاوُدُ، هُوَ
يَرْعَاهَا وَهُوَ يَكُونُ لَهَا رَاعِيًا. ٢٤ وَأَنَا الرَّبُّ أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا، وَعَبْدِي دَاوُدُ رَئِيسًا فِي
وَسْطِهِمْ. أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ. ٢٥ وَأَقْطَعُ مَعَهُمْ عَهْدَ سَلاَمٍ، وَأَنْزِعُ الْوُحُوشَ الرَّدِيئَةَ
مِنَ الأَرْضِ، فَيَسْكُنُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ مُطْمَئِنِّينَ وَيَنَامُونَ فِي الْوُعُورِ. ٢٦ وَأَجْعَلُهُمْ وَمَا
حَوْلَ أَكَمَتِي بَرَكَةً، وَأُنْزِلُ عَلَيْهِمِ الْمَطَرَ فِي وَقْتِهِ فَتَكُونُ أَمْطَارَ بَرَكَةٍ. ٢٧ وَتُعْطِي
شَجَرَةُ الْحَقْلِ ثَمَرَتَهَا، وَتُعْطِي الأَرْضُ غَلَّتَهَا، وَيَكُونُونَ آمِنِينَ فِي أَرْضِهِمْ، وَيَعْلَمُونَ
أَنِّي أَنَا الرَّبُّ عِنْدَ تَكْسِيرِي رُبُطَ نِيرِهِمْ، وَإِذَا أَنْقَذْتُهُمْ مِنْ يَدِ الَّذِينَ اسْتَعْبَدُوهُمْ. ٢٨

http://kotob.has.it

فَلاَ يَكُونُونَ بَعْدُ غَنِيمَةً لِلأُمَمِ، وَلاَ يَأْكُلُهُمْ وَحْشُ الأَرْضِ، بَلْ يَسْكُنُونَ آمِنِينَ وَلاَ مُخِيفٌ. ٢٩ وَأُقِيمُ لَهُمْ غَرْسًا لِصِيتٍ فَلاَ يَكُونُونَ بَعْدُ مَفْنِيِّي الْجُوعِ فِي الأَرْضِ، وَلاَ يَحْمِلُونَ بَعْدُ تَعْيِيرَ الأُمَمِ. ٣٠ فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ مَعَهُمْ، وَهُمْ شَعْبِي بَيْتُ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. ٣١ وَأَنْتُمْ يَا غَنَمِي، غَنَمُ مَرْعَايَ، أُنَاسٌ أَنْتُمْ. أَنَا إِلهُكُمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ» [حزقيال، الإصحاح الرابع والثلاثون: ٧-٢٩].

يتحدث إشعياء عما عَرَّفه الله به، فهو يعزل الرعاة الذين يرعون غنمه، والمراد بالرعاة: الزعماء والرؤساء والأحبار الذين يتزعمون هذا الشعب، ويجمع بني إسرائيل من مختلف البلاد التي تفرقوا فيها، بعيداً عن زعمائهم ورؤسائهم، ويأتي ببقايا هذا الشعب إلى الأرض المقدسة، فيسكنون في جبالها ووهادها وسهولها، ويكرمهم، ويحوطهم بعنايته.

ويذكر أنه يحكم بين الناس بالعدل، ويقيم عليهم عبده داود، أي: رجلاً من نسل داود عليه السلام، وهذا الرجل هو عيسى عليه السلام الذي ينزله الله في آخر الزمان، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويحكم بالقرآن، ويذكر أن بني إسرائيل يسكنون آمنين، ويكرمهم الله - تبارك وتعالى - بإنزال بركاته عليهم وينزل عليهم المطر، وتعطى الأشجار ثمارها، ويعطي النبات غلته، وينقذ الله بني إسرائيل من الذين استعبدوهم، ويرفع من بينهم الجوع، بما يقيمه الله من الغرس، وما يجعل فيه من البركة.

٧١- دخول بني إسرائيل في الإسلام في آخر الزمان:

ويتحدث حزقيال عما يفعله الله ببني إسرائيل في آخر الزمان من الإحسان فيقول: «٨ أَمَّا أَنْتُمْ يَا جِبَالَ إِسْرَائِيلَ، فَإِنَّكُمْ تُنْبِتُونَ فُرُوعَكُمْ وَتُثْمِرُونَ ثَمَرَكُمْ لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَرِيبُ الإِتْيَانِ. ٩ لأَنِّي أَنَا لَكُمْ وَأَلْتَفِتُ إِلَيْكُمْ فَتُحْرَثُونَ وَتُزْرَعُونَ. ١٠ وَأُكَثِّرُ النَّاسَ عَلَيْكُمْ، كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بِأَجْمَعِهِ، فَتُعْمَرُ الْمُدُنُ وَتُبْنَى الْخِرَبُ. ١١ وَأُكَثِّرُ عَلَيْكُمُ الإِنْسَانَ وَالْبَهِيمَةَ فَيَكْثُرُونَ وَيُثْمِرُونَ، وَأُسَكِّنُكُمْ حَسَبَ حَالَتِكُمُ الْقَدِيمَةِ، وَأُحْسِنُ إِلَيْكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا فِي أَوَائِلِكُمْ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. ١٢

http://kotob.has.it

وَأُمَشِّي النَّاسَ عَلَيْكُمْ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، فَيَرِثُونَكَ فَتَكُونُ لَهُمْ مِيرَاثًا وَلاَ تَعُودُ بَعْدُ
تُثْكِلُهُمْ. ١٣ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ قَالُوا لَكُمْ: أَنْتِ أَكَّالَةُ النَّاسِ
وَمُثْكِلَةُ شُعُوبِكِ. ١٤ لِذلِكَ لَنْ تَأْكُلِي النَّاسَ بَعْدُ، وَلاَ تُثْكِلِي شُعُوبَكِ بَعْدُ، يَقُولُ
السَّيِّدُ الرَّبُّ. ١٥ وَلاَ أُسَمِّعُ فِيكِ مِنْ بَعْدُ تَعْيِيرَ الأُمَمِ، وَلاَ تَحْمِلِينَ تَعْيِيرَ الشُّعُوبِ
بَعْدُ، وَلاَ تُعْثِرِينَ شُعُوبَكِ بَعْدُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. ١٦ وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً:
١٧ يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ لَمَّا سَكَنُوا أَرْضَهُمْ نَجَّسُوهَا بِطَرِيقِهِمْ وَبِأَفْعَالِهِمْ.
كَانَتْ طَرِيقُهُمْ أَمَامِي كَنَجَاسَةِ الطَّامِثِ، ١٨ فَسَكَبْتُ غَضَبِي عَلَيْهِمْ لأَجْلِ الدَّمِ
الَّذِي سَفَكُوهُ عَلَى الأَرْضِ، وَبِأَصْنَامِهِمْ نَجَّسُوهَا. ١٩ فَبَدَّدْتُهُمْ فِي الأُمَمِ فَتَذَرَّوْا فِي
الأَرَاضِي. كَطَرِيقِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ دِنْتُهُمْ. ٢٠ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى الأُمَمِ حَيْثُ جَاءُوا نَجَّسُوا
اسْمِي الْقُدُّوسَ، إِذْ قَالُوا لَهُمْ: هؤُلاَءِ شَعْبُ الرَّبِّ وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ أَرْضِهِ.
٢١فَتَحَنَّنْتُ عَلَى اسْمِي الْقُدُّوسِ الَّذِي نَجَّسَهُ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ فِي الأُمَمِ حَيْثُ جَاءُوا.
٢٢ لِذلِكَ فَقُلْ لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: لَيْسَ لأَجْلِكُمْ أَنَا صَانِعٌ يَا
بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، بَلْ لأَجْلِ اسْمِي الْقُدُّوسِ الَّذِي نَجَّسْتُمُوهُ فِي الأُمَمِ حَيْثُ جِئْتُمْ. ٢٣
فَأُقَدِّسُ اسْمِي الْعَظِيمَ الْمُنَجَّسَ فِي الأُمَمِ، الَّذِي نَجَّسْتُمُوهُ فِي وَسْطِهِمْ، فَتَعْلَمُ الأُمَمُ
أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، حِينَ أَتَقَدَّسُ فِيكُمْ قُدَّامَ أَعْيُنِهِمْ. ٢٤ وَآخُذُكُمْ مِنْ
بَيْنِ الأُمَمِ وَأَجْمَعُكُمْ مِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِكُمْ. ٢٥ وَأَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً
طَاهِرًا فَتُطَهَّرُونَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ. ٢٦ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا
جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ
قَلْبَ لَحْمٍ. ٢٧ وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي، وَتَحْفَظُونَ
أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَ بِهَا. ٢٨ وَتَسْكُنُونَ الأَرْضَ الَّتِي أَعْطَيْتُ آبَاءَكُمْ إِيَّاهَا، وَتَكُونُونَ
لِي شَعْبًا وَأَنَا أَكُونُ لَكُمْ إِلهًا. ٢٩ وَأُخَلِّصُكُمْ مِنْ كُلِّ نَجَاسَاتِكُمْ. وَأَدْعُو الْحِنْطَةَ
وَأُكَثِّرُهَا وَلاَ أَضَعُ عَلَيْكُمْ جُوعًا. ٣٠ وَأُكَثِّرُ ثَمَرَ الشَّجَرِ وَغَلَّةَ الْحَقْلِ لِكَيْلاَ تَنَالُوا
بَعْدُ عَارَ الْجُوعِ بَيْنَ الأُمَمِ. ٣١ فَتَذْكُرُونَ طُرُقَكُمُ الرَّدِيئَةَ وَأَعْمَالَكُمْ غَيْرَ الصَّالِحَةِ،
وَتَمْقُتُونَ أَنْفُسَكُمْ أَمَامَ وُجُوهِكُمْ مِنْ أَجْلِ آثَامِكُمْ وَعَلَى رَجَاسَاتِكُمْ. ٣٢ لاَ مِنْ أَجْلِكُمْ

http://kotob.has.it

أَنَا صَانِعٌ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا لَكُمْ. فَاخْجَلُوا وَاخْزَوْا مِنْ طُرُقِكُمْ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ. ٣٣ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: فِي يَوْمِ تَطْهِيرِي إِيَّاكُمْ مِنْ كُلِّ آثَامِكُمْ، أُسْكِنُكُمْ فِي الْمُدُنِ، فَتُبْنَى الْخِرَبُ. ٣٤ وَتُفْلَحُ الأَرْضُ الْخَرِبَةُ عِوَضًا عَنْ كَوْنِهَا خَرِبَةً أَمَامَ عَيْنَيْ كُلِّ عَابِرٍ. ٣٥ فَيَقُولُونَ: هذِهِ الأَرْضُ الْخَرِبَةُ صَارَتْ كَجَنَّةِ عَدْنٍ، وَالْمُدُنُ الْخَرِبَةُ وَالْمُقْفِرَةُ وَالْمُنْهَدِمَةُ مُحَصَّنَةً مَعْمُورَةً. ٣٦ فَتَعْلَمُ الأُمَمُ الَّذِينَ تُرِكُوا حَوْلَكُمْ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، بَنَيْتُ الْمُنْهَدِمَةَ وَغَرَسْتُ الْمُقْفِرَةَ. أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ وَسَأَفْعَلُ. ٣٧ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: بَعْدَ هذِهِ أُطْلَبُ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ لأَفْعَلَ لَهُمْ. أُكَثِّرُهُمْ كَغَنَمِ أُنَاسٍ، ٣٨ كَغَنَمِ مَقْدِسٍ، كَغَنَمِ أُورُشَلِيمَ فِي مَوَاسِمِهَا، فَتَكُونُ الْمُدُنُ الْخَرِبَةُ مَلآنَةً غَنَمَ أُنَاسٍ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ» [حزقيال، الإصحاح السادس والثلاثون: ٧-٣٨].

يخاطب رب العزة فيما يقوله حزقيال جبال إسرائيل، ويقول لها: إنهم ينبتون فروعهم، ويثمرون ثمرهم لشعب إسرائيل، ويكثر الله الناس والبهائم، ويحسن الله لبني إسرائيل، ويغير الله أخلاق بني إسرائيل، فبعد أن كانوا يأكلون الناس، ويسرقون أموالهم بالربا والطرق السيئة، يلتزمون أحكام الشريعة الإسلامية بدخولهم في الإسلام، بعد نزول المسيح، فيتعاملون مع الناس وفق أحكام الشرع، وهذا هو المراد بقوله: «وأمشي الناس عليكم شعبي إسرائيل، فيرثونك، فتكون لهم ميراثاً، ولا تعود بعد تثكلهم» أي تصبح العلاقة بين الناس وبني إسرائيل علاقة طيبة، فهم إخوة في دين الله الإسلام، ويصاهرون غيرهم، ويصبح بينهم وبين غيرهم ميراث، ولا يعود اليهود لأكل أموال الناس بالباطل. ولذلك قال: «لن تأكلي الناس بعد» ويقول: «ولا تحملين تغيير الشعوب بعد» أي تغيير أخلاقهم وتصرفاتهم تجاه الشعوب، فقد كانت نفوسهم في الماضي خربة عفنة، يحقدون دائماً على الناس، ويضلونهم، ويسلبونهم أموالهم.

وقد أمر الله حزقيال أن يذكر بني إسرائيل بما كانوا عليه قبل نزول عيسى من أخلاق فاسدة وضلال وشرك وكفر ونجاسات فبددهم في الأمم وأذلهم، وعندما

http://kotob.has.it

ينزل عيسى، ولا يقبل من الناس إلا الإسلام أو القتل، ويدخل الناس جميعاً في دين الله، ولا يبقى في الأرض إلا الإسلام، ويدخل بقايا بني إسرائيل في الإسلام، ويأتي الله بهم إلى الأرض المقدسة بعد إيمانهم وإسلامهم وصلاحهم، ويطهرهم مما كان بهم من نجاسات، وقوله: «وأعطيكم روحاً جديدة، وأجعل روحاً جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم، وأعطيكم قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضي، وتحفظون أحكامي، وتعملون بها».

هذا النص يمثل الحال التي يصبح عليها بنو إسرائيل، فإن الإسلام الذي دخلوا فيه يعطيهم روحاً جديدة، كالروح التي عند أهل الإسلام، فيصبح فيهم الإيمان والإسلام والإخبات لرب العباد، والخشوع له، وينزع منهم القلوب القاسية التي هي أشد قسوة من الحجارة، فقد قال الله في آبائهم من قبل ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤].

وهم مع هذه الروح الطيبة الصالحة التي تحل فيهم، يلتزمون بما فرضته عليهم الشريعة الإسلامية من الصلاة والصيام والحج وغيرها، ويحفظون أحكام الله، ويعملون بها، عند ذلك يحل الله عليهم رضوانه، وتنزل السماء بركاتها، وتنبت الأرض خيراتها ويصبحون أخياراً صالحين، حالهم حال غيرهم من المسلمين.

٧٢- يصبح بنو إسرائيل أمة واحدة في آخر الزمان بعد دخولهم في الإسلام:

يتحدث حزقيال عما سيكون عليه بنو إسرائيل في آخر الزمان بعد دخولهم الإسلام، حيث يصبحون أمة واحدة وشعباً واحداً، ويتركون ما كانوا عليه من الاختلاف والنزاع والفرقة عبر تاريخهم، فعصيهم تصبح عصاً واحدة، ويصبح لهم ملك واحد هو نبي الله عيسى ﷺ الذي سيحكم العالم الإسلامي، بل يحكم العالم

http://kotob.has.it

كله بعد دخوله في الإسلام، ويترك بنو إسرائيل ما كانوا عليه من الشرك وعبادة الأصنام، وما كانوا عليه من رجس، ويطهرون من ذنوبهم ونجاساتهم أي معاصيهم، ويسكنون الأرض المباركة في ذلك الزمان مع غيرهم من المسلمين، يقول حزقيال: «١٥وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: ١٦ وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، خُذْ لِنَفْسِكَ عَصًا وَاحِدَةً وَاكْتُبْ عَلَيْهَا: لِيَهُوذَا وَلِبَنِي إِسْرَائِيلَ رُفَقَائِهِ. وَخُذْ عَصًا أُخْرَى وَاكْتُبْ عَلَيْهَا: لِيُوسُفَ، عَصَا أَفْرَايِمَ وَكُلِّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ رُفَقَائِهِ. ١٧ وَاقْرِنْهُمَا الْوَاحِدَةَ بِالأُخْرَى كَعَصًا وَاحِدَةٍ، فَتَصِيرَا وَاحِدَةً فِي يَدِكَ. ١٨ فَإِذَا كَلَّمَكَ أَبْنَاءُ شَعْبِكَ قَائِلِينَ: أَمَا تُخْبِرُنَا مَا لَكَ وَهذَا؟ ١٩ فَقُلْ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا آخُذُ عَصَا يُوسُفَ الَّتِي فِي يَدِ أَفْرَايِمَ وَأَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ رُفَقَاءَهُ، وَأَضُمُّ إِلَيْهَا عَصَا يَهُوذَا، وَأَجْعَلُهُمْ عَصًا وَاحِدَةً فَيَصِيرُونَ وَاحِدَةً فِي يَدِي. ٢٠ وَتَكُونُ الْعَصَوَانِ اللَّتَانِ كَتَبْتَ عَلَيْهِمَا فِي يَدِكَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ. ٢١ وَقُلْ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا آخُذُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ الَّتِي ذَهَبُوا إِلَيْهَا، وَأَجْمَعُهُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَآتِي بِهِمْ إِلَى أَرْضِهِمْ، ٢٢ وَأُصَيِّرُهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً فِي الأَرْضِ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ، وَمَلِكٌ وَاحِدٌ يَكُونُ مَلِكًا عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ، وَلاَ يَكُونُونَ بَعْدُ أُمَّتَيْنِ، وَلاَ يَنْقَسِمُونَ بَعْدُ إِلَى مَمْلَكَتَيْنِ. ٢٣ وَلاَ يَتَنَجَّسُونَ بَعْدُ بِأَصْنَامِهِمْ وَلاَ بِرَجَاسَاتِهِمْ وَلاَ بِشَيْءٍ مِنْ مَعَاصِيهِمْ، بَلْ أُخَلِّصُهُمْ مِنْ كُلِّ مَسَاكِنِهِم الَّتِي فِيهَا أَخْطَأُوا، وَأُطَهِّرُهُمْ فَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا. ٢٤ وَدَاوُدُ عَبْدِي يَكُونُ مَلِكًا عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُ لِجَمِيعِهِمْ رَاعٍ وَاحِدٌ، فَيَسْلُكُونَ فِي أَحْكَامِي وَيَحْفَظُونَ فَرَائِضِي وَيَعْمَلُونَ بِهَا. ٢٥ وَيَسْكُنُونَ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُ عَبْدِي يَعْقُوبَ إِيَّاهَا، الَّتِي سَكَنَهَا آبَاؤُكُمْ، وَيَسْكُنُونَ فِيهَا هُمْ وَبَنُوهُمْ وَبَنُو بَنِيهِمْ إِلَى الأَبَدِ، وَعَبْدِي دَاوُدُ رَئِيسٌ عَلَيْهِمْ إِلَى الأَبَدِ. ٢٦ وَأَقْطَعُ مَعَهُمْ عَهْدَ سَلاَمٍ، فَيَكُونُ مَعَهُمْ عَهْدًا مُؤَبَّدًا، وَأُقِرُّهُمْ وَأُكَثِّرُهُمْ وَأَجْعَلُ مَقْدِسِي فِي وَسْطِهِمْ إِلَى الأَبَدِ. ٢٧ وَيَكُونُ مَسْكَنِي فَوْقَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا. ٢٨ فَتَعْلَمُ الأُمَمُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُ إِسْرَائِيلَ، إِذْ يَكُونُ مَقْدِسِي فِي وَسْطِهِمْ إِلَى الأَبَدِ» [حزقيال، الإصحاح السابع والثلاثون: ١٥-٢٨].

http://kotob.has.it

٧٣- إتيان الله ببني إسرائيل من أرض الشمال:

يحدثنا إرميا عن أيام تأتي في آخر الزمان، ينسى بنو إسرائيل فيها ما كان يثني به آباؤهم على الله عندما كانا يقولون: حيٌّ هو الربُّ الـذي أصـعد بنـي إسرائيـل مـن أرض مصر.

ويصبحون يثنون على الله تعالى الذي جمعهم في ذلك الزمـان مـن الـبلاد التـي تشتتوا فيها، والبلاد التي طردوا إليها، فيعيدهم إلى البلاد التي أعطاها الله لآبائهم.

وهذا يكون بعد نزول عيسى عليه السلام، ودخول اليهود في الإسـلام، وتـركهم لمـا هم عليه من الضلال، يقول إرميا: «١٤ لِذلِكَ هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الـرَّبُّ، وَلاَ يُقَـالُ بَعْدُ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، ١٥ بَلْ حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ الشِّمَالِ وَمِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي الَّتِي طَـرَدَهُمْ إِلَيْهَـا. فَأُرْجِعُهُمْ إِلَى أَرْضِهِمِ الَّتِي أَعْطَيْتُ آبَاءَهُمْ إِيَّاهَا» [سفر إرميـا، الإصحاح الـسادس عـشر: ١٤-١٥].

٧٤- يجمع الله بني إسرائيل من أطراف الأرض:

يحدثنا إرميا عن جمع الله بني إسرائيل في آخـر الزمـان، فيـأتي بهـم إلى الأرض المقدسة، يأتي بهم من مختلف البلاد التي تفرقوا فيهـا، وهنـاك يعيـدون بنـاء مـدنهم وقصورهم، ويكون حاكمهم واحداً منهم، ويخرج واليهم من وسـطهم، ويعبـدون الله وحده، ويزرعون الأرض عنباً في جبال السامرة، ويغرس الغارسون، ويبتكـرون، وهذا يكون بعد دخولهم في الإسلام، عندما ينزل عيـسى عليه السلام، ويؤمنـون بنبـي الله محمد ﷺ.

«١٨ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَرُدُّ سَبْيَ خِيَامِ يَعْقُوبَ، وَأَرْحَمُ مَـسَاكِنَهُ، وَتُبْنَـى الْمَدِينَةُ عَلَى تَلِّهَا، وَالْقَـصْرُ يُـسْكَنُ عَـلَى عَادَتِـهِ. ١٩ وَيَخْرُجُ مِـنْهُمُ الْحَمْـدُ وَصَـوْتُ اللاَّعِبِينَ، وَأُكَثِّرُهُمْ وَلاَ يَقِلُّونَ، وَأُعَظِّمُهُمْ وَلاَ يَصْغُرُونَ. ٢٠ وَيَكُونُ بَنُوهُمْ كَـمَا فِي

http://kotob.has.it

الْقَدِيمِ، وَجَمَاعَتُهُمْ تَثْبُتُ أَمَامِي، وَأُعَاقِبُ كُلَّ مُضَايِقِيهِمْ. ٢١ وَيَكُونُ حَاكِمُهُمْ مِنْهُمْ، وَيَخْرُجُ وَالِيهِمْ مِنْ وَسْطِهِمْ، وَأُقَرِّبُهُ فَيَدْنُو إِلَيَّ، لأَنَّهُ مَنْ هُوَ هذَا الَّذِي أَرْهَنَ قَلْبَهُ لِيَدْنُوَ إِلَيَّ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ ٢٢ وَتَكُونُونَ لِي شَعْبًا وَأَنَا أَكُونُ لَكُمْ إِلهًا» [سفر إرميا، الإصحاح الثلاثون: ٨-٢٢].

ويقول إرميا أيضاً: «١ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَكُونُ إِلهًا لِكُلِّ عَشَائِرِ إِسْرَائِيلَ، وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. ٢ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قَدْ وَجَدَ نِعْمَةً فِي الْبَرِّيَّةِ، الشَّعْبُ الْبَاقِي عَنِ السَّيْفِ، إِسْرَائِيلُ حِينَ سِرْتُ لأُرِيحَهُ». ٣ تَرَاءَى لِي الرَّبُّ مِنْ بَعِيدٍ: «وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ. ٤ سَأَبْنِيكِ بَعْدُ، فَتُبْنَيْنَ يَا عَذْرَاءَ إِسْرَائِيلَ. تَتَزَيَّنِينَ بَعْدُ بِدُفُوفِكِ، وَتَخْرُجِينَ فِي رَقْصِ اللاَّعِبِينَ. ٥ تَغْرِسِينَ بَعْدُ كُرُومًا فِي جِبَالِ السَّامِرَةِ. يَغْرِسُ الْغَارِسُونَ وَيَبْتَكِرُونَ. ٦ لأَنَّهُ يَكُونُ يَوْمٌ يُنَادِي فِيهِ النَّوَاطِيرُ فِي جِبَالِ أَفْرَايِمَ: قُومُوا فَنَصْعَدَ إِلَى صِهْيَوْنَ، إِلَى الرَّبِّ إِلهِنَا. ٧ لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: رَنِّمُوا لِيَعْقُوبَ فَرَحًا، وَاهْتِفُوا بِرَأْسِ الشُّعُوبِ. سَمِّعُوا، سَبِّحُوا، وَقُولُوا: خَلِّصْ يَا رَبُّ شَعْبَكَ بَقِيَّةَ إِسْرَائِيلَ. ٨ هأَنَذَا آتِي بِهِمْ مِنْ أَرْضِ الشِّمَالِ، وَأَجْمَعُهُمْ مِنْ أَطْرَافِ الأَرْضِ. بَيْنَهُمُ الأَعْمَى وَالأَعْرَجُ، الْحُبْلَى وَالْمَاخِضُ مَعًا. جَمْعٌ عَظِيمٌ يَرْجعُ إِلَى هُنَا. ٩ بِالْبُكَاءِ يَأْتُونَ، وَبِالتَّضَرُّعَاتِ أَقُودُهُمْ. أُسَيِّرُهُمْ إِلَى أَنْهَارِ مَاءٍ فِي طَرِيق مُسْتَقِيمَةٍ لاَ يَعْثُرُونَ فِيهَا. لأَنِّي صِرْتُ لإِسْرَائِيلَ أَبًا، وَأَفْرَايِمُ هُوَ بِكْرِي. ١٠ اِسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ أَيُّهَا الأُمَمُ، وَأَخْبِرُوا فِي الْجَزَائِرِ الْبَعِيدَةِ، وَقُولُوا: مُبَدِّدُ إِسْرَائِيلَ يَجْمَعُهُ وَيَحْرُسُهُ كَرَاعٍ قَطِيعَهُ. ١١ لأَنَّ الرَّبَّ فَدَى يَعْقُوبَ وَفَكَّهُ مِنْ يَدِ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْهُ. ١٢ فَيَأْتُونَ وَيُرَنِّمُونَ فِي مُرْتَفَعِ صِهْيَوْنَ» [سفر إرميا، الإصحاح الحادي والثلاثون: ١-١٢].

٧٥- يقطع الله عهداً جديداً مع بيت إسرائيل:

يحدثنا إرميا عن أيام تأتي، وهذه الأيام في آخر الزمان، يقطع الله فيها مع بيت إسرائيل عهداً جديداً، وليس هذا العهد هو العهد الذي أخذه الله على آبائهم عند

http://kotob.has.it

خروجهم من مصر، فهذا العهد عهد جديد، إنه عهد يقوم على الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، وهو منبثق من القرآن، ولذلك قال: أجعل شريعتي في داخلهم، وأكتبها في قلوبهم، وهذا شأن القرآن، يحفظ في الصدور، ويقوم على العلم والفقه، كما هو حال المسلمين، وهم يتصلون بالنبع الصافي، ولا يحتاج الواحد منهم إلى غيره ليعلم ويفهم.

«٣١ هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. ٣٢ لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. ٣٣ بَلْ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. ٣٤ وَلاَ يُعَلِّمُونَ بَعْدُ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، قَائِلِينَ: اعْرِفُوا الرَّبَّ، لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ» [سفر إرميا، الإصحاح الثاني والثلاثون: ٣١-٣٤].

٧٦- يعطي الله بني إسرائيل قلباً واحداً وطريقاً واحداً:

يتحدث إرميا عن جمع بني إسرائيل إلى المدينة التي دفعت إلى يد ملك بابل، ويريد بها مدينة القدس، سيجمعهم من كل الأراضي التي طردوا إليها، ليعبدوا الله وحده، ويعطيهم قلباً واحداً، وطريقاً واحداً، فكلهم مؤمنون على قلب رجل واحد، وكلهم مسلمون، طريقهم طريق واحد، ويكثرون في الديار التي جمعوا إليها. يقول إرميا: «٣٦ وَالآنَ لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ عَنْ هذِهِ الْمَدِينَةِ الَّتِي تَقُولُونَ إِنَّهَا قَدْ دُفِعَتْ لِيَدِ مَلِكِ بَابِلَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ: ٣٧ هأَنَذَا أَجْمَعُهُمْ مِنْ كُلِّ الأَرَاضِي الَّتِي طَرَدْتُهُمْ إِلَيْهَا بِغَضَبِي وَغَيْظِي وَبِسُخْطٍ عَظِيمٍ، وَأَرُدُّهُمْ إِلَى هذَا الْمَوْضِعِ، وَأُسَكِّنُهُمْ آمِنِينَ. ٣٨ وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا. ٣٩ وَأُعْطِيهِمْ قَلْبًا وَاحِدًا وَطَرِيقًا وَاحِدًا لِيَخَافُونِي كُلَّ الأَيَّامِ، لِخَيْرِهِمْ وَخَيْرِ

http://kotob.has.it

أَوْلاَدِهِمْ بَعْدَهُمْ. ٤٠ وَأَقْطَعُ لَهُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا أَنِّي لاَ أَرْجِعُ عَنْهُمْ لأُحْسِنَ إِلَيْهِمْ، وَأَجْعَلُ مَخَافَتِي فِي قُلُوبِهِمْ فَلاَ يَحِيدُونَ عَنِّي. ٤١ وَأَفْرَحُ بِهِمْ لأُحْسِنَ إِلَيْهِمْ، وَأَغْرِسَهُمْ فِي هذِهِ الأَرْضِ بِالأَمَانَةِ بِكُلِّ قَلْبِي وَبِكُلِّ نَفْسِي. ٤٢ لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: كَمَا جَلَبْتُ عَلَى هذَا الشَّعْبِ كُلَّ هذَا الشَّرِّ الْعَظِيمِ، هكَذَا أَجْلِبُ أَنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ الْخَيْرِ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ إِلَيْهِمْ. ٤٣ فَتُشْتَرَى الْحُقُولُ فِي هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَقُولُونَ إِنَّهَا خَرِبَةٌ بِلاَ إِنْسَانٍ وَبِلاَ حَيَوَانٍ، وَقَدْ دُفِعَتْ لِيَدِ الْكَلْدَانِيِّينَ. ٤٤ يَشْتَرُونَ الْحُقُولَ بِفِضَّةٍ، وَيَكْتُبُونَ ذلِكَ فِي صُكُوكٍ، وَيَخْتِمُونَ وَيُشْهِدُونَ شُهُودًا فِي أَرْضِ بِنْيَامِينَ وَحَوَالَيْ أُورُشَلِيمَ، وَفِي مُدُنِ يَهُوذَا وَمُدُنِ الْجَبَلِ وَمُدُنِ السَّهْلِ وَمُدُنِ الْجَنُوبِ، لأَنِّي أَرُدُّ سَبْيَهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ» [سفر إرميا، الإصحاح الثاني والثلاثون: ٣٦-٤٤].

٧٥- ويل للرعاة الذين يبددون غنم رعيتي:

يقول إرميا: ويل للرعاة الذين يهلكون ويبددون غنم رعيتي، وويل لهم أي هلاك لهم، ويريد بالرعاة الزعماء والرؤساء والأحبار الذين يتسنمون ظهور الشعب اليهودي، ويتسلطون عليهم، ويسخرونهم لمآربهم، هؤلاء الزعماء سيبيدهم رب العزة، ويقضي عليهم، وسيأتي بجموع بني إسرائيل، ويقيم عليهم رعاة صالحين، ويقيم عليهم في آخر الزمان ملكاً من نسل داود، هو عيسى عليه السلام، الذي ينزله الله ليحكم بشريعة القرآن، فيخلص بني إسرائيل، ويسكن بني إسرائيل في الأرض المقدسة، وما حولها، بعد أن يجمعهم من البلاد التي طردوا إليها، قال إرميا: «١ وَيْلٌ لِلرُّعَاةِ الَّذِينَ يُهْلِكُونَ وَيُبَدِّدُونَ غَنَمَ رَعِيَّتِي، يَقُولُ الرَّبُّ. ٢ لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الرُّعَاةِ الَّذِينَ يَرْعَوْنَ شَعْبِي: أَنْتُمْ بَدَّدْتُمْ غَنَمِي وَطَرَدْتُمُوهَا وَلَمْ تَتَعَهَّدُوهَا. هأَنَذَا أُعَاقِبُكُمْ عَلَى شَرِّ أَعْمَالِكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. ٣ وَأَنَا أَجْمَعُ بَقِيَّةَ غَنَمِي مِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي الَّتِي طَرَدْتُهَا إِلَيْهَا، وَأَرُدُّهَا إِلَى مَرَابِضِهَا فَتُثْمِرُ وَتَكْثُرُ. ٤ وَأُقِيمُ عَلَيْهَا رُعَاةً يَرْعَوْنَهَا فَلاَ تَخَافُ بَعْدُ وَلاَ تَرْتَعِدُ وَلاَ تُفْقَدُ، يَقُولُ الرَّبُّ. ٥ هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بِرّ، فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ، وَيُجْرِي حَقًّا وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ. ٦ فِي أَيَّامِهِ يُخَلَّصُ يَهُوذَا، وَيَسْكُنُ إِسْرَائِيلُ آمِنًا، وَهذَا هُوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ:

http://kotob.has.it

الرَّبُّ بِرُّنَا. ٧ لِذلِكَ هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَلاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، ٨ بَلْ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَ وَأَتَى بِنَسْلِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ الشِّمَالِ وَمِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي الَّتِي طَرَدْتُهُمْ إِلَيْهَا فَيَسْكُنُونَ فِي أَرْضِهِمْ» [سفر إرميا، الإصحاح الثالث والعشرون: ١-٨].

٧٨- سكنى بني إسرائيل مع شعوب إسلامية في الأرض المقدسة:

تحدث نبي الله زكريا عما يكون عليه حال أورشليم في آخر الزمان، وأخبر أن أورشليم في آخر الزمان «تدعى مدينة الحق، وجبل رب الجنود الجبل المقدس» [سفر زكريا، الإصحاح الثامن: ٣] وأورشليم تدعى عند الأمة الإسلامية مدينة القدس حتى اليوم. وتحدث زكريا كيف يكون بنو إسرائيل في آخر الزمان في مدينة القدس، «٤ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: سَيَجْلِسُ بَعْدُ الشُّيُوخُ وَالشَّيْخَاتُ فِي أَسْوَاقِ أُورُشَلِيمَ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ عَصَاهُ بِيَدِهِ مِنْ كَثْرَةِ الأَيَّامِ. ٥ وَتَمْتَلِئُ أَسْوَاقُ الْمَدِينَةِ مِنَ الصِّبْيَانِ وَالْبَنَاتِ لاَعِبِينَ فِي أَسْوَاقِهَا» [سفر زكريا، الإصحاح الثامن: ٤-٥].

وذكر زكريا أن الله سيأتي ببني إسرائيل من مشارق الأرض ومغاربها التي تفرقوا فيها، ليأتي بهم إلى الديار المقدسة، وفي ذلك يقول:

«٧ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: هأَنَذَا أُخَلِّصُ شَعْبِي مِنْ أَرْضِ الْمَشْرِقِ وَمِنْ أَرْضِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ. ٨ وَآتِي بِهِمْ فَيَسْكُنُونَ فِي وَسَطِ أُورُشَلِيمَ، وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ» [سفر زكريا، الإصحاح الثامن: ٧-٨].

وتحدث زكريا عن البركة التي ينزلها رب العباد في الديار المقدسة، وفي ذلك يقول: «الْكَرْمُ يُعْطِي ثَمَرَهُ، وَالأَرْضُ تُعْطِي غَلَّتَهَا، وَالسَّمَاوَاتُ تُعْطِي نَدَاهَا» [سفر زكريا، الإصحاح الثامن: ١٢].

ولا يسكن بنو إسرائيل الديار المقدسة وحدهم، بل يسكن معهم شعوب كثيرة، وأمم قوية، وتزول تلك العصبية البغيضة التي كانت تملأ نفوس بني إسرائيل قديماً، عندما كانوا يزعمون أن الأرض المقدسة لهم وحدهم دون غيرهم، وكانوا

http://kotob.has.it

يحاربون غيرهم ليطردوا منها من ليس يهودياً، في ذلك الزمان في آخر الأيام يسكن بنو إسرائيل الديار المقدسة، ويسكن معهم شعوب وأمم كثيرة، وكلهم إخوة يؤمنون بدين واحد، الذي هو الإسلام، بعد أن يجمعهم عليه عيسى ﷺ، يقول زكريا: «٢٠ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: سَيَأْتِي شُعُوبٌ بَعْدُ، وَسُكَّانُ مُدُنٍ كَثِيرَةٍ. ٢١ وَسُكَّانُ وَاحِدَةٍ يَسِيرُونَ إِلَى أُخْرَى قَائِلِينَ: لِنَذْهَبْ ذَهَابًا لِنَتَرَضَّى وَجْهَ الرَّبِّ وَنَطْلُبَ رَبَّ الْجُنُودِ. أَنَا أَيْضًا أَذْهَبُ. ٢٢ فَتَأْتِي شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ وَأُمَمٌ قَوِيَّةٌ لِيَطْلُبُوا رَبَّ الْجُنُودِ فِي أُورُشَلِيمَ، وَلْيَتَرَضُّوا وَجْهَ الرَّبِّ» [سفر زكريا، الإصحاح الثامن: ٢٠-٢٢].

٧٩- كيف يجمع الله بني إسرائيل في آخر الزمان؛

ويتحدث إرميا كيف يجمع الله بني إسرائيل في آخر الزمان من مختلف البلاد التي تفرقوا فيها، بعد نزول عيسى ﷺ، ودينونته بدين الإسلام، الذي أنزل على محمد ﷺ، فيجمع الله بني إسرائيل من هنا وهناك، فيأخذ واحداً يكون موجوداً في هذه المدينة، ويأخذ اثنين من هذه العشيرة، ويكثر الله هذا الشعب، ويستغلون الأرض المقدسة.

ويذكر أن حياة بني إسرائيل ستتغير في تلك الأيام، فلا يذكرون تابوت عهد الرب في تلك الأيام ولا يصنعونه، ويجتمع إليهم في الديار المقدسة ومن كل الديار والبلاد، «فَآخُذُكُمْ وَاحِدًا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَاثْنَيْنِ مِنَ الْعَشِيرَةِ، وَآتِي بِكُمْ إِلَى صِهْيَوْنَ، ١٥ وَأُعْطِيكُمْ رُعَاةً حَسَبَ قَلْبِي، فَيَرْعَوْنَكُمْ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ. ١٦ وَيَكُونُ إِذْ تَكْثُرُونَ وَتُثْمِرُونَ فِي الأَرْضِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَنَّهُمْ لاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ، وَلاَ يَخْطُرُ عَلَى بَالٍ، وَلاَ يَذْكُرُونَهُ وَلاَ يَتَعَهَّدُونَهُ وَلاَ يُصْنَعُ بَعْدُ. ١٧ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ يُسَمُّونَ أُورُشَلِيمَ كُرْسِيَّ الرَّبِّ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهَا كُلُّ الأُمَمِ، إِلَى اسْمِ الرَّبِّ، إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَلاَ يَذْهَبُونَ بَعْدُ وَرَاءَ عِنَادِ قَلْبِهِمِ الشِّرِّيرِ» [سفر إرميا، الإصحاح الثالث: ١٤-١٧].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المبحث السادس

ذكر القرآن بعض ما أنزله في الكتب السماوية السابقة

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

تقديم

٨٠- النصوص التي أخبرنا الله أنها موجودة في الكتب السماوية السابقة:

أوردت فيما سبق ما صدّق فيه القرآن التوراة والزبور والإنجيل، وسأورد في هذا المبحث ما أخبر القرآن عن وجوده في التوراة والزبور والإنجيل، ولا شك أن الله صادق فيما حدثنا به عن هذه الكتب، فهذا الذي أخبرنا أنه كان موجوداً في تلك الكتب كان فيها حقاً وصدقاً، فإن لم يكن موجوداً اليوم فهذا يدلُّ على أن الذين حرفوا هذه الكتب حذفوه وأزالوه.

وقد وجدت أن القرآن حدثنا عن خمسة موضوعات كانت موجودة في الكتب السابقة، وقد وجدت بعضاً مما ذكر الله أنه موجود فيها لا يزال موجوداً فيها، وبعض ما ذكر أنه موجود، ليس موجوداً.

٨١- مثل رسولنا ﷺ وأصحابه في التوراة والإنجيل:

أخبرنا ربنا - عز وجل - أنه ضرب لرسولنا ﷺ وأصحابه الذين معه مثلين، مثلاً في التوراة، ومثلاً في الإنجيل.

فوصفه وأصحابه في التوراة أنهم أشداء على الكفار، يعاملونهم بشيء من القسوة والغلظة، وهم رحماء فيما بينهم، ويكثرون من الصلاة، فإذا أنت راقبتهم في تصرفاتهم وأعمالهم رأيتهم يكثرون من الركوع والسجود، وهما ركنان من أركان الصلاة، أي يكثرون من الصلاة، وقد حدد مرادهم من صلاتهم أنهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، أي أن دينهم خالص لله عز وجل، وذكر الله أن سيماهم في وجوههم من أثر السجود، أي أن السجود أنار وجوههم، وبدت عليها علامات الصلاح والفلاح ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح:٢٩].

http://kotob.has.it

ثم حدثنا ربنا - تبارك وتعالى - عن المثل الذي ضربه الله للرسول وأصحابه في الإنجيل، فقال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

أي ضرب الله لرسوله ﷺ وأصحابه في تكاثرهم ونموهم بالزرع الذي خرجت أصوله، ثم خرجت فروخه من حوله، فآزر بعضه بعضاً، واستغلظ سوقه، ثم نما وارتفع، فأصبح خامة من الزرع، أو حقولاً فيحاء، فأعجب القوم الذين زرعوه، وأغاظ الكفار الذين رأوا الرسول وأصحابه وقد نموا وتكاثروا وأصبحوا كالخامة أو الحقول الطيبة الواسعة، وأخبر الله أنه وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً.

وقد قرأت التوراة والإنجيل، فلم أجد فيهما هذين المثلين، فيكونان مما حذفه اليهود والنصارى من كتابيهما.

٨٢- ما أخبرنا الله عن وجوده في صحف إبراهيم وموسى:

أنزل الله - تبارك وتعالى - على نبيه إبراهيم صحفاً، كما أنزل على نبيه موسى عليهما السلام صحفاً، هي التوراة.

وقد أخبرنا ربنا - عز وجل - في سورة الأعلى عن بعض ما أنزله في صحف إبراهيم وصحف موسى، فقد قال في آخر سورة الأعلى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى:١٨-١٩].

أمر الله - عز وجل - في أول هذه السورة رسوله ﷺ أن يسبح ربه الأعلى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى:١] وتأويل الآية أن يقول العبد محققاً ما أمره الله به: سبحان ربي الأعلى، وتسبيح العبد ربه تنزيهه عما لا يليق به من النقائص والعيوب، فنحن ننزهه عن الصاحبة والولد والشريك والمثيل والنظير.

http://kotob.has.it

ثم وصف لنا ربنا - سبحانه - نفسه، فهو الأعلى، فلا أعلى منه، وهو الذي خلق كل شيء وهداه لما خلق له، ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى:٣]،أي قدَّر له السعادة والشقاوة، وهداه لذلك، ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ [الأعلى:٤]، أي من النبات والزروع، ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى:٥]، أي بعد أن يكون أخضر ييبسه، فيصبح هشيماً متغيراً ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ [الأعلى:٦-٧].

وأخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ [الأعلى:٧] فالله عليم بكل شيء، لا يخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض.

ووعد الله - تبارك وتعالى - رسوله أن ييسره لليسرى ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ [الأعلى:٨]. وقد كانت حياة رسولنا ﷺ كلها يسر، وشريعتنا يسر كلها، ثم أمر الله رسوله، أن يذكر عباده به وبشرعه وجنته وناره وأعلمه أنه ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝١١﴾ [الأعلى:١٠-١١]، أي قاسي القلب وهو الأشقى، الذي مصيره إلى النار، وغضب الجبار، وعذاب النار أبدي سرمدي، ولذا فإن الكافر ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلى:١٣]، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝١١ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلى:٩-١٣]، ثم أخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - أنه قد أفلح وفاز وسعد من طهر نفسه من الشرك والذنوب والمعاصي، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلى:١٥]، وأخبر أن العباد يؤثرون الحياة الدنيا الفانية الزائلة، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٧﴾ [الأعلى:١٧] فالآخرة هي الدار الدائمة، لا يزول نعيمها، ولا يفنى شبابها، ولا تنقضي أيامها، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٧﴾ [الأعلى:١٤-١٧].

وأخبرنا ربنا - جلَّ وعلا - أن ما تضمنته هذه السورة أو بعضه موجود في الصحف الأولى، وهي الصحف التي أنزلها على عبده ورسوله إبراهيم، والصحف

http://kotob.has.it

التي أنزلها على نبيه ورسوله موسى عليهما السلام، وصحف إبراهيم فقدت، أما صحف موسى، وهي التوراة فإنها حرفت.

وهذا النص الذي ذكر الله أنه موجود في التوراة ليس موجوداً فيها اليوم، فهو مما حذفه الذين حرفوا التوراة.

قال ابن كثير في تفسيره: «عن عقبة بن عامر الجهني: لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة:٧٤] قال لنا رسول الله ﷺ «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى:١] قال: «اجعلوها في سجودكم» [رواه أبو داود وابن ماجة] وقال الإمام أحمد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى:١] قال: «سبحان ربي الأعلى».

٨٣- حكم الزاني والزانية وحكم القصاص في التوراة:

تحاكم اليهود في رجل وامرأة منهم زنيا إلى رسول الله ﷺ، فلما استفسر رسول الله ﷺ عن حكم التوراة فيهما، قالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبدالله بن سلام عالم اليهود الذي أسلم وحسن إسلامه: كذبتم، إن فيها الرجم، فجاؤوا بالتوراة، ووضع قارئ التوراة منهم يده على آية الرجم، وقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال عبدالله بن سلام لقارئ التوراة ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟». فقال: نفضحهم ويُجلدون، فقال عبدالله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبدالله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقال: صَدَقَ يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجما، قال عبدالله: فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة [البخاري: ٣٣٦٥].

http://kotob.has.it

وذكر ابن عمر في إحدى روايات الحديث أن رجمهما كان قريباً من موضع الجنائز عند المسجد [البخاري: ١٣٢٩] والحديث في [مسلم: ١٦٩٩].

وقد عجَّب الله رسوله ﷺ من تحكيمهم له في أمر اللذين زنيا، وفي التوراة حكم الله فيهما وفي أمثالها ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المائدة:٤٣].

ولا يزال هذا الحكم موجوداً في التوراة إلى اليوم، جاء في سفر التثنية: «إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ مُضْطَجِعاً مَعَ امْرَأَةٍ زَوْجَةِ بَعْلٍ يُقْتَلِ الاثْنَانِ، الرَّجُلُ المُضْطَجِعُ مَعَ المَرْأَةِ وَالمَرْأَة، فَتَنْزِعَ الشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيلَ، وَإِذَا كَانَتْ فَتَاة عَذْرَاء مَخْطُوبَة لِرَجُلٍ، فَوَجَدَهَا رَجلٌ فِي المَدِينَةِ وَاضطَجَعَ مَعَهَا، فَأَخرِجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ المَدِينَةِ، وَارْجُمُوهُمَا بِالحِجَارَةِ حَتَى يَمُوتَا، الفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُخ فِي المَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَة صَاحِبِهِ، فَتَنْزِع الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ» [سفر التثنية: ٢٢-٢٤].

وأخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - أنه كتب على بني إسرائيل القصاص في التوراة، فقال: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة:٤٥].

ولا يزال هذا الحكم الذي أخبر الله أنه كتبه على بني إسرائيل مسطوراً فيها، جاء في سفر اللاويين: «١٧وَإِذَا أَمَاتَ أَحَدٌ إِنسَانًا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. ١٨وَمَنْ أَمَاتَ بَهِيمَةً يُعَوِّضُ عَنهَا نَفْسًا بِنَفْسٍ. ١٩وَإِذَا أَحْدَثَ إِنْسَانٌ فِي قَرِيبِهِ عَيْبًا، فَكَمَا فَعَلَ كَذلِكَ يُفْعَلُ بِهِ. ٢٠كَسْرٌ بِكَسْرٍ، وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ، وَسِنٌّ بِسِنٍّ. كَمَا أَحْدَثَ عَيْبًا فِي الإِنْسَانِ كَذلِكَ يُحْدَثُ فِيهِ. ٢١مَنْ قَتَلَ بَهِيمَةً يُعَوِّضُ عَنْهَا، وَمَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا يُقْتَلُ» [سفر اللاويين: ١٧-٢١].

http://kotob.has.it

٨٤- كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل:

أخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - أن جميع الطعام كان حلاً لبني إسرائيل، إلا الطعام الذي حرمه نبي الله إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، واستدلَّ الله عز وجل على صدق ما أخبر به أن الذي أخبر به موجود في التوراة في الزمن الذي تنزل فيه القرآن، وطالب اليهود الذين ينكرون ذلك أن يأتوا بالتوراة فيتلونها إن كانوا صادقين، ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [آل عمران:٩٣].

وقد جاء في الحديث أن جمعاً من بني إسرائيل سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: «أخْبرنا ما حرّم إسرائيل على نفسه، قال: كان يشتكي عرق النَّسَا، فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا وكذا -، قال أبي: قال بعضهم: يعني الإبل -، فحرم لحومها» [مسند أحمد: ٢٤٨٣. وقال محقق المسند: حديث حسن].

٨٥- إفساد بني إسرائيل في الأرض مرتين:

كنت قد كتبت كتاباً في القضية الفلسطينية تحت عنوان «وليتبروا ما علوا تتبيرا»، وقد صدر قريباً، وقد رجعت إلى النصوص القرآنية والنصوص الحديثة لأرى مدى تحديثها عن الواقعة التي تجري حوادثها في هذه الأيام، وهي احتلال اليهود لديارنا فلسطين، فلم أجد حديثاً واحداً في هذا الموضوع، ورأيت بعض الخطباء يذكر الأحاديث التي فيها نبأ محاربة هذه الأمة لليهود في آخر الزمان، ويحملها على مقاتلتنا ليهود عصرنا، وهذا ليس بصواب، فالأحاديث صريحة أن هذا يقع في قتالنا للسبعين ألفاً من اليهود الذين يكونون مع الدجال الأكبر.

والصواب من القول أن هذا الحدث الكبير الذي أصاب الأمة في أرض الإسراء موجود في القرآن يقرؤه الناس صباح مساء، وكل من تأمل فيه وجده يتحدث عن هذه الواقعة العظيمة، والذي صرف العلماء من قبلنا عن اعتبار هذا

http://kotob.has.it

النص متحدثاً عن العلو الذي علاه اليهود في عصرنا أن العلماء من قبلنا جعلوا الإفسادتين المذكورتين في طليعة سورة الإسراء هما من الزمن الغابر المنقضي، وليس من الزمن الآتي الذي نراه ونشاهده اليوم.

وليت شعري متى علا اليهود علواً كبيراً، ثم بعث الله على اليهود عباداً له أولي بأس شديد فجاسوا خلال ديار اليهود، ثم ردّ الله لليهود الكرّة عليهم، ثم جاءت الجيوش الغازية فدمرت ما صنعه اليهود من العلو، إن هذا الذي حدثنا عنه القرآن ليس له وجود إلا في عصرنا، وهما إفسادان متعاقبان متواليان، مضى بعضه في السنوات الماضية، ولا يزال بعض آخر منهما لم يقع.

إن اليهود أفسدوا قديماً فسلط الله عليهم المجوس بقيادة نبوخذ نصّر، فاجتاحوا ديار اليهود ودمروها، وأسروا من أسروا، وقتلوا من قتلوا، ولكن كان في اليهود في ذلك الوقت بعض الخير، وكان أحد أسراهم نبي الله دانيال، وفيهم أخيار صالحون.

ثم أين الكرّة التي كرّ بها اليهود على نبوخذ نصر ورجاله، ليس لها وجود ألبتة، وهذا الذي جرى من نبوخذ نصر أعظم ما قيل في إفساد بني إسرائيل.

والإفساد الثاني لليهود الذي يذكره علماؤنا الذي أدى إلى تدمير هيكلهم واجتياحهم وكان في سنة سبعين للميلاد، إفساد صغير بالنسبة لما يحدث ويقع اليوم، وفي ظني - والله أعلم بالصواب - أن هذين الإفسادين الواقعين من اليهود اليوم المتحدث عنهما في النص القرآني هما الإفسادان اللذان يجريان في أيامنا هذه، واقرأ هذا النص الذي يتحدث عن هذين الإفسادين، وتأمل في مدى انطباق الواقع مع النص الكريم، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ

http://kotob.has.it

﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء:٤-٧].

إن هذا النص صريح واضح في أن هذين الإفسادين هما من بني إسرائيل، وأن هذين الإفسادين سيقعان مرتين متتاليتين، وهما إفسادان يصحبهما علو عظيم، وأن هذين الإفسادين واقعان لا محالة، فقد حكاهما الله بصيغة القضاء، وهو الحكم اللازم الذي لا انفكاك عن جريانه ووقوعه.

إن إخبار الله لنا بهذين الإفسادين اللذين يصاحبهما ذلك العلو الكبير بعد الإخبار بواقعة الإسراء، التي تسلَّم فيها رسولنا ﷺ الإمامة من الأنبياء قبله، وورث فيها الأقصى والأرض المباركة حوله، ينبه الله فيها المسلمين إلى الحدث الكبير الآتي في مقبل الزمان، فقد أخذ الله العهد على كل نبي أنه إذا بعث محمد في عصره أن يتابعه وينصره ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران:٨١] إن هذا النبي هو محمد ﷺ، وقد جمع الله له الأنبياء في إسرائه فأمَّهم هناك في الأقصى.

إن الخبر صريح واضح غاية الصراحة والوضوح ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء:٤] وهذان الإفسادان الكبيران مذكوران في الكتاب أي في اللوح المحفوظ أو التوراة، وكونهما في التوراة المنزلة على موسى أرجح لديّ، وإن كنت حاولت على أن أعثر عليهما فيها، فلم أجد لهما ذكراً، فيكونان مما أخفته يهود وحذفته من التوراة، والله أعلم بالصواب.

وقد أخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - أن الله سيبعث على بني إسرائيل بعد العلو الأول عباداً له أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً.

وليس هؤلاء الذين يبعثهم الله على اليهود جيشاً كاملاً يستطيع أن يغلب اليهود ويقهرهم، وإنما هم عباد صادقون مع الله، وجوسهم خلال ديار اليهود ليس فتحاً لها، ولا طرداً لليهود منها.

http://kotob.has.it

يقول الراغب الأصفهاني محدداً معنى ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [الإسراء:٥]: «أي: توسطوها، وترددوا بينها، ويقارب ذلك حاس وداس» [المفردات: ١٠٣].

وقال الفيروز آبادي في الجوس: «الجوس هو الدخول في وسط المكان، قال تعالى: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [الإسراء:٥] أي: توسطوها، وترددوا بينها» [بصائر ذوي التمييز، ٢/ ٤١٠].

إن الجوس يعني أن العباد أولي البأس الشديد يدخلون ديار اليهود، ويتوسطون فيها، ويترددون بين مدنها وقراها، وليس معناه احتلالها وإخراج اليهود منها.

وقد وقع هذا الجوس اليوم، فجاس عباد الله أصحاب البأس الشديد خلال ديار اليهود، وآذوا اليهود أذىً شديداً، وقاموا بعمليات موجعة لليهود، وقد احتاج اليهود بعد إحداها أن يؤتى بالزعماء والرؤساء من غير اليهود كي يشدُّوا من أزر اليهود، لقد جاء عباد الله أولي البأس الشديد ديار اليهود، فقتلوا من اليهود ودمروا ونسفوا وأوقعوا باليهود رعباً عظيماً، فأقام اليهود حول أنفسهم سوراً عظيماً ليحموا أنفسهم من ذلك الجوس، وهذا الجدار من الكرّة التي حكم الله أنه سيردها على العباد الأقوياء، ولكن أنى للجدار أن يقي اليهود من بأس الجائسين، لقد انطلقت الصواريخ لتقوم بمتابعة الدور الذي كانوا يقومون به خلال الجوس في الديار، ومع ردّ الكرة لليهود يأتيهم سيل عظيم من مال الدول الصليبية الحاقدة على الإسلام والمسلمين، كما أمدّهم الله بالبنين يفدون عليهم من شتى أنحاء العالم، وخاصة من الدول التي كانت تُعرف بالاتحاد السوفيتي، وأهمها روسيا.

وقد جاء اليهود إلى فلسطين من أمريكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا والدول التي كانت تشكل الاتحاد السوفيتي (سابقاً) واليمن والعراق ومصر وأثيوبيا، وغيرها من الدول.

واحتاج اليهود إلى قناطير مقنطرة من الذهب والفضة لتوطين المهاجرين، ولإقامة جيش قوي يدافع عن الأرض التي احتلوها، ويكون رصيداً للأراضي التي

http://kotob.has.it

يتطلعون إلى احتلالها، ومتى وجد في تاريخ اليهود هذا الذي حدثنا الله عنه والـذي نراه في أيامنا ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ [الإسراء:٦].

لم يكن لليهود في فتنهم السابقة هذا الذي تحدث عنه النص القرآني من الإمداد بالمال والبنين، ولم يجعلهم الله في يوم من الأيـام أكثـر نفـيراً كـما جعلهـم اليـوم. إن اليهود اليوم بما لديهم من سلاح وعسكر يـستطيعون مواجهـة كـل القـوى الحربيـة المحيطة بهم بجميع جنودها وسلاحها، وقد يتفوقون عليها.

إننا لا زلنا نعيش مع اليهود اليوم في زمن الكرة التـي أعطـاهم الله إياهـا، ولا زلنا نعيش في الزمن الذي يمدهم الله فيه بالأموال والبنين ، ولم يكن لهذين وجود في إفساد اليهود الغابر، ولا زلنا نرى اليهود أكثر نفيراً.

ولكننا ننتظر أن يأتي وعد الآخرة الذي قال الله فيه: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـٔۥُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء:١٧].

ففي وعد الآخرة تأتي الجيوش الجرارة المسلحة بأعظم الأسلحة، وهي ليست كالمرة الأولى المقتصرة على الجوس خلال الديار، والمحدثة للرعب في دمـار اليهـود، ففي المرة الثانية التي سماها وعد الآخرة، تأتي قوة غالبة قـاهرة، لا تخـضع لـضغوط الدول الكبرى، ولا تخضع لمجلس الأمن، إنها قوة غالبة، تسوء وجوه يهـود، وعنـدها يرون من البأس ما لا قبل لهم به، فيوقنوا حين ذلك بأن لا طاقة لهم بـما يرونـه، وأن أمرهم إلى زوال، وأن قوتهم إلى اضمحلال، وعند ذلك يدخل الجـيش الفـاتح مـن المسلمين المسجد الأقصى كما دخله آباؤهم في عهد عمر بن الخطاب، ويدمر الجـيش الإسلامي العلو اليهودي تتبيراً، عند ذلك تشفى قلوب المـؤمنين ممـا حـلّ بهـا مـن أوجاع سببها اليهود بما أحدثوه من اغتصاب واستبداد وقتل وتشريد، ووالله إن هذا لكائن، يؤمن به كل الذين فقهوا عن الله دينه، وعلموا أن وعد الله مفعولاً.

http://kotob.has.it

لقد دخلنا المسجد الأقصى مرتين، الأولى في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ، والثانية في عهد صلاح الدين الأيوبي، وسيكون دخولنا الثالث على نحو الدخول الأول، لا كما دخلناه في عهد صلاح الدين ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء:٧] وهذا يعني أنه ستقوم خلافة راشدة، هي التي ستعيد الأقصى إلى حضن الأمة الإسلامية من يهود.

يا حسرة على قومي الذين حملوا النص على غير محمله، الله يحدثهم في سورة بني إسرائيل عن بني إسرائيل الجاثمين فوق ظهر الإسراء، فيحملونه على بني إسرائيل الغابرين.

إن هذا النص يحكي خبر هذا الأمر الواقع المشهود، وهو يتحدث حديثاً لا لبس فيه عما وقع منه حتى اليوم، ويرسم صورة الآتي منه، وسيقع كما أخبر الله به من غير تغيير ولا تبديل.

إن ضعف الأمة الإسلامية وفرقتها لن يبقى إلى أبد الآبدين، فإن الله يغير حال الأمة عندما تؤوب إليه، وتؤوي إليه، والتغيير الذي تخشاه اليهود آت قادم، فالإيمان الحق بدأ يسري في الأمة الإسلامية، والاتجاه إلى الإسلام الحق بعيداً عن الشرك والكفر والضلال بدأ في مختلف ديار الإسلام، بل إن الإسلام يموج اليوم في ديار الغرب، وقدرة الله على إيجاد القوة الغالبة التي تسوء وجوه اليهود، وتدخل المسجد الأقصى مرة أخرى وتدمر العلو اليهود، كل ذلك أمر سهل لا يستطيع أحد أن يوقفه وينهيه.

٨٦- تدمير المسلمين العلو اليهودي (لفتات وخلاصات):

من يقرأ النص القرآني المتحدث عن تحطيم العلو اليهودي بتدبر يلفت نظره ما يأتي:

١- نسب القرآن الإفساد إلى بني إسرائيل ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء:٤] ومن عجب أن يسمي اليهود دولتهم بإسرائيل، ولم يسموها دولة

http://kotob.has.it

اليهود، أو دولة موسى، فيتطابق النص القرآن مع الاسم الذي سمى به اليهود دولتهم.

٢- ذكر رب العزة أن القوة الغالبة التي ستقهر اليهود ستدخل المسجد، وسيكون دخولهم إليه كما دخلوه أول مرة، ومعلوم أن المسلمين دخلوا المسجد مرتين، الأولى في عهد عمر بن الخطاب وعلى يده، والثانية على عهد صلاح الدين، وسيكون هذا الدخول مماثلاً للدخول الأول، ويبدو أنه سيكون هناك خلافة راشدة، تدخل المسجد كما وقع في دخول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب.

٣- يتصف العلو اليهودي بإمداد اليهود بالمال والبنين، وسيكونون أكثر نفيراً، ولم يكن لليهود مثل هذا الإمداد في ما جرى لهم من إفساد في ما مضى، وقد تحقق هذا الإمداد، وأصبح اليهود مع قلتهم أكثر نفيراً، فبقدرتهم أن يحشدوا جيشاً يزيد في تعداده على جيوش العرب مجتمعة.

وقد قال لي بعض من حدثتهم بمعاني النص القرآني المتحدث عن الإفسادتين: لقد أمدَّ الله بني إسرائيل بالمال والبنين في عهد نبي الله سليمان، وغفل محدثي أن ما كان من بني إسرائيل في عهد سليمان إصلاح وليس إفساداً.

٤- المرتان اللتان يفسد فيهما اليهود متتاليتان قريب إحداهما من الأخرى، يجوس العباد أولو البأس الشديد خلال ديار اليهود في المرة الأولى، ولكنهم لا يملكون جيشاً قوياً يدمر اليهود، أما في الثانية فالذي يسوء وجوه اليهود فهو جيش عرمرم يتبر العلو اليهودي تتبيراً.

٥- يملك الجيش الإسلامي الذي يقهر يهود قوة حربية فائقة، تتكفل بأن تسوء وجوه اليهود، وتوقع الرعب في قلوبهم، كما تتكفل بتدمير العلو اليهودي تدميراً فائقاً هائلاً.

٦- هذا الذي ذكره النص القرآني واقع لا محالة، لا ينفع فيه احتماء اليهود بمن يحتمون به من الدول، ولا ينفع فيه ما يجمعه اليهود من سلاح، وفي هذا كله لون

http://kotob.has.it

آخر من ألوان سوم اليهود العذاب الذي حكم الله به على اليهود على مرّ الزمـان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكونه لوناً جديداً أن اليهود جمعوا من شتى فجاج الأرض ليكون تدميرهم في اجتماعهم، بينما كان سومهم العـذاب فـيما مـضى متفرقـاً هنـا وهنـاك مـن بـلاد الله الواسعة. [وليتبروا ما علوا تتبيراً، للمؤلف، ص١٦٢-١٦٩].

٨٧- ما كتبه الله في الزبور من بعد الذكر:

أخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - أنه كتب في كتابه الزبور الذي أنزله على عبده ونبيـه داود عليه السلام من بعد الذكر أن الأرض لله يورثها من يشاء من عبـاده الـصالحين، قـال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

وقد وجدت هذا الذي ذكره القرآن في المزمور السابع والثلاثين، فالذكر الذي جاء فيه قوله: «١ لاَ تَغَرْ مِنَ الأَشْرَارِ، وَلاَ تَحْسِدْ عُمَّالَ الإِثْمِ، ٢ فَإِنَّهُمْ مِثْلَ الْحَشِيشِ سَرِيعًا يُقْطَعُونَ، وَمِثْلَ الْعُشْبِ الأَخْضَرِ يَذْبُلُونَ. ٣ اتَّكِلْ عَلَى الـرَّبِّ وَافْعَـلِ الْخَـيْرَ. اسْكُنِ الأَرْضَ وَارْعَ الأَمَانَةَ. ٤ وَتَلَذَّذْ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيَكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ. ٥ سَـلِّمْ لِلـرَّبِّ طَرِيقَكَ وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ وَهُوَ يُجْرِي، ٦ وَيُخْرِجُ مِثْلَ النُّورِ بِرَّكَ، وَحَقَّكَ مِثْلَ الظَّهِـيرَةِ. ٧ انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاصْبِرْ لَهُ، وَلاَ تَغَرْ مِـنَ الَّـذِي يَـنْجَحُ فِي طَرِيقِـهِ، مِـنَ الرَّجُـلِ الْمُجْـرِي مَكَايِدَ. ٨ كُفَّ عَنِ الْغَضَبِ، وَاتْرُكِ السَّخَطَ، وَلاَ تَغَـرْ لِفِعْـلِ الـشَّرِّ» [المزمـور الـسابع والثلاثون: ١-٨].

ثم قال بعد هذا الذكر: «٩ لأَنَّ عَامِلِي الشَّرِّ يُقْطَعُونَ، وَالَّذِينَ يَنْتَظِـرُونَ الـرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. ١٠ بَعْدَ قَلِيلاً يَكُونُ الشِّرِّيرُ. تَطَّلِعُ فِي مَكَانِهِ فَلاَ يَكُونُ. ١١ أَمَّـا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ، وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلاَمَةِ» [المزمور السابع والثلاثون: ٩-١١].

ثم ذكر المزمور المزيد مـن الـذكر، ثـم قـال: «٢٩ الـصِّدِّيقُونَ يَرِثُـونَ الأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ» [المزمور السابع والثلاثون: ٢٩].

http://kotob.has.it

نهى هذا المزمور عن الغيرة من الأشرار الذين يملكون الجاه والمال والسلطان، ونهى عن حسد عمال الإثم، من الكفر والشرك والذنوب والمعاصي، فإنه سيكون حالهم حال الحشيش سريعاً ما يجف ويذبل ويقطع، وأمر بالتوكل على رب العباد، وفعل الخيرات، وأمر بسكنى الأرض، أي في جانب من جوانبها، وأمر بحفظ الأمانة، وأمر بعبادة الله بمحبة واشتياق، فيعطيك ما تطلبه، وأمر بأن يسلم العبد للرب طريقه، ويتوكل عليه، فيخرج برّك مثل النور، ويبرز حقك كما تبرز الظهيرة، وأمر بانتظار الرب والصبر له، أي بالمحافظة على طاعته، والصبر على ذلك، ونهى عن الغيرة من الذي ينجح في عمل الشر، وأمر بالكف عن الغضب، وترك السخط، ولا يضر الإنسان مما يفعله الأشرار.

ثم قرر بعد هذا الذكر كله أن عاملي الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم الذين يرثون الأرض، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥].

ثم ذكر أن الشرير وهو الشيطان وأتباعه سيهلكون، وأما الودعاء الصالحون فهم يرثون الأرض، ويتلذذون في كثرة السلامة، وهذا يكون على الوجه الأكمل بعد نزول عيسى كما سبق بيانه.

ثم ذكر المزمور المزيد من الذكر وقال: «الصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ الأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ».

http://kotob.has.it

المبحث السابع

أخبار يوم القيامة

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

تقديم

٨٨- حديث التوراة والإنجيل عن يوم القيامة قليل:

الحديث عن يوم القيامة في التوراة والإنجيل قليل، ومع قلته فقد تحدث عنه بعض أنبياء بني إسرائيل، وذكروا أنه قريب وأنه عظيم، ووصفوا شيئاً من أهواله، وما يوقعه من خراب ودمار وفناء للأرض.

ويذكر بعض أنبيائهم أن النجوم يذهب ضوؤها، والشمس تظلم، والقمر يخفت ضوؤه، وتتزلزل السماوات، والأرض تتزعزع، وتخرب البلاد، ويموت العباد.

٨٩- يوم الرب قريب:

تحدث صَفَنْيا عن يوم القيامة الذي سماه بيوم الربِّ، فقال: «١٤ قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ. قَرِيبٌ وَسَرِيعٌ جِدًّا. صَوْتُ يَوْمِ الرَّبِّ. يَصْرُخُ حِينَئِذٍ الْجَبَّارُ مُرًّا. ١٥ ذلِكَ الْيَوْمُ يَوْمُ سَخَطٍ، يَوْمُ ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، يَوْمُ خَرَابٍ وَدَمَارٍ، يَوْمُ ظَلاَمٍ وَقَتَامٍ، يَوْمُ سَحَابٍ وَضَبَابٍ. ١٦ يَوْمُ بُوقٍ وَهُتَافٍ عَلَى الْمُدُنِ الْمُحَصَّنَةِ وَعَلَى الشُّرُفِ الرَّفِيعَةِ. ١٧ وَأُضَايِقُ النَّاسَ فَيَمْشُونَ كَالْعُمْيِ، لأَنَّهُمْ أَخْطَأُوا إِلَى الرَّبِّ، فَيُسْفَحُ دَمُهُمْ كَالتُّرَابِ وَلَحْمُهُمْ كَالْجِلَّةِ. ١٨ لاَ فِضَّتُهُمْ وَلاَ ذَهَبُهُمْ يَسْتَطِيعُ إِنْقَاذَهُمْ فِي يَوْمِ غَضَبِ الرَّبِّ، بَلْ بِنَارِ غَيْرَتِهِ تُؤْكَلُ الأَرْضُ كُلُّهَا، لأَنَّهُ يَصْنَعُ فَنَاءً بَاغِتًا لِكُلِّ سُكَّانِ الأَرْضِ» [صَفَنْيا: الإصحاح الأول: ١٤-١٨].

وتحدث صفنيا عن بعض ما يكون في يوم القيامة مما ذكره القرآن، فوصف هذا اليوم بأنه قريب وعظيم، وقد قال الله في قربه ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي

http://kotob.has.it

غَٰفِلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١] ووصف الله ذلك اليوم بأنه عظيم ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف:٥٩].

ووصف يوم القيامة بأنه سريع جداً، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ [النحل:٧٧].

وفي يوم القيامة يأخذ الله سمواته بيده، ويأخذ الأرضين بيده الأخرى، ويقول أنا الملك، أنا الجبار، أين الجبارون، أين المتكبرون، ثم ينادي ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غافر:١٦] ثم يجيب نفسه بنفسه ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر:١٦].

ويوم القيامة يوم سخط، ويوم ضيق، ويوم شدة وخراب، ويوم ظلام وقتام، ويوم سحاب وضباب، قال الله تعالى في صفة ذلك اليوم ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ:٢٠]. وقال: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾﴾ [التكوير:١-٣]. وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾﴾ [الانفطار:١-٣]، وقال: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل:٨٨]. وقال: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ:٢٠].

وفي يوم القيامة ينفخ إسرافيل في البوق، فيموت الناس جميعاً، ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر:٦٨].

٩٠- هو ذا يوم الرب قادم:

يتحدث إشعياء عن الأيام الأخيرة التي تسبق وقوع يوم القيامة، فيقول: «٦ وَلْوِلُوا لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ، قَادِمٌ كَخَرَابٍ مِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. ٧ لِذلِكَ تَرْتَخِي كُلُّ الأَيَادِي، وَيَذُوبُ كُلُّ قَلْبِ إِنْسَانٍ. ٨ فَيَرْتَاعُونَ. تَأْخُذُهُمْ أَوْجَاعٌ وَمَخَاضٌ. يَتَلَوَّوْنَ كَوَالِدَةٍ. يَبْهَتُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. وُجُوهُهُمْ وُجُوهُ لَهِيبٍ. ٩ هُوَذَا يَوْمُ

http://kotob.has.it

الرَّبِّ قَادِمٌ، قَاسِيًا بِسَخَطٍ وَحُمُوِّ غَضَبٍ، لِيَجْعَلَ الأَرْضَ خَرَابًا وَيُبِيدَ مِنْهَا خُطَاتَهَا.
١٠ فَإِنَّ نُجُومَ السَّمَاوَاتِ وَجَبَابِرَتَهَا لاَ تُبْرِزُ نُورَهَا. تُظْلِمُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا،
وَالْقَمَرُ لاَ يَلْمَعُ بِضَوْئِهِ. ١١ وَأُعَاقِبُ الْمَسْكُونَةَ عَلَى شَرِّهَا، وَالْمُنَافِقِينَ عَلَى إِثْمِهِمْ،
وَأُبَطِّلُ تَعَظُّمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَضَعُ تَجَبُّرَ الْعُتَاةِ. ١٢ وَأَجْعَلُ الرَّجُلَ أَعَزَّ مِنَ الذَّهَبِ
الإِبْرِيزِ، وَالإِنْسَانَ أَعَزَّ مِنْ ذَهَبِ أُوفِيرَ. ١٣ لِذلِكَ أُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ وَتَتَزَعْزَعُ
الأَرْضُ مِنْ مَكَانِهَا فِي سَخَطِ رَبِّ الْجُنُودِ وَفِي يَوْمِ حُمُوِّ غَضَبِهِ. ١٤ وَيَكُونُونَ كَظَبْيٍ
طَرِيدٍ، وَكَغَنَمٍ بِلاَ مَنْ يَجْمَعُهَا. يَلْتَفِتُونَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى شَعْبِهِ، وَيَهْرُبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى
أَرْضِهِ. ١٥ كُلُّ مَنْ وُجِدَ يُطْعَنُ، وَكُلُّ مَنِ انْحَاشَ يَسْقُطُ بِالسَّيْفِ. ١٦ وَتُحَطَّمُ
أَطْفَالُهُمْ أَمَامَ عُيُونِهِمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ وَتُفْضَحُ نِسَاؤُهُمْ. ١٧ هأَنَذَا أُهَيِّجُ عَلَيْهِمِ
الْمَادِيِّينَ الَّذِينَ لاَ يَعْتَدُّونَ بِالْفِضَّةِ، وَلاَ يُسَرُّونَ بِالذَّهَبِ. ١٨ فَتُحَطِّمُ الْقِسِيُّ الْفِتْيَانَ،
ولاَ يَرْحَمُونَ ثَمَرَةَ الْبَطْنِ. لاَ تُشْفِقُ عُيُونُهُمْ عَلَى الأَوْلاَدِ. ١٩ وَتَصِيرُ بَابِلُ، بَهَاءُ
الْمَمَالِكِ وَزِينَةُ فَخْرِ الْكِلْدَانِيِّينَ، كَتَقْلِيبِ الله سَدُومَ وَعَمُورَةَ. ٢٠ لاَ تُعْمَرُ إِلَى الأَبَدِ،
وَلاَ تُسْكَنُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ، وَلاَ يُخَيِّمُ هُنَاكَ أَعْرَابِيٌّ، وَلاَ يُرْبِضُ هُنَاكَ رُعَاةٌ، ٢١ بَلْ
تَرْبُضُ هُنَاكَ وُحُوشُ الْقَفْرِ، وَيَمْلأُ الْبُومُ بُيُوتَهُمْ، وَتَسْكُنُ هُنَاكَ بَنَاتُ النَّعَامِ،
وَتَرْقُصُ هُنَاكَ مَعْزُ الْوَحْشِ، ٢٢ وَتَصِيحُ بَنَاتُ آوَى فِي قُصُورِهِمْ، وَالذِّئَابُ فِي
هَيَاكِلِ التَّنَعُّمِ، وَوَقْتُهَا قَرِيبُ الْمَجِيءِ وَأَيَّامُهَا لاَ تَطُولُ» [سفر إشعياء: الإصحاح الثالث
عشر: ٦-٢٢].

يأمر إشعياء الذين يخاطبهم بأن يُوَلْوِلُوا لأن يوم الرب قريب، والمراد بيوم الرب يوم القيامة، ويذكر بعض معالم تلك الأيام، فمن ذلك ضعف ضوء النجوم، والشمس تظلم في تلك الأيام، والقمر لا يلمع ضوؤه، وتزلزل السموات وتتزعزع الأرض، وتخرب المدن والقرى في تلك الأيام، وتخلو مدينة بابل من السكان، وتحلّ في بابل وحوش القفر، ويملأ البوم البيوت التي كان يسكنها الناس، وتسكن في مساكن الناس بنات النعام، وترقص هناك معز الوحش، وتصيح بنات آوى في قصورهم، وتتنعم الذئاب في هياكلهم.

http://kotob.has.it

٩١- نينوى المدينة المبتهجة المطمئنة صارت خراباً:

إذا اقترب وقوع يوم القيامة فإن الناس يحشرون، تحشرهم النار إلى بيت المقدس، تسير بسيرهم، وتقيل بقيلهم، وتخلو المدن من سكانها، وتسكن المدن في تلك الأيام الوحوش والحيوانات، يقع هذا في المدينة وفي بابل وفي صنعاء وفي غيرها، وقد تحدث صفنيا عما يصير إليه حال مدينة نينوى في تلك الأيام، قال: «١٣ وَيَمُدُّ يَدَهُ عَلَى الشِّمَالِ وَيُبِيدُ أَشُّورَ، وَيَجْعَلُ نِينَوَى خَرَابًا يَابِسَةً كَالْقَفْرِ. ١٤ فَتَرْبُضُ فِي وَسَطِهَا الْقُطْعَانُ، كُلُّ طَوَائِفِ الْحَيَوَانِ. اَلْقُوقُ أَيْضًا وَالْقُنْفُذُ يَأْوِيَانِ إِلَى تِيجَانِ عُمُدِهَا. صَوْتٌ يَنْعِبُ فِي الْكُوَى. خَرَابٌ عَلَى الأَعْتَابِ. لأَنَّهُ قَدْ تَعَرَّى أَرْزِيُّهَا. ١٥ هذِهِ هِيَ الْمَدِينَةُ الْمُبْتَهِجَةُ السَّاكِنَةُ مُطْمَئِنَّةً، الْقَائِلَةُ فِي قَلْبِهَا: «أَنَا وَلَيْسَ غَيْرِي». كَيْفَ صَارَتْ خَرَابًا، مَرْبِضًا لِلْحَيَوَانِ! كُلُّ عَابِرٍ بِهَا يَصْفِرُ وَيَهُزُّ يَدَهُ» [صَفَنْيا، الإصحاح الثاني: ١٣-١٤].

تحدث عن خراب مدينة نينوى، وهي مدينة نبي الله يونس ﷺ،وهي في شمال القطر العراقي، تحدث عن خرابها وحلول الحيوانات بها، حتى القنافذ والقوق تأوي إلى تيجان أعمدتها، وردد قوله: « كَيْفَ صَارَتْ خَرَابًا، مَرْبِضًا لِلْحَيَوَانِ! كُلُّ عَابِرٍ بِهَا يَصْفِرُ وَيَهُزُّ يَدَهُ» لنعلم الحال الذي ستصير إليه.

٩٢- أخبار غيبية لم أستطع فهمها:

هذا الذي دوّنته في هذا الكتاب هو الذي استطعت فهمه مما ورد في التوراة والإنجيل والزبور، وهناك كثير من الغيوب التي تحدثت عنها تلك الكتب، ولم أستطع فهمها، ومن أمثلة ذلك، ما ورد ي سفر إشعياء: « أَتَى صَبَاحٌ وَأَيْضًا لَيْلٌ. إِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ فَاطْلُبُوا. ارْجِعُوا، تَعَالَوْا» [سفر إشعياء، الإصحاح الحادي والعشرون: ١١].

ومن ذلك قول إشعياء أيضاً: «١ يَا أَرْضَ حَفِيفِ الأَجْنِحَةِ الَّتِي فِي عَبْرِ أَنْهَارِ كُوشَ، ٢ الْمُرْسِلَةَ رُسُلاً فِي الْبَحْرِ وَفِي قَوَارِبَ مِنَ الْبَرْدِيِّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. اذْهَبُوا أَيُّهَا الرُّسُلُ السَّرِيعُونَ إِلَى أُمَّةٍ طَوِيلَةٍ وَجَرْدَاءَ، إِلَى شَعْبٍ مَخُوفٍ مُنْذُ كَانَ فَصَاعِدًا، أُمَّةِ

http://kotob.has.it

قُوَّةٍ وَشِدَّةٍ وَدَوْسٍ، قَدْ خَرَقَتِ الأَنْهَارُ أَرْضَهَا. ٣ يَا جَمِيعَ سُكَّانِ الْمَسْكُونَةِ وَقَاطِنِي الأَرْضِ، عِنْدَمَا تَرْتَفِعُ الرَّايَةُ عَلَى الْجِبَالِ تَنْظُرُونَ، وَعِنْدَمَا يُضْرَبُ بِالْبُوقِ تَسْمَعُونَ» [سفر إشعياء، الإصحاح الثامن عشر: ١-٣].

وجاء في إشعياء أيضاً: «١ مَنْ ذَا الآتِي مِنْ أَدُومَ، بِثِيَابٍ حُمْرٍ مِنْ بُصْرَةَ؟ هذَا الْبَهِيُّ بِمَلاَبِسِهِ، الْمُتَعَظِّمُ بِكَثْرَةِ قُوَّتِهِ. «أَنَا الْمُتَكَلِّمُ بِالْبِرِّ، الْعَظِيمُ لِلْخَلاَصِ». ٢ مَا بَالُ لِبَاسِكَ مُحَمَّرٌ، وَثِيَابُكَ كَدَائِسِ الْمِعْصَرَةِ؟ ٣ قَدْ دُسْتُ الْمِعْصَرَةَ وَحْدِي، وَمِنَ الشُّعُوبِ لَمْ يَكُنْ مَعِي أَحَدٌ. فَدُسْتُهُمْ بِغَضَبِي، وَوَطِئْتُهُمْ بِغَيْظِي. فَرُشَّ عَصِيرُهُمْ عَلَى ثِيَابِي، فَلَطَخْتُ كُلَّ مَلاَبِسِي. ٤ لأَنَّ يَوْمَ النَّقْمَةِ فِي قَلْبِي، وَسَنَةَ مَفْدِيِّيَّ قَدْ أَتَتْ. ٥ فَنَظَرْتُ وَلَمْ يَكُنْ مُعِينٌ، وَتَحَيَّرْتُ إِذْ لَمْ يَكُنْ عَاضِدٌ، فَخَلَّصَتْ لِي ذِرَاعِي، وَغَيْظِي عَضَدَنِي. ٦ فَدُسْتُ شُعُوبًا بِغَضَبِي وَأَسْكَرْتُهُمْ بِغَيْظِي، وَأَجْرَيْتُ عَلَى الأَرْضِ عَصِيرَهُمْ» [سفر إشعياء، الإصحاح الثالث والستون: ١-٦].

هذه ثلاثة نصوص من سفر إشعياء لم أفهمها، وفي هذا السفر نصوص أخرى لم أفهما أيضاً، وفي غير هذا السفر توجد نصوص كثيرة غير مفهومة، وهناك نصوص تحتمل أنها تتحدث عن غيوب قد تكون وقعت قبل الإسلام، أو هي لآخر الزمان كالنصوص التي تتحدث عن خراب بابل في سفر إرميا، وقد تجنبت إيرادها خشية هذا الاحتمال.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المراجع

١- البداية والنهاية، لعماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الثانية، ١٩٧٧.

٢- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الثالثة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٣- الجامع الصحيح، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٤- الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤١٤هـ.

٦- الرسل والرسالات، للمؤلف، دار النفائس، عمان - الأردن، الثانية عشرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٨- السنن لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، بيت الأفكار الدولية،الرياض.

٩- السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

١٠- صحيح الجامع الصغير للشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١١- صحيح سنن أبي داود، للشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٢- العهد الجديد (العهد الجديد) دار الكتاب المقدس، القاهرة، الإصدار الخامس، ٢٠٠٣م.

١٣- الكتاب المقدس، (العهد القديم)، دار الكتاب المقدس، القاهرة الإصدار الخامس، ٢٠٠٣م.

١٤- قصة المسيح الدجال، للشيخ ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان - الأردن، الأولى، ١٤٢١هـ.

١٥- قصص الغيب في صحيح الحديث النبوي، للمؤلف، دار النفائس، عمان - الأردن، الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

١٦- القيامة الصغرى للمؤلف، دار النفائس، عمان - الأردن، الثالثة عشرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٤م.

١٧- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٨- محمد نبي الإسلام، لمحمد عزت إسماعيل الطهطاوي، مطبعة التقدم.

١٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٠- لسان العرب، لابن منظور، دار لسان العرب، بيروت، الأولى.

٢١- نبوة محمد من الشك إلى اليقين، الدكتور فاضل صالح السامرائي، مكتبة القدس، بغداد، الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٢- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لمحمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٣- وليتبروا ما علوا تتبيراً، للمؤلف، دار النفاس، عمان - الأردن، الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م.

http://kotob.has.it

فهرس

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

تم تحميل الملف من

مكتبة المهتدين الاسلامية لمقارنة الاديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

http://kotob.has.it

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير ومقارنة الاديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism, Orientalism & Comparative Religion.

لاتنسونا من صالح الدعاء

Make Du’a for us.